site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ج / م. البيرتيني

رأسمالية واشتراكية

تاريخ مختصر لمعركة العصر

ترجمة وتقديم

د. رجب بودبوس

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

رأسمالية واشتراكية

ت/ د. رجب بودبوس

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
مصراتة ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
ص.ب 17459 مبرق (تلكس) 30098 مطبوعات

الطبعة الاولى 1403 و.ر 1994 م

رقم الإيداع 1157ـ 1994م ـ دار الكتب الوطنية ـ بنغازي

حقوق الطبع والاقتباس والترجمة محفوظة للناشر

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

مقدمة

د. رجب بودبوس

مهما كان موقفنا من الماركسية، وأيا كان موقفنا من الرأسمالية، فإن ثمة حقيقة لا جدال فيها إن صراعهما طبع القرن العشرين، وسوف تكون له آثار على القرن الواحد والعشرين. إن تنحي الأولى، في نهاية المطاف، لا زال يؤثر ـ رغم غيابها ـ في التوازن الدولي والاستقرار العالمي.

مهما كان موقفنا من النظام الشيوعي، فإنه حمل لملايين الناس الأمل في حياة أفضل وعدالة أكثر، وقدم دعماً، مهما كانت نواياه، لشعوب تناضل من أجل الحرية والاستقلال وللتخلص من النهب الاستعماري لخيراتها. واقام توازناً دولياً ـ وأن كان توازن الرعب الذري ـ مكن لشعوب العالم الثالث هامش مناورة واستقلالاً نسبياً، ومنع انفراد قوة أو معسكر بالهيمنة على العالم، وكون رادعاً لغطرسة أوربا الرأسمالية وعلى رأسها الولايات المتحدة.

وعلى قدر الآمال كانت مرارة الواقع الذي تردى فيه النظام على يد بشر.

إن موقفنا النظري من الماركسية شأن، والموقف السياسي شأن آخر أن ثمة حقيقة لا يمكن، مهما كان موقفنا الاديولوجي، جحدها: أن الاتحاد السوفييتي كأول بلد اشتراكي خدم بقصد أو بدونه أو حتى من أجل مصالحه قضايا التحرر في العالم.

بل حتى أصدقاء الغرب، صداقتهم لا تستمد إلا من وجود الاتحاد السوفييتي، وقد تبينت اليوم القيمة الحقيقية لهذه الصداقة حالما تداعى وجود الاتحاد السوفييتي.

ومهما كان موقفنا من الرأسمالية فإن صمودها يحمل دروساً مستفادة: نستطيع لعن الرأسمالية، وأن نصب عليها جام غضبنا وندينها وننتدد بها ونقرح لازماتها، ولكن لا نستطيع تجاهل وجودها وقوتها. وإن كان هذا لا يفيد كثيراً، إذ علينا أن نتعلم منها لنعمل ضدها. إن صمود الرأسمالية لا يتأتى فقط من أنها طبقة تملك المقدرات الاقتصادية، وليس في أنها بالتالي تستحوذ على

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

النظام السياسي حتى وأن أدعت أن لا علاقة لها به فهي تمارس صلاحيات بدون مسئوليات. لقد امتكلت الدولة الاشتراكية المقدرات الاقتصادية والسلطة السياسية مما جعلها تجسيد الحلم الرأسمالي، ومع ذلك أنهارت، مما يعني أن المقدرات الاقتصادية والسلطة السياسية وحدهما لا يكفيان أن صمود الرأسمالية يكمن في الأسلوب العقلاني ـ رغم أنها أحياناً لا عقلانية من منظور آخر ـ وفي الحرية السياسية التي وأن خاطرت فيها الرأسمالية بإضعاف نفوذها على المجتمع ـ منطق الدولة ليس دائماً وبالضرورة منطق الطبقة المسيطرة ـ إلا أنها حالت دون طغيان الدولة ـ وهذا لصالح الرأسمالية، أن الرأسمالية تخشى قوة الدولة رغم أنها انشأت الدولة. إلا أن هذا من منطلق ضد الجدل أعطى للطبقات الأخرى القدرة على الاحتجاج والاعتراض وتصحيح الأوضاع ولو نسبياً. أن الرأسمالية تنتج نقائضها في عملها لتحقيق أهدافها. هذا صحيح، ولكن إلى الآن برهنت الرأسمالية على قدرتها على التكيف مع الأوضاع أن لم يكن تكييف الأوضاع، والمرونة في المواجهة، وحتى التنازل أن استلزم الأمر.

أن صمود الرأسمالية يكمن في لجوئها إلى التخطيط، رغما أنها عند غيرها ـ في النظام الاشتراكي ـ تعتبره عيباً وسلبية. إلا أنها تعرف كيف تستخدم هذا التخطيط لصالحها. أن ما ترفضه الرأسمالية ليس التخطيط، كما يعتقد السذج، ولكن التخطيط على المستوى الاجتماعي لصالح الجماعة.

من هنا تبرز سمة أساسية في الصراع الرأسمالي الاشتراكي مهما اختلفت صور الأنظمة والاديولوجيات: أنه صراع المصلحة العامة والمصلحة الخاصة، النظام الرأسمالي يقوم على المصلحة الخاصة المقدمة على غيرها، ويترك ليد أدم أسميت الخفية أن تصنع المصلحة العامة من شتات المصالح الخاصة، بينما أي نظام اشتراكي وتحت أي تسمية كان، يهدف ضرورة إلى تقديم المصلحة العامة والتي يراها لا تختزل إلى مجرد تجميع مصالح خاصة متناثرة. أن أي نظام لم يحدد موقفه من هذا الصراع هو نظام فاقد الهوية!.

مهما كان موقفنا إذن ونقدنا للنظام الاشتراكي السوفييتي، لا يجب أن ننسى أنه يضع في المقدمة المصلحة العامة، حتى وأن ضيعها في الطريق، ولم يقم نظاماً سياسياً متوافقاً معها. فالمصلحة العامة لا يقررها «خاصة» سواء كانوا

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

حزباً طليعياً أو لجنة مركزية. المصلحة العامة يقررها العامة.. عامة الناس، أن الاشتراكية تتطلب الديمقراطية. والديمقراطية تقتضي الاشتراكية، ربما كان لظروف الاتحاد السوفييتي دورها، ولكن لا يجب أن ننسى هذا أبداً، أنه الدرس المستفاد من التجربة السوفيتية، أي توجه للمصلحة العامة لا يستند إلى نظام ديمقراطي حقيقي ينتهي إلى الدكتاتورية التي تقتل المصلحة العامة باسم المصلحة العامة.

أنهيار الاتحاد السوفييتي إذن يؤلمنا، ليس فقط لاسباب ترجع إلى السياسة الدولية، ورغم نقدنا لايولوجيته الماركسية، يؤلمنا لانه فشل تجربة تضع في المقدمة المصلحة العامة. مهما كانت أسباب الفشل داخلية وخارجية، فإنه ينعكس على المصلحة العامة ويقوي التوجه المضاد متخذاً من أنهيار الاتحاد السوفييتي دليلاً على فشل التوجه ذاته وليس مجرد فشل تجربة لها ظروفها الداخلية والخارجية.

ولكن لا يجب أن نخدع أنفسنا، الصراع لم ينته بعد، وانهيار الاتحاد السوفييتي لا يعني البته الغلبة المطلقة للتوجه الفردي الاناني، ففي كل مجتمع سوف تبرز هذه المعضلة: مصلحة عامة أم مصلحة خاصة؟ وهذا ليس خدلقة لفظية، ففي كل مجتمع سوف يحدث الصراع حول هذه المعضلة، وتختلف المواقف ويسيل الحبر والعرق وربما الدم، ولا يعني هذا أن الماركسية التي استوحتها التجربة السوفيتية لم تذهب معها، فالمصلحة العامة نتاج تطور اجتماعي وليس نتاج النظرية الماركسية. أن نشوء المجتمع أنتج مصلحة لا تعود لأي فرد على حدة وتعود لجميع الأفراد، ولا يمكن شطب هذه المصلحة إلا بتفتيت المجتمع إلى ذرات ـ أفراد ـ وهذا ما لم تجرؤ عليه حتى الرأسمالية، أن الماركسية ليست إلا وجهة نظر في المصلحة العامة وليست هي المصلحة العامة.

وما ظل المجتمع قائماً لم يفتت فإن مشكلة المصلحة العامة والخاصة تظل تطلب حلاً، وما ظل الأمر على هذا النحو سوف يظل الصراع قائماً دولياً ومحلياً، مهما تسمت المواقف، ومهما اتخذت من شعارات وصنعت من مبررات، فإن عملها في النهاية وفي البداية تحديد موقفها بوضوح : أما المصلحة العامة أو المصلحة الخاصة .. أما خليط من الاثنين يصعب مزجه.. مع ما يترتب على هذا من نظم سياسية واجتماعية ...

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

[illegible] فإن انهيار الاتحاد السوفييتي وتفككه لا يعني بأي حال حل [illegible] الرأسمالية نهائياً، فالمشكلة ليست في الثنائية شرق غرب تجد [illegible] انهيار أحد طرفيها أنها وأن اتخذت شكلاً اخراً ــ في قلب العالم الغربي [illegible] الرأسمالية نفسها ثانياً، أنها من ناحية لا تجرؤ على تفتيت المجتمع، لأن في ذلك تهديداً لوجودها، فهي ليست رأسمالية إلا في المجتمع، ولكن المجتمع له متطلبات وحقوق ومصلحة عامة وباختصار ليست بالضرورة موافقة للرأسمالية. والدولة حتى وإن كان أصلها بورجوازي، إلا أن منطق السياسة الليبرالية نفسه يقودها شيئاً فشيئاً إلى مراعاة العدد الأكبر كتلة الأصوات. إذن الرأسمالية خلقت نقيضها في ذاتها عندما كونت مجتمعات فتكونت مصلحة عامة تضغط في طلب التحقق. ونظام سياسي يكاد زمامه يفلت من يدها، كما أن الحاجة الماسة عند الرأسمالية للسلام الاجتماعي تضغط عليها للتنازل لصالح المصلحة العامة ومقتضيات السياسة.

أن مقارنة بسيطة بين المجتمعات الرأسمالية وأوضاع الطبقات الأكثر فقراً أو التي لا تملك من الرأسمال إلا عضلاتها في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يجعلنا ندرك انهيار الرأسمالية أشد عمقاً من انهيار الاتحاد السوفييتي، الفرق بينهما وهو مستمر مما برر الحديث عن رأسمالية جديدة و.. قديمة. أما الثاني لم يستغرق انهياره أكثر من عامين.

إلا أن ثمة فرق بين انهيار نظام سياسي وبين انهيار اديولوجياً، حرصت، إلى حد ما، أن تتميز عن نظامها السياسي أو أن الواقع التاريخي وتطوره أقام هذا التمييز: أن أوربا الغربية تعاني انهيار أديولوجياً رغم بقاء الدولة ومؤسساتها قائمة. ربما الدولة تولت مهمة أدارة هذا الانهيار. إدارة الأزمة.

إن انهيار الاديولوجيا الرأسمالية يمكن أن يصير واضحاً أكثر إذا ما قارنا رأسمالية القرن التاسع عشر مع رأسمالية اليوم، وموقع المصلحة العامة انذاك وموقعها اليوم، ووظيفة الدولة التي انحصرت في دور الشرطي والإدارة ووظيفتها اليوم فيما تقدم من ضمان اجتماعي، وتحديد للاجور، وحق الاضراب، وتكوين نقابات ومساعدات اجتماعية، وتعليم عمومي وصحة... إلخ لقد خرجت الدولة من قوقعتها التي أرادت حشرها فيها الليبرالية أنها لم تعد مجرد شرطي وإداري، لقد أجبرت على أن تحمي الطبقات الأقل حظاً وأن تتنكر

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

في كثير من الأحيان حتى للطبقة ... ي صنعتها، أن دولة العناية هي نتاج محض للتوازن ـ غير المستقر ـ في البلدا... لرأسمالية عندما تسجل الديمقراطية نقاطاً، بمعنى اخر أن الرأسمالية تتنازل ... ـام ضغط النظام السياسي الذي يميل عندئذٍ نحو الصالح العام.

أنه التنـاقض بين نظام ... ـه إلى زيادة اللامسـاواة وحدة الفـروق وهو الرأسمالية، ونظـام يدفع إلى ... ـاواة وتقليص الفروق وهو الـديمقراطية.. هل الخوصصة وتخلى الدولة عن ... ـ دورها وواجباتها وتخفيف الضرائب يعني غلبة الرأسماليـة، غلبة التوجه لـ ... ـساواة وللفـروق على حساب المساواة .. على حسـاب الديمقـراطية. عنـدئذ ... ـركـة ليست بين النظـام الرأسمالي والنظـام الاشتراكي مأخـوذين على أنهمـ ... ـسكرين متميزيـن، بل المعركة قـائمة في قلب العالم الرأسمالي نفسه وأن اتخذ... هنـا مظهر الصراع : ديمقراطي ورأسمالية.. الـرأسمالية تتجـه نحو الـلا مـ... ـواة .. والـديمقراطيـة تدفع للمسـاواة ولهذا تحالفت الـرأسمالية مع الـدكتاتـ... ـيـات .. فإلى متى يمكن للمجتمـع الغربي أن يستوعب هذا التناقض.

حقاً لازال الكثير مـن مظـ... ـ الظلم والاستغـلال، ولازال الطريق طـويلاً لتحقيق العدالة والحريـة والمسـ... ـة. ولازالت المصلحة العامـة تعاني تحرشات المصلحة الخاصـة.. ولازالت الـ... ـلة ونظـامها السيـاسي، لم يتحررا تمامـاً من أصلهما البورجوازي، لكن مسير... ـقرن ونصف هي إلى حد ما مسيرة تنازلات لم تنته، مرشحة جدياً للاستمرار.

صراع المصلحة العامـة و... ـاصة الذي دارت حوله معـركة العصر ليس فقط بين أنظمة عملاقـة دارت فيها الدائرة على معسكر لصالـح اخر، أنه صراع اديولوجي له وجود جدي في قلب ... عالم «المنتصر» نفسه. وإذا تغلبت الرأسمالية على العمـلاق الدولي المنـاقض علـ... ـا بحشـد القـوات، وبرامـج حرب النجـوم، وتكديس القنابل الذرية، والصوا... ـيخ وتهديده المتواصل بالدمار فماذا تفعل مع نقيضها الذي يعيش معها ويختلط بها، تعيش على عمله وتثري على استغلاله؟ لا تفيد القنابل الذرية ولا تجدي الـ... ـواريخ.. إذا قتلتـه كان انتحارها.. أنها مرغمة على التعايش معـه، مرغمة على ا... ـزل لـه كلما وعى قوته العـددية كلما انحنت الرأسمالية أمامه.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

على كل حال خلف انهيار المعسكر الشرقي من المشكلات البيئية والاستراتيجية، والاقتصادية والاجتماعية أكثر مما كان يثيره وجوده. وترك للرأسمالية حملاً تنوءبه. ربما يستطيع في موته أن يفعل ما لم يفعله في حياته!.

الصراع إذن اديولوجي قبل أن يكون سياسياً. فالسياسة ليست إلا مظهر، والنظام السياسي هو مجرد تجسيد، واختفاء نظام لا يعني اختفاء الاديولوجية، وبالاديولوجية لا نعني الماركسية، فهذه وجهة نظر وثمة وجهات نظر اخرى. ولكن نعني بالاديولوجي أن الصراع مصلحة عامة ومصلحة خاصة ليس شعار سياسي لنظام ما، بقدر ما هو نتاج تطور اجتماعي تاريخي، مهما تعددت وجهات النظر عند هذا الطرف أو عند ذاك فإنها يمكن أن تختزل في النهاية في موقف من المصلحة العامة أو من المصلحة الخاصة. وكل نظام وجد أو سيوجد سوف يجد نفسه ملزماً بالاختيار بين المصلحة العامة أو المصلحة الخاصة. وسوف يتنازعه أولئك الذين يقدمون المصلحة العامة وأولئك الذين يقدمون المصلحة الخاصة، ويحاول كل أن يستحوذ عليه. ومهما كان الاختيار فإن عدم الاختيار اسوأ. إذ أنه يعني التذبذب وعدم الاستقرار والارتجال والتخبط بين الحدين في وضع تلفيقي. وقد لا يعني هذا التخبط إلا أن القوى الاجتماعية أما متعادلة القوة فلا يستطيع النظام حسم موقفه، أو أنها غائبة أصلاً مما يقود النظام السياسي إلى نفس النتيجة، أن المجتمع لا يعرف على ماذا يستقر في موقفه، وتصبح المسألة مجرد تخمينات في رؤوس القاده دون تيار اجتماعي محدد. أو أن عدم وعي المجتمع نفسه بهذا الاختيار يجعله ـ وما يترتب عليه ـ لا يحسم موقفه مما ينعكس على نظامه السياسي.

إذن يجب أن يكون الأمر واضحاً جلياً لا بس فيه: أما مصلحة عامة مع ما يترتب عليها ابتداء من النظام السياسي الموائم إلى النظام الاقتصادي. وأما مصلحة خاصة مع ما يترتب عليها من نظام سياسي، اجتماعي واقتصادي، وتحمل التبعات في كل الأحوال أن الناس لم تخرج إلى شوارع براغ، وبودابست، وبرلين، وموسكو، وبوخارست.. لم تتواجه قوات القمع.. لم تقدم الضحايا من أجل السوق، بل هتفت، ضحت واجهت من أجل الحرية والديمقراطية. وإذا خدعت فقدم لها السوق بدل الديمقراطية والبطالة بدل الحرية. فإنها لا تلبث أن تستعيد وعيها.. أنها لم تناضل من أجل السوق.. من أجل امتيازات طبقة أخرى.. وإلا كان عبثاً.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

إن انهيار الاتحاد السوفييتي والمعسكر الشرقي هو فشل تجربة تهدف إلى تحقيق المصلحة العامة وليس فشل اديولوجيا المصلحة العامة، ـ بغض النظر عن تعبيرها الماركسي ـ وانتصار الرأسمالية هو انتصار أنظمة سياسية وليس انتصار اديولوجيا، لأن هذه تعاني الأمرين في عقر دارها، أن أمامها الكثير من التناقضات والازمات المحتملة، حتى وأن غيرت شكلها، مما يجعلها ربما تترحم على فقيد الصراع. أمامها تناقضها مع نظامها السياسي، أمامها تناقض شمال ـ جنوب. أمامها التضخم، الديون ـ حتى وأن كانت لها على بلدان أخرى، أمامها التلوث البيئي، أمامها الحشيش، أمامها حركات التطرف داخلها وخارجها ، أمامها عمالها وفقراءها يرفعون الرأس بعد زوال المبرر لأسكاتهم أو سكوتهم، أمامها قوميات تطلب الاستقلال والكرامة وتزحف لتغيير الخارطة و حدودها التي حشرت فيها يوماً عنوة. أمامها باختصار عالم ورتته بانتصارها المزعوم مشاكله وصراعاته سوف تغرقها!.

إن انهيار المعسكر الشرقي الاشتراكي لم يفرح شعوبه إلا برهة حين خلطت بين انهيار أنظمة القهر والعسف والانهيار الاديولوجي، وحالما استيقضت من مخدر الدعاية، ونشوة الانتصار وجدت أمامها البطالة، ارتفاع الاسعار واختفاء السلع أشد، وغطرسة الاغنياء، وتحقير الغرب الرأسمالي، لقد تخلصت من دكتاتورية البروليتاريا لتقع تحت دكتاتورية السوق، وجدت نفسها متسولة بعد اكتفاء، ذليلة بعد كرامة، برزت الذئاب من كل صوب تنهش لحمها، جملت لها الرأسمالية نوادى العراة، البرنوقرافية، مجلات الجنس، والهمبورجل و الكوكاكولا.. لمن يملك الثمن بالطبع! وتشتت نساءها عاهرات في شوارع المراكز الأوربية وحتى الاسيوية.. هل تدرك أن انهيار النظام لا يجب أن يعني غياب المصلحة العامة وترك الحبل الغارب للاستغلال باسوأ الأنواع وفي أقسى الصور؟

هل تدرك أنها هتفت للحرية، الديمقراطية وليس السوق؟ عندئذ تحل الحسرة محل الفرح والندم يمزق القلوب.. إلا نشاهد عودة المهزوم..؟ ألم يصل شيوعيون من جديد للحكم وفق اجراءات ديمقراطية.. في بولندا أول المنشقين! في المجر...؟ بغض النظر عن مسمياتهم الجديدة، أنهم يمتلون عودة الاعتبار إلى المصلحة العامة وخيبة أمل في برق خلّب!.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

* * *

هذا الكتاب* الذي قمنا بترجمته إلى العربية يقدم مختصراً لمعركة العصر، معركة الرأسمالية والاشتراكية. ولهذا ولأنه عرض تاريخي ـ لا يعني ذلك عدم التعرض للأفكار والمذاهب فهذه هي الوقود الفعلي لهذا الصراع وهي سببه الأساسي ـ فاننا رأينا الابقاء على المصطلحات كما وردت رغم عدم دقة الكثير منها من الناحية النظرية، فمصطلح «سوسياليزم» مثلاً لا يعني الاشتراكية بل يعني الاجتماعية، وقد تطرقنا إلى هذا في مؤلف آخر ـ مواقف 2 موقف 4 ـ كذلك استعمال مصطلح الشيوعية لوصف نظام لم تتحقق فيه أي خصائص شيوعية، ولكل ما هنالك أنه قرر سياسياً إطلاق صفة الشيوعية على نفسه. وبغض النظر عن مثل هذه الملاحظات فإننا استعملنا المصطلحات كما وردت في موضوعها بأعتبارها مجرد اسم عرف به نظام تاريخياً وليست المسألة معرفة ما إذا كان شيوعياً حقاً أم لا. علينا أن نأخذ في الاعتبار أن هذا الكتاب يتناول بالتحليل أنظمة واقعية معاشة وليس تحليل نظري مجرد لرأسمالية وللاشتراكية. لذلك رأيت الابقاء على التسميات كما هي باعتبارها التاريخي وليس الفكري في كثير من الأحيان.

ومع أننا قد لا نتفق مع كثير مما جاء في هذا الكتاب، إلا أن الموضوعية العلمية تقتضي أمانة الترجمة، كما أن الاطلاع على الرأي المخالف لا يخلو من فائدة، وفوائد هذا الكتاب أكثر من سلبياته أن يعرض علينا، بمنهج واضح مجرى معركة دارت أمام اعيننا وعلى مسامعنا، معركة تأثرنا بها سلباً أو إيجاباً، معركة حملت الآمال كما أدت إلى احباطات. في كل الاحوال هناك دروس لابد وأن نستخلصها من هذه المعركة نحن العرب الذين نعيش ارهاصات نهضة وتأسيس دولة، نحن الذين وضعنا في العالم لم يتحدد بعد، نحن لسنا من المعسكر الشرقي فنحزن ونتخبط حزن وتخبط بولندا وروسيا.. إلخ بعد أن فقدت مصداقية ذاتها، ولسنا من المعسكر الغربي فنفرح ولو مؤقتاً: نحن عرب!

لا شك ونحن نعيش أرهاصات نهضة ، ونختبر الأنظمة السياسية والاجتماعية بعد رقاد طويل، لنختار الأفضل، ولم لا نخترع الأفضل!؟ إن مشكلة المصلحة العامة والخاصة لابد وأن تطرح، وأن يدور حولها النقاش والحوار، حتى يتحدد موقفنا ونظامنا الذي نريد. أن أي نظام لم يحدد موقفه

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

هو نظام بدون هـوية، نظام ضبط عشواء. أي نظام لكي يحدد مـوقفه لابد وأن تكون خلفـه تدعمه قوة اجتماعيـة. إن علينا تأسيس هذه القـوة الاجتماعية من أجل نظام يحترم نفسه ويحترم مواطنيه وبالتالي يفرض احترامه على العالم. كم نحن في أمس الحاجـة إلى نظام عربي يحترمـه العالم. إن النظـام الذي لا يحترم مواطنيه لايحترمه العلم. وإذا كانت الأنظمـة العربية الحالية في وضـع سيِّيء من الاحترام العالمي فلأنها لا تحترم مـواطنيها، ولكي يحترم النظام مـواطنيه ليس ذلك منحـة تمنـح، بل عليـه أن يجبر علي ذلك، ولـن يجبر إلا إذا كان نتـاج قـوة اجتماعية تسنده وتلزمه موقعه لكي لا يطغى!.

د. رجب بودبوس

استاذ الفلسفة المعاصرة بالجامعات الليبية

طرابلس 94/1/23

* صدر هذا الكتاب باللغة الفرنسية في شهر نوفمبر 1990.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

تمهيـــد

رأسماليـة، اشتراكية، كلمتـان هما مفتاح تـاريخ هذا العصر، بـاسمهما تصادم الناس وتقاتلوا، فيهما وضـع الناس آمالهم واحباطاتهم أو يأسـهم.

واليوم يبـدو أن معركة هذا العصر قـد دارت لصالح الـرأسمالية، قسم كبير من البلدان التـي تأخذ بالنظـام الاشتراكي بدأت تلتحق باقتصـاد السوق، بالملكيـة الخاصة لخيرات الإنتـاج، هذان العنصران اعتبرا دائماً مـن الخصائص الأساسية للنظام الرأسمالي.

لماذا هـذا الانهيار ؟ لماذا الـرأسماليـة، التي عـرفت أيضـاً أزمات حـادة، نجحت حتى اليـوم في التغلب عليها؟ لماذا منذ أكثـر من ثلاثين سنـة لم يتوصل الشيـوعيون إلى استيعـاب مشاكلهم وانتهـوا عام 1989 إلى الـوقوع في أزمـة قطعية هائلة أي أزمة بديل؟

سـوف نحاول الإجـابة على هـذين السؤالين، ومـروراً سوف نحـاول التعرف أكثر وأفضل على ما هو النظام الرأسمالي وما هو النظام الاشتراكي.

حقاً هذا قد يبدو لأول وهلة سـهلاً، ولكن في الواقع إذا ما تفحصنا الطريقة المنظمة لاقتصاد ما، فإن هناك تقريباً من الاختـلافات بين فرنسا في بداية القرن الماضي وفرنسـا اليوم قـدر الاختلافـات بين نظام رأسمالي ونظـام اشتراكي في بدايات السبعينيات.

إن ملاحظ يأتي من كوكب آخر سوف يندهش من أننا نعطي نفس الاسم لتنظيمات مختلفة.

في الواقع، وكنظام اقتصادي، فـإن تعبيرات مثل الرأسمالية والاشتراكية ليست إلا رؤية عقلية، أنها مجرد أدوات للتحليل والتي يستخدمها الاقتصاديون لكي يفهمـوا ما هـو مشترك وما هـو مختلف أساسـاً بين تنظيمات اقتصاديـة قائمة.

في الواقع، نحـن في حضرة أنظمة اقتصادية، والنظـام يختلف عن المذهب لأن النظام يمثـل تحقيق المذهب في لحظة معطـاة من التاريـخ وفي مجال جغرافي

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

محدد. ولهذا سوف نهتم بالأنظمة، محـ فهم كيف ولدت الأنظمة الاقتصادية وكيف تطورت، وبهذا نستطيع أفضل على ما طرحناه من أسئلة فيما سبق، ومختارين اقتراباً تاريخياً نستطيع أيضاً بشكل أفضل تحديد ما هي الاختلافات الأساسية بين النظ رأسمالي والنظام الاشتراكي وأنماط تطورهما.

أننا إذن سوف نحتفظ في هذا العمل با قتراب التاريخي والذي اتبعناه في عملنا «رأسمالية واشتراكية من النمو إلى الأزمة» لكننا سوف نركز على العشرين سنة الأخيرة، وعلى بعض الفرضيات المتعلقة نهاية هذا القرن.

وهذا ليس دائماً أمراً سهلاً بالنسبة للاقتصادي، حقاً الاقتصادي ليس عاجزاً عن توقع المستقبل، والتوقع ليس التنبؤ، ولكنه الايعاز بتطورات ممكنة إذا تحققت بعض الفرضيات، كثير من الاقتصاديين لجؤوا إلى المدى القصير أو اللازماني، أما في التوقعات على المدى القصير والمدى الطويل فإنهم يعشقون تحديد الاتجاهات. أنهم ينظرون أولاً إلى الماضي ويعكسونه على المستقبل، يحنون إلى اسطورة العود الابدي، وفي أفضل الأحوال يهتمون بالمسار الدوري، لكنهم بالعكس، منزوعي السلاح، أو عاجزين، أمام تغير جذري في التوجهات، وأكثر من ذلك أمام توقع تحولات أساسية في التنظيم الاقتصادي، والسبب يكمن في أن توقعاتهم تتم، في غالب الأحيان إنطلاقاً من فرضية استقرار نسبي للمؤسسات وللسلوك. وبكلمة أخرى أنهم في الطريق الطويل يدخلون متراجعين. وهذه حالة كل الاختصاصيين تقريباً، ماركس لم يفعل شيئاً أخر، ولكنه بإدخال فكرة التناقض أمكنه أن يتوقع اللحظة التي فيها هذه التناقضات تصير على نحو يؤدي إلى اللااستمرارية والقطع، إلا أن المشكل عند ماركس أنه يحيل الحيوية البنيوية إلى حل تناقضات محايثه في الواقع المادي، وإنه يريد تبرير أعمال الثوريين الراغبين في الاستيلاء على السلطة أكثر مما يريد توقع القطع، يمكننا أن نرى في هذا أصل فشل أو إخفاق البلدان الاشتراكية: الماركسية تتيح نقد الرأسمالية، وتعطي مبرراً للمناضلين الثوريين، لكنها عاجزة عن تنظيم الاقتصاد وإدارة التناقضات التي تظهر في داخل البلدان الاشتراكية.

الحقب الحديثة، وخاصة 1989 تحرضنا على توسيع التناقضات التي يتوجب علينا أخذها في الاعتبار لكي نعد دينامية حقيقية للبنى، هل يمكننا أفضل

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

توقع تاريخ القطع والانقلابات الحاسمة في التوجهات؟ لا شيء أقل من هذا تأكيداً. في الواقع نحن في حضرة ظواهر تتعلق بنظرية الكوارث: توترات متناقضة تتراكم وقتاً طويلاً، ثم بعنف تنتج إنهياراً، يمكننا القول أن أزمة قطيعة ممكنة، ويمكننا أن نقول في أي تاريخ محدد سوف تنفجر، ولكننا لا نستطيع القول أن أزمة قطيعة سوف تؤدي واقعياً إلى الانهيار. الناس لا يسلمون أنفسهم لسخرية القدر، أنهم هم الذين يصنعون التاريخ وليس العكس. كثير من أزمات القطيعة أدت إلى تعديلات وتكيفات، ولكن على الأقل هل ثمة فرضيات لكي نفسر المجهول وقد صار واقعاً؟.

ولهذا، في نهاية تحليل الوضع الحالي للرأسمالية، سنحاول تحليل التناقضات التي لم تستوعبها الرأسمالية بعد، والتي هي الآن في طور التطور. الرأسماليون حتى الآن عرفوا كيف يعدلون أوضاعهم ويكيفونها أو يتكيفون معها، إلا أن هذا لا يعني أنهم بدون تناقضات حادة وأنهم لن يواجهوا أزمات كبرى.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الباب الأول

الخصمان يدخلان الحلبة

الأنظمة السياسية المعاصرة مرتبطة بتطور الاقتصاد الصناعي. مع الثورة الصناعية في بريطانيا، في منتصف القرن الثامن عشر بدأ تاريخ الاقتصاديات المتسمة بالنمو ــ التطور ــ وفي سبعين عاماً، ما بين 1750 و 1820 تضاعف تحويل الصوف الخام بواسطة الصناعة 2,5 مرة، والقطن تضاعف 200 مرة، وإنتاج زهر الحديد الخام 20 مرة. أنماط الإنتاج الجديدة أخذت تنتشر شيئاً فشيئاً في أوربا، أمريكا، ثم في اليابان . في الظاهر بدا الأمر وكأنه يتعلق أولاً بثورة تقنية، والتي منذ تلك الحقبة لم تتوقف عن التضاعف، لكن هذا في الواقع كان نتيجة تطور طويل الأمد اجتماعي وسياسي واقتصادي وعقائدي معاً، والذي أدى إلى تحولات في تنظيم الحياة الاقتصادية.. الرأسمالية الصناعية ولدت.

حتى عام 1917، لم يكن عن الرأسماليين بديل، إلا أنه في قلب الرأسمالية بدأ الأمل يظهر، مبكراً جداً، في أنظمة اقتصادية أكثر عدلاً، المصلحون الذين يقترحون هذه الأنظمة كانوا في أغلب الأحوال طوباويين. من بين هذه الامال الأمل في نظام اجتماعي يلغي الملكية الخاصة لخيرات الإنتاج ويعطي السلطة للعمال، أخذ يتحقق في روسيا أو الاتحاد السوفييتي عام 1917، لكن الظروف والرجال افسدوا هذا الحلم وحولوه إلى واقع مرير.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الفصل الأول

مقدمات معركة العصر 1750 ـ 1914

ابتداء من القرن الثامن عشر ، شهدت تقنيات الإنتاج تحولات عميقة، وفي أقل من قرنين من الزمان استطاع الإنسان أكتساب السيطرة على الطبيعة بشكل لا يقارن بما كان عليه قبل ذلك.

هذه الثورة الصناعية بدأت تحت شعار الحرية، لكن هذه الحرية لها معنى خاص، أنها فوق كل شيء تعني السماح لاصحاب المشاريع بالعمل، وأن يخلقوا أشكالاً جديدة للإنتاج، وأن يغتنوا . وهنا بدا صراعهم ضد النظام الإداري، وضد العادات والتقاليد والروتين، وأخيراً من أجل أخضاع نظام المجتمع لمتطلبات طبقة اجتماعية هي البورجوازية. وشيئاً فشيئاً، في قلب هذه الطبقة أخذت جماعة تهيمن، أنهم أصحاب المشاريع الصناعية.

وأكثر من هذا المفهوم للحرية، أسست الرأسمالية الليبرالية سلطة الرأسمال أيضاً، سلطة ملاك الرأسمال، وسلطة متطلبات تراكم الرأسمال.

1ـ ولادة الرأسمالية الصناعية الليبرالية 1750 ـ 1850

صعود الرأسمالية بدأ حقيقة قبل الثورة الصناعية، ابتداء من القرن السابع عشر، وخصوصاً منذ القرن السادس عشر، مع الاكتشافات الكبرى، والنشاط التجاري صارت له أهمية حقيقية وتدفق الذهب على أوربا طور عمليات الاقراض والرغبة في الربح. الربح صار الدافع المهيمن على الأنشطة الاقتصادية غير الزراعية، وأكتسب ملاك الرأسمال مكانة جديدة، لكن الرأسمالية أنذاك كانت أساساً تجارية، أنه عصر التجار، لكن الوقت مع ذلك لم يكن وقت الحرية، الحرفيون ظلوا مجمعين في تشاركيات واتحادات والتي تنظم العلاقة بين رب العمل والمتدربين، وتحدد في غالب الأحيان مواصفات الإنتاج. هذه السمة للتنظيم تدعمت شيئاً فشيئاً خصوصاً ابتداء من القرن السابع عشر

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

تعمل في الدولة الاقتصادي، بشكل من الأشكال، وضع تحت وصاية السلطة المركزية، الكولبرتية[1] كانت نموذج هذه السياسة. وعندما بدأت الثورة التقنية في المليون، حاولت الدولة خصوصاً في فرنسا. إن تطبقها هي السباقة، المؤسس معامل كبرى ملك الدولة تجمع الحرفيين في ورش كبيرة، معامل وبلان، معامل الصابون، ومعامل فنسين تقدم أمثلة لهذه الإدارة المتدخل في الحياة الاقتصادية.

ولكن مفهوم النظام الاجتماعي الموروث عن الاقطاع ، والمجدد بواسطة الحكم المطلق في القرن السابع عشر حاولاً عبثاً الاستمرار.

الثورة التقنية، والتي تتحدد عموماً فيما بين 1750 ـ 1850 والتي أدت إلى قيام الرأسمالية ليست إلا لحظة في تطور طويل الأمد، والذي قاد إلى السيطرة على الطبيعة، وإلى الاستيلاء البورجوازية على السلطة وإلى «دعه يعمل دعه يمر». هذا التحول ظهر أولاً في بريطانيا، ثم وصل فرنسان، قبل أن يعم في نهاية الحقبة أوربا الغربية والولايات المتحدة.

= الاعداد:

الثورة الصناعية هي نقطة الالتقاء لتطورات متعددة والتي مست كل مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وسوف نكتفي بعرض موأز لها لكي تتضح أكثر تفاعلاتها.

التغيرات الاديولوجية لعبت دوراً أساسياً، رويداً رويداً من العصر الوسيط إلى عصر النهضة في القرن الثامن عشر تأكدت فكرة التقدم والسيطرة على الطبيعة، والنجاح المادي صار، حتى عند الطهريين ـ الذين بفضل الطباعة اعادوا أكتشاف الأنجيل ـ علامة رضي الله ومباركته.

هذا التحول طويل الأمد أعطى نتائجه أولاً في المجال السكاني، حقق الطب تقدماً كبيراً، والوقاية الصحية صارت أكثر فعالية، شبكات ماء الشرب، وشبكات المجاري ثم أنجازها، عام 1751 فرضت ضرائب كبيرة على الخمور.

---

(1) الكولبرتية: سياسة وضعت على يد كولبير وزير لويس الرابع عشر.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ومع إدخال القطن، وهو النسيج الأرخص للغسل والمستعد من أجل [illegible] وفيات الأطفال انخفضت، من عام 1700 إلى 1800 ارتفع [illegible] من 6,8 مليون إلى 10,6 مليون ليصل عام 1820 إلى [illegible] آخر زاد سكان فرنسا من 21 مليون عام 1700 إلى 28 مليون عام [illegible] ليصل 34 مليون عام 1820. التوسع السكاني وضع [illegible] سؤال. وأخذت تتحول من الحقول الطبيعية إلى [illegible] إلى استخدام الأسمدة. يجب إذن غلق الحقول، والغاء [illegible] المزروعة حيث ترعى كل حيوانات القرى بدون تمييز. الملاك [illegible] من تحديث أنفسهم لمواجهة التحولات، الفلاحون الذين [illegible] هم لم يعد أمامهم إلا رعي بعض الحيوانات في الحقول [illegible] والكومونيين طردوا من الريف. في أقل من 75 عام حدثت [illegible] الزراعية في بريطانيا: الثورة الزراعية ثورة الحقول المسيجة [illegible] ثورة ثانية واجتماعية، والتي سبقت بحوالي خمسين عاماً الثورة الصناعية [illegible] أوائل المدن الصناعية بالغذاء واليد العاملة.

في فرنسا خدت تحول زراعي مماثل، والذي أخذ يتضح [illegible] عام 1750، لكن ثورة عام 1789 جعلته يأخذ مساراً آخراً. بيع أراضي الكنيسة وأراضي النبلاء والممتلكات العامة لصالح طبقة وسطى من المزارعين [illegible] الحقول المفتوحة، والفلاحين الذي لا أرض لهم وعمال الزراعة طردوا من الريف، ولكن نمط الاستغلال الجديد لم يكن يملك لا الوسائل المادية ولا القدرة العقلية لاستخدام طرق زراعية جديدة، لقد حافظ الفلاح الفرنسي على أساليبه التقليدية، والملكية الكبيرة للأراضي لم تتطور إلا في الأقاليم حيث كانت موجودة قبل 1789.

أما من جانب الاكتشافات الكبرى فقد أدت منذ القرن السادس عشر إلى تطور هائل في النشاط التجاري والمالي، مع نهب أمريكا اللاتينية، واستغلال مناجم الذهب المكسيكية صار الذهب وافراً. هذا التدفق للمعدن الثمين، وتطور أول شبكة مصرفية أدى، أبتداء من القرن السابع عشر، إلى تخفيض معدلات الفائدة، ففي عام 1750 لم تتجاوز معدلات الفائدة في بريطانيا أكثر من 3٪ مقابل 10٪. واستثمارات كانت حتى ذلك الحين لا يمكن تحقيقها صارت

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
بالإمكان. فرنسا وبريطانيا أصابتهما حمى مواصلات حقيقية: شقت القنوات، الطرق والجسور أخذت تنفذ. وهذه سهلت التطور الصناعي .

ـ التاسيس:

كل هذه التطورات صبت في الثورة الصناعية، وأدت إلى ظهور مجموعة اجتماعية جديدة: أنها مجموعة رجال الصناعة مدخلة تجديدات وقاضية على أنماط الإنتاج القديمة.

مع ذلك، مصطلح الثورة الصناعية يجب إلا يوقعنا في وهم، أنماط الإنتاج الجديدة وجدت صعوبة في الترسخ، في الواقع، حتى عام 1850 كان هناك تعايش بين الأساليب القديمة والأساليب الجديدة. في فرنسا كان التقدم بطيئاً بشكل خاص، الثورة الفرنسية أدت إلى توقف التوسع في صناعة الحديد، وعودة النشاط لهذه الصناعة في عهد الامبراطورية كان متردداً وموجهاً عموماً نحو المعدات الحربية. ونظام الحماية الذي حافظ عليه آل بوربون لم يشجع رجال الأعمال الفرنسيين على الأخذ بالتقدم الثقني، يجب أن ننتظر ملكية يوليو في صناعة الحديد، ولكن حتى ذلك الوقت طن الحديد الفرنسي أقل من 325 فرنكا، بينما طن الحديد الانجليزي يباع بـ 125 فرنكا.

رويداً رويداً المجموعة الاجتماعية لرجال الصناعة أخذت في التغير حسب احتياجاتها وحسب سير الاقتصاد والمجتمع. إلا أن هذه التغيرات الاقتصادية والاجتماعية كانت في بريطانيا أنذاك أسرع من غيرها.

في القرن الثامن عشر كانت فرنسا تبدو أكثر خطأ من بريطانيا للفوز في سباق التقدم، فسكانها أكثر وهي أكثر ثراء كما أنه بدفع من السلطة الملكية بدأت فيها الصناعة بداية جيدة. ولكن فجأة، ابتداء من 1750، أخذت بريطانيا تتفوق على فرنسا، ذلك لأن بريطانيا استفادت من تأخرها الاقتصادي، الاقتصاد فيها أقل بنية، والتعاونيات المهنية أقل قوة. والسلطة الملكية لا تملك معامل تدافع عنها ضد أطماع رجال الأعمال الخواص، والتجديدات التقنية تصطدم فيها أقل بالعادات القديمة.

رجال الأعمال تمكنوا من الحصول على حرية العمل بفضل الغاء التعاونيات المهنية القديمة والتنظيمات التي تحمي طرق الإنتاج القديمة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

إلا أنه مع ذلك من الخطأ الاعتقاد بأن رجال الصناعة وصلوا سريعاً إلى السلطة، البورجوازية الليبرالية والمالية، والارستقراطية والجيش حصروا رجال الصناعة في دور سياسي ثانوي، وأكثر من ذلك فإن المصرفيين يفضلون أقراض التجار وملاك العقارات وخصوصاً اقراض الحكومة أكثر من اقراض رجال الصناعة. الصناعة الناشئة لم يكن بإمكانها، في غالب الأحيان ضمان نموها إلا بإعادة استثمار النسبة الغالبة من فائض القيمة الذي تحققه، وعندئذ لا يدهشنا أن رجال الصناعة الأوائل رأوا في الأجور المنخفضة شرط نموهم وإلى فائض القيمة يضاف الارباح الناتجة عن استغلال العمال. فعلهم هذا مدعوماً وأحياناً مسبوقاً بتطور في العقلية كما في الاديولوجية، ومعركتهم كانت تبدو منسجمة مع الصالح العام، بسماحها بحرية الإنتاج فإن الأمم تحقق أكثر فأكثر ثروات وخيرات، ثروات الأمة تزيد، منظوراً إليها بشكل عام، وكل إنسان يبدو أنه يستفيد. أدم سميت 1723 ـ 1790 ـ طور هذه الفكرة في كتابه «بحث في طبيعة وأسباب ثروة الأمم» وقد كان لهذا الكتاب صدى عظيماً، وترجم في حياة مؤلفه إلى الفرنسية والالمانية والإيطالية والاسبانية والدانمركية، وحتى وأن كانت عبارة «دعه يعمل دعه يمر» من اختراع فرنسي وهو فرانسوا فنسنت دوقورماي ، إلا أن معاصري أدم سميت لم ينخدعوا، لقد كرسوا أدم سميت «اب الليبرالية».

ـ ظهور مبدأ «دعه يعمل دعه يمر»:

في مواجهة صعود رجال الصناعة تبدو الملكيات باهتة الوجه سلطة الملكية البريطانية صارت موضع نقد واحتجاج، وسلطة الملكية الفرنسية كانت تحتضر. وفي الوقت الذي فيه الشئون العامة تسير من سيء إلى أسوأ فإن الشئون الخاصة كانت تشهد ازدهاراً «ما الحاجة إلى القانون عندما كل شيء يسير سيراً حسناً بدون قانون؟» هكذا كان يردد مولفي الكتيبات.

هكذا ظهرت حالة عقلية، والتي تلحق بالتيارات الفلسفية الكبرى في عصر الأنوار وتؤسس الليبرالية الاقتصادية والسياسية.

تنظيمات التعاونيات المهنية والتجارية ولوائحها تشكل عائق حقيقي أمام النشاط الصناعي، جماهير العمل تتمسك بها كما لو أنها طوق النجاة الوحيد، ولكن رجال الأعمال الرأسماليين سريعاً ما صارت لهم الكلمة الأخيرة، من أجل التجديد يتوجب عليهم تحطيم العوائق وتشجيع مبدأ «عه يعمل».

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ـ الغاء تنظيم العمال:

في بداية الثورة الصناعية كان وضع سوق العمل في بريطانيا متناقضاً، حركة تسييج الحقول قذفت نحو المدن بالمزارعين وصغار الفلاحين الذين لا يملكون أرضاً، لكن الصناعة الناشئة لم يكن في مقدورها استيعاب هذه الاعداد من اليد العاملة. من ناحية قانون الفقراء يمنع الهجرة الداخلية، ومن ناحية أخرى فإن أي عامل لا يمكنه ممارسة مهنة إلا بعد سبع سنوات من التدريب.

مجموع الاجراءات المعروفة باسم قانون الفقراء التي وضعت ما بين 1536 و1595، كان هدفها القضاء على التسول والتشرد لكن نتائجها كانت خطيرة جداً. في الواقع كل فقير وكل فرد مهدد بالسقوط إلى التسول يتوجب ترحيله إلى منطقته الأصلية حيث، أن لم يجد عملاً، يحبس في بيوت عمل وتتكفل به كنيسته هكذا تنص هذه الاجراءات. بينما الصناعة تفتقر إلى اليد العاملة، العاطلون عن العمل حرموا على هذا النحو من حرية التنقل للبحث عن عمل، هذا الاجراء المبرر في المجتمع ما قبل الصناعي الراكد نسبياً صار لا يمكن قبوله في مجتمع تخدث فيه تحولات سريعة. أكثر من ذلك هذا الوضع قاد إلى فساد كبير البارواس (منطقة الكنيسة) المثقلة بالافراد تبيع الفقراء إلى رجال الصناعة خاصة الاطفال الذين لا تعرف ماذا تفعل بهم.

منذ عام 1770 السير وليام ميرديت وأدم سميت هاجما قانون الفقراء هذا، لكنه لم يعدل إلا عشرين سنه بعد ذلك تحت ضغط رجال الصناعة، منذئذ صار كبار السن والاطفال والعجزة فقط يحبسون في «بيوت العمل»، كما تقدم مساعدة للمحتاج في بيته تمول هذه المساعدة بواسطة ضريبة «من أجل الفقراء» والتي حلت محل الاغاثة في «بيوت العمل». في الواقع هذا النظام الجديد يتيح لرجال الصناعة الحصول من ناحية على ضمان حركية العمال، وأن تتكفل الأمة بالعمال ذوي الاجور المنخفضة. أمام تدفق اليد العاملة حاول العمال القدامى التصدي بالحفاظ على التنظيمات القديمة للعمل. منذ 1813 إلى 1814، أعد التماس طالباً احترام القانون المتعلق بالتدريب حصل على 300000 توقيع، وشكلت لجنة لهذا الغرض، ولكن الحركة من أجل «دعه يعمل» تغلبت، فانهار الوضع القانوني للتدريب وجرى الغاؤه قانوناً. وفي نفس الحقبة الغي حق «قضاة السلام» في تحديد الاجور، في اسكتلندا أضرب ألوف العمال من أجل حد أدنى للاجور يقرره «قضاة السلام» لكن الحركة سحقت.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

أما في فرنسا فإن قانون لوشابلييه عام 1791، بالغائه كل تنظيم وكل إمكانية تنظيم جعل العمال تحت رحمة أرباب العمل. مع ذلك في القطاعات التي فيها تقاليد مهنية، فإن الليبرالية المطلقة التي يبشر بها هذا القانون وجدت صعوبة في فرض نفسها. هكذا حتى قيام ملكية يوليو حافظ العاملون في صناعة الحرير ـ في ليون ـ على بعض تنظيمات العمل، ففي 11 أكتوبر 1831 تحصلوا من محكمة التجارة في ليون على تحديد حد أدنى من التعريفة، الغرفة التجارية في ليون أيدت هذا الاجراء، ولكن 104 من 1400 من أرباب صناعة الحرير رفضوه، واستنجدوا بالكومت دارقو وزير التجارة. وفي 21 نوفمبر صارخين «نعيش عاملين أو نموت مقاتلين» والعلم الأسود في المقدمة، تظاهر عمال صناعة الحرير. الفرق العسكرية تطلق النار على العمال، 30000 عامل يسحبون السلاح. وبالاتفاق مع محافظ المدينة تولى العمال حكومة المدينة، لكن في الأول من ديسمبر المارشال سولت ودوق أورليان احتلا المدينة بحوالي 40000 جندي و150 مدفع. الثورة العمالية سحقت، والتعريفة الغيت، وفي 17 ديسمبر أعلن الكونت دارقو أن المواد 416 و446 من قانون العقوبات تجعل من غير الشرعي اللجوء إلى السلطة من أجل تحديد شروط العمل.

ـ الغاء تنظيمات الإنتاج:

باسم حرية العمل تم الغاء مجموعة النظام التعاوني، في بريطانيا كانت التعاونيات أقل بنية منها في فرنسا ولذلك كان انهيارها سريعاً. أما في فرنسا فإن اجراءات تشريعية كانت لازمة لذلك.

منذ 1750 سمح العهد القديم بصناعة القماش ذى الرسوم الممنوع سابقاً، تراخى التنظيمات زاد أيضاً عام 1774 بالتصريح ببيع الإنتاج غير المطابق للمعايير المحددة شريطة أن تكون له علامة خاصة، عام 1779 جزء من تنظيمات الصناعة الغيت، لكن المرحلة الأكثر حسماً تم عبورها عام 1791 عندما الغت الجمعية التأسيسية التعاونيات المشار إليها سابقاً. لقد اعتقد العمال برهة أن أجورهم سوف تتبع ارتفاع أسعار السلع، لكنهم سرعان ما فهموا أن هذه الحرية لا يستفيد منها غير أرباب العمل.

من ناحية أخرى. عام 1791 تم في فرنسا الغاء احتكار شركات المناجم،

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
ومنذ ذلك الوقت فصاعداً لم يعد ما تحت الأرض ملكاً للدولة، باسم الحق الطبيعي جعل ما تحت الأرض ملكاً لملاك الأرض. ومرة أخرى تصير الحرية مرادفة للملكية.

في بداية القرن التاسع عشر بدا أن مبدأ دعه يعمل قد انتصر نهائياً. لكن مع ذلك لم يكن المجال مجال منافسة محضة وكاملة: التفاهم بين أرباب العمل تتعدد مظاهره، الصناعيون يضغطون على الدولة من أجل الحصول على امتيازات. لقد ظهر واضحاً بما فيه الكفاية أن الحرية هي حرية في اتجاه واحد فقط، في صالح أرباب العمل فقط الذين يريدون تنظيم الحياة الاقتصادية لصالحهم.

ـ ظهور مبدأ «دعه يمر»:

هذا النمط من الليبرالية يفسر الصعوبات التي واجهها التبادل الحر والغاء الحواجز الجمركية. انجلترا القديمة الارستقراطية والعقارية تعارض ذلك، لكن شيئاً فشيئاً فهم رجال الصناعة أن غلاء أسعار القمح البريطاني سوف يجبرهم على دفع أجور عالية. وهذا عائق أساسي أمام صناعة والتي أسواقها في جزء كبير منها خارجية، عام 1841 رتشارد كوبدن وجون برايت، زعيما حركة التبادل الحر، اطلقا حملة عنيفة والتي أدت عام 1846، وبفضل دعم رئيس الوزراء ، روبرت بيل، إلى الغاء «قانون الحبوب» والذي يمنع أو يحد من استيراد الحبوب.

في فرنسا النضال من أجل «دعه يمر» بدا متردداً العهد القديم الغي امتيازات الشركات التجارية الكبرى، كما عقدت اتفاقات تجارية تخفض من الرسوم الجمركية، تورقو شرَّع حرية انتقال الحبوب عام 1784، الجمعية التاسيسية واصلت هذا التوجه بحذر نحو الليبرالية، إلا أنه وخلال مرحلة «الكونفنسيون ـ الاتفاق» أجبرت المصاعب الخارجية والحرب فرنسا على الأخذ بنظام الحماية، الاندفاع الليبرالي لم يصبح حقيقة إلا ابتداء من عودة الملكية، ولكن يجب انتظار عام 1836 حتى نشهد أول تخفيض في الرسوم الجمركية.

ـ خصائص الرأسمالية الليبرالية:

من خلال الصراع الذي خاضه رجال الصناعة من أجل حرية العمل والاثراء، وضع تنظيم جديد للاقتصاد، لقد اختارت الرأسمالية الصناعية الليبرالية.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

استخدام التقنية الصناعية صار فيها شيئاً فشيئاً غالباً ، وتراكم الرأسمال، بفضل الربح، صار في مركز النظام بالنسبة للمدافعين عنها، ديناميتها يضمنها رجال الأعمال وحرية العمل، الرأسمالية الليبرالية تعطي الحرية الكاملة للمبادرة الفردية أو على الأصح لأولئك الذين يملكون. الدولة لا تلعب فيها إلا دوراً هامشياً ـ دور شرطي ـ وأكثر ما يطلب من الدولة أن تكافح اللوائح القديمة من أجل تأسيس «دعه يعمل» وربما أيضاً «دعه يمر». لكن دورها كشرطي، مع ذلك ، ليس بدون علاقة مع حرية «الأقوياء» جيشها وبوليسها يحطمان معارضة العمال ويحميان الملكية ضد هجمات الطبقة «الخطرة».

الحافز الأساسي لنشاط رجال الأعمال الرأسماليين هو الربح، البحث عن الربح صار مباركاً بالنسبة للمدافعين عن الرأسمالية، في الحقيقة، كما يقولون، الربح يدفع الرأسمالية إلى إنتاج السلع التي كانت ناذرة والبحث عن التجديدات التي تتيح خفض الأسعار للنضال ضد المنافسين، وفي النهاية فإن مجموع المستهلكين يربحون في هذا أيضاً، ومن ناحية أخرى فإن استخدام الربح هو في قاعدة تراكم الرأسمال.

الملكية الخاصة لأدوات الإنتاج التي تضمن الربح كما تضمن استقلالية رجال الأعمال في مواجهة الدولة وتمنحهم مجالاً واسعاً في حرية القرار وتدعم سلطتهم. لقد صارت إحدى القواعد الأساسية في النظام الرأسمالي.

إذا كانت حرية العمل والملكية الخاصة يضمنان للرأسمالية الليبرالية ديناميتها، فإن السوق يجب عليه أن يتيح لها تلقائياً الوصول إلى توازن مرْضٍ. الليبرالية الاقتصادية تلحق بالليبرالية الاديولوجية والسياسية.

وفق منظري الرأسمالية الليبرالية. أنه بواسطة لعبة المنافسة يضمن السوق إنسجام العرض والطلب، والسعر يتحدد في المواجهة الحرة بين العرض والطلب ويلعب على مستويين:

في مستوى الطلب عند المستهلكين فإنه يخدم كأداة ترشيد الطلب، إذا كان الطلب فائضاً جداً فإن الاسعار ترتفع مما يجبر مستهلكين على الانسحاب، وإذا كان بالعكس الطلب غير كاف فإن الاسعار تنخفض وهذا يحفز المستهلكين على الشراء أكثر بما يستوعب الفائض من الإنتاج.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

وفي مستـوى الطلب عنـد الوسطـاء «... وعـا... فإن السعر يتيح توجيه الموارد المنتجة حسب مؤ... ترتفع... فإن رجال الأعمال يندفعون إلى الإنتاج أكثـر... والتجهيزات الـلازمة. والمواد الخام وتشغيل... وبهذا... أوامر المستهلكين لتعـم مجموع السوق. وإذا... المنتجين يحبطون ويفلسون، والطلب على أدوا... منخفض، أمر المستهلكين ينتقل إلى الأسواق الأخرى حيث...

في الظروف الطبيعيـة، التوازن بين العـ... إليه بواسطة أداء السوق هو أفضل الممكن، في... يوظف فإن هناك ضغط إلى خفض أسعاره.

هكذا البطالة يجب أن تقود إلى خفض ا... إلى خفض التكاليف وزيـادة الأرباح والتي تق... الإنتاج... يتم استيعـابها. والتـوازن الجديد بين العـرض... الطلب يتـم مع... الكاملـة، أهمية التصديـر بالنسبة للصناعـة... التفكير يمكن أن يصدر عن أناس في الظاهر ج... جداً.

من ناحية أخرى، عندما تكـون الأرباح... جداً فإن رجال أعمال... يغريهم ذلك ويـدفعهم إلى انشاء مصانع جـد... منافسة يخفضـها الاسعا... تقود الـربح إلى مستويات طبيعيـة أكثر، ولكـ... صاعفوا أرباحهم فإن رجال الأعمال يجدون أنفسهم مرغمين على التجديد

من الـواضح أننا في كـل هذا في حضـ... وجهة نظـر محض نظريـة... وايديولوجية. من السهل أن تفهـم أن تخفيض... أجور يؤدي إلى... في البيع وأن تخفيض الأجور يخاطـر بأن يزيد في قصـ... البيع إذا أعتقد المستهلكون أو أملوا أن أن تنخفض الأسعار أكثـر. أهمية التـ... بالنسبة لـلإنتاج البريطاني الناشيء مكنته من اخفاء هـذه الحقيقة، ذلك لأن العمال، ذوى الأجور المنخفضة ـ أو العاطلين ـ ليسوا الزبائن الـرئيسيين للصناعة البريطانية، لكن ذلك لم يمنع الرأسماليـة الناشئـة من مواجهـة أزمات حـا... جداً، وبكل وضـوح لم يظهر الاتجاه المفترض نحو استيعاب البطالة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

[illegible] رونها أكثر مـن أنهم يفسرونها هذا التبريـر [illegible] من الرجال (رجال الصنـاعة) على الاقتصاد [illegible] ى للسلطة وللنقود، ولكن فعلهم يسمح بنشر [illegible] تاج.

إن ثمة [illegible] ديولوجية الليبراليةوواقع النظام الاقتصادي الذي يهيمن على بريطانيا في [illegible] لقرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. في النظرية الدولـة لا تتـ[illegible] إقع أنها تسمح بإعادة تـوزيع حقيقي للناتج الـوطني. إن ميزة رجـال الـ[illegible] الصناعيين ليسـت في أنهم قضوا على تـدخل الدولة، ولكن في أنهم حولوه إلـ[illegible] الحهم وصالح النمو الصناعي.

2ـ الأزمات الاجتماعية و[illegible] لاقتصادية للرأسمالية الليبرالية:

إن نشأة الرأسمالية مـ[illegible] مة بإزمات حادة اقتصاديـة واجتماعية، لقد مست هـذه الأزمات انجلترا أولاً، هي البلـد الذي عـرف قبل غيره الـرأسمالية الصناعية قبل أن تعم أوربا.

ـ ظهور صراع الطبقات:

أول الأزمـات الاجتماعيـة في الـرأسماليـة جعلـت المزارعين الانجليـز في مواجهة مع أنصار التسييج، ثم ظهر الكفاح، الخاسر مسبقاً، الذي قاده المهنيون ضـد الصناعـة، ولكن سريعـاً ما جعـل الصراع الاجتماعي العمال في مواجهـة الرأسماليين.

ـ الرأسماليون:

لقد وجد رأسماليون منذ زمن طويل، لكن نشاطهم كان ينحصر عموماً في التجارة وفي المصارف، علاقتهم بالناس المنخرطين في الإنتاج كانت غير مباشرة، اما رجال الصناعة فكانوا في مواجهة من لا يملكون كثروه إلا قوة العمل.

مع ذلك، وإن صار رجال الصنـاعة محرك التحولات الاجتماعية إلا أنهم ليسوا القوة الوحيدة في مواجهة العمال، إنهم ليسوا إلا أحد عناصر البورجوازية والتـي منـذ قـرون تحاول السيطـرة على السلطـة وانتـزاعهـا مـن حـوزة الارستقراطية، أن أصـالة ما قام بـه رجال الصناعة تكمـن في أنهم شيئاً فشيئاً

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

أعادوا تنظيم الطبقة البورجوازية ليجعلوا منها معاً قاعدة اقتصادية ومدار اجتماعي، وتصريف مدخراتها ، وباعادة توجيه الدائرة المالية.

ـ الطبقة العاملة:

إن أغلب العمال هم من المزارعين أو المهنيين أو الحرفيين، الذين أفلسوا أو طردوا من قراهم ومن أراضيهم، يعيشون في شروط سكنية وصحية سيئة جداً، الحرفي فقد مؤهلاته والرفيق فقد وضعه، أننا هنا أمام واقعة اخصاء المواهب كلهم من النازحين الذين تعتبرهم البورجوازية مفيدين جداً ولكن في ذات الوقت خطرين. في فرنسا كان يتوجب على العامل حمل كتيب عمل والذي عليه ابرازه عند طلب البوليس وفي بريطانيا العامل الذي يترك صاحب العمل الذي يعمل عنده معرض للسجن فانهم بالعكس في اتصال مباشر مع العمال، ورجال الصناعة عموماً كانوا من أصول اجتماعية متواضعة، ذلك لأن كبار التجار وكبار الارستقراطية لا يدخلون إلا نادراً في مغامرات الصناعة. رجال الصناعة عادة بدأوا من قدر صغير من المال، ذلك لأن الآلات الأولى كانت قليلة التكلفة ونمو مشاريعهم يرتبط أولاً بما يعيدون استثماره من أرباحهم، المصرفيون يقرضون الدولة وكذلك يقرضون الارستقراطيين والتجار بسهولة أكثر مما يقرضون رجال الصناعة الذين سمعتهم لم تتكون بعد ولم تتأسس الثقة فيهم، ومن ناحية أخرى فإن تنظيم المشاريع كان أكثر صعوبة، إذ يتوجب عليهم فرض نظام شبه عسكري على العمال الذين ليست لديهم عادة للعمل الجماعي.

الحاجة إلى التمويل الذاتي وإلى التنظيم جعلت من رجل الصناعة مستغلاً للعمل، وجعلت من الاستغلال قاعدة تراكم الرأسمال. بينما المهني كرب عملي لا يتميز عن رفاقه إلا قليلاً، فإن رجل الصناعة يواجه العمال بقوة، نجاحه قائم على استغلال العمال، تراكم الرأسمال الثقني يسمح له اخضاع أولئك الذين لا يملكون إلا قوة عمل.

شروط العمل قاسية جداً، يوم العمل ليس أقل من 12 ساعة ليس هناك إجازات، ولا أيام عيد، عمل النساء والاطفال هو القاعدة، عملياً الأطفال يجبرون على العمل منذ بلوغهم السادسة من العمر، ويجب انتظار منتصف القرن التاسع عشر لكي نلاحظ في بريطانيا وفي فرنسا ظهور لوائح تنظيم العمل بالنسبة للنساء والأطفال.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

أما بالنسبة للاجور فإنها بالكـاد تكفي الضرورات، العامل غالباً مريض، هزيـل، عام 1840 في فـرنسا من 10000 الاف مجنـد من المدن توجـب إعادة تكوين 9000، عام 1847، المنظمات الخيرية في باريـس كانت تقدم العون لعدد يقدر بـ 1328000 شخص.

ليس من الغريب إذن أنه، خـلال تلك الحقبة، تنهض الحركة العمالية أولاً ضد الثورة الصناعية، محاولة بدون نجـاح العودة إلى نظام التعاونيات القديم، ثم تهاجم الآلات مباشرة ، تحطيـم الآلات أو ما عرف «باسم لـوديزم» نسبة إلى نيدلـود الذي عبر عن أسس الحركـة البسيكولـوجية ازداد شراسة في فـرنسا، بلجيكا، في الريناني، وفي انجلترا، إلا أنه ابتداء من 1825 حاولت الحركة العمالية تنظيم نفسهـا مطـالبة بحـريـة تكوين روابـط. عقلية جـديـدة عمالية ولـدت، البورجـوازية لم تـدرك بدون خـوف هذه المقـاومة العماليـة، لقد كـان العمال يعاملون كالبهائم ، والقمع صار أكثر فأكثر قسوة، هذا القمع ظهر بكل وضوع خلال أيام يونيو 1848.

ـ الازمات الاقتصادية لفائض الإنتاج:

هذه الأزمات الاجتماعية كانت حادة لتفاعلها مع أزمات اقتصادية سببها فائض الإنتاج الـذي ظهر أولاً في انجلترا ثم في فرنسا قبل أن يعـم بلدان أخرى. الأولى من هـذه الأزمات ظهرت عـام 1815، رجال الصنـاعة الانجليـز نظروا بتفـاؤل مبالـغ فيه نتـائج انفتاح السـوق الأوربي في نهايـة المقاطعـة للإنتـاج الانجليزي، والثانية حذتت عـام 1825: الاسعار انهارت (60٪ بالنسبة للقطن 21٪ بالنسبة لـزهر الحديد) والتجارة الانجليزيـة انخفضت من 38,9 مليون جنيه عام 1825 إلى 31,5 مليـون جنيه عام 1826، أكثر مـن نصف المصارف أفلست والبطالة ارتفعت بين العمال.

بتواليها بشكل منتظم كل ثماني أو تسـع سنوات، فإن الأزمات أخذت في كل مرة تزداد حـدة وشمولية، كثيرون، وخاصة مـاركس، رأوا فيها إشارة إلى انهيـار وشيك للـرأسمالية. لماذا حـدة هـذه الازمـات حتى عـام 1850 مع أن الرأسمالية كانت تحقق تقدماً تقنياً وصناعياً؟.

في الواقع الازمات الاقتصادية مخ خطورتها وأثارها الاجتماعية السلبية

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ليست راجعة إلى الرأسمالية إلا جزئياً، أنها ترجع أساساً إلى نتائج انتصار الرأسمالية على الزراعة التقليدية والحرفية، كذلك إلى عدم تكيف البني الإدارية التجارية والمصرفية مع أنماط الإنتاج الجديدة.

في الحقيقة ، التسييج، والأنظمة الجديدة في الزراعة قذفاً بافواج إلى سوق العمل تأتي لتضخم جيش العاطلين من أصحاب الحرف، وبعيداً عن الاستجابة لحاجة الصناعة فإن الهجرة من الريف تجاوزت حاجة الصناعة من اليد العاملة.

في مثل هذه الظروف تكون الأسعار المنخفضة هي القاعدة، وقصور الاستهلاك لا يمكن إلا أن يزيد في حدة أزمة فائض الإنتاج.

من ناحية أخرى عدم تكيف البني الإدارية كان يكبح تطور الرأسمالية، المؤسسات النقدية والمصرفية احتاجت وقتاً طويلاً لتتكيف، والدولة لم تكن تعرف كيف تتدخل لمكافحة الازمات، ومحاولة ذلك عبر المعامل الوطنية أو الورش الوطنية مثلاً كانت غير مناسبة. وأخيراً وسائل الاتصال الدولي كانت بدائية. فلم تمكن الرأسمالية البريطانية خصوصاً من العثور بالخارج على أسواق تسمح لها بتعويض ضعف السوق الداخلي.

في مثل هذه الظروف لماذا لم يحصل الانهيار؟.

لأن التقدم التقني كان يدفع إلى التوسع. في أسوأ ظروف الأزمة تبدو دائماً عوامل انتعاش تلقائي، الاقتصاد مدفوعاً بشكل من الأشكال إلى الأعلى بواسطة التجديدات وهكذا، عندما صارت الأزمة عامة بعد 1830، فإن انشاء خطوط جديدة للسكة الحديد اعاد إطلاق التوسع ذلك لأن الأزمة أدت إلى خفض أسعار الحديد، وجعلت المضاربين يأملون تحقيق أرباحاً هامة.

3 ـ انتصار.. توسع.. ورفض الرأسمالية الليبرالية:

بينما تنبأ المنظرون الاشتراكيون عام 1830 بانهيار الرأسمالية فإن نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين اتصفتا بانتصار الرأسمالية.

في بداية القرن التاسع عشر. كانت البلدان الصناعية تمثل 10٪ من سكان العالم، ولم تمثل أكثر من 30٪ في نهاية القرن المذكور. الازدهار الاقتصادي

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

فيها كـان معتبراً منذ عـام 1860 إلى 1913 تضاعـف الإنتاج الصنـاعي سبع مرات: إنتاج الحديـد تجاوز 5,1 مليون طن ما بين 1855 و 1859 ليصير 57 مليون طن مابين 1910 ـ 1913، والصلب قفـز إنتاجه من 06 و إلى 53 ملون طن، العمـران في أوربا يـزدهـر وكذلك في أمـريكـا الشمالية، التجـارة العالميـة مزدهـرة، قدرت هـذه عام 1851 بـ 997 مليـون جنيه استرليني لتصـل عام 1913 إلى 10,7 مليارد جنيه استرليني، ومن ناحيـة الأجور ومستوى المعيشة فانهما شهـدا ارتفاعـاً. الدخـل الحقيقي زاد من 70 إلى 100٪ مـا بين الاعوام 1850 و 1913.

في مقابل ذلك، إنتـاج البلدان، التي تكون اليـوم ما يعرف بالعـالم الثالث، صار أقل من إنتاج البلدان المصنعة أو التي في طور التصنيع.

3 ـ انتصار توسع ورفض الرأسمالية الليبرالية

ـ الرأسمالية الصناعية تكيف محيطها:

أولاً وقبل كـل شيء البني التجاريـة والماليـة والإدارية أخـذت في التكيف فالاقراض منذ بداية الحقبة عثر على ابنية مستقرة وفعالة، كما أن القانون سهل تطور الشركات المساهمة وتعبئة الادخار لصالح الصناعة وحلت الاساطيل التي تسير بالبخار محل تلك التي تسير بالاشرعة، وفي عام 1869 شق قناة السويس خفض إلى النصف مدة الرحلة بين أوربا وآسيا.

كما أن البني الإدارية أخذت تتكيف، والدولة تتدخل سواء مباشرة لصالح النمو الصناعـي (كما هو الحال في المانيا واليابان) أو كما هـو الحال في الولايات المتحدة بواسطة انشاء وسائل الاتصال أو إصلاح أراضي جديدة.

روسيا فقط، بلد يتصف بما قبل الرأسماليـة، لم تتوصل إلى ابنية للدولة متكيفة، كما أن ثورة 1917 وضعت حداً للرأسمالية الناشئة فيها.

الانسجام المتعاظم لـلأبنية مع حاجات التطور الصنـاعي انضاف ابتداء من 1850 وخصوصاً 1875 إلى توسع الأسواق.

في أوربا القوة الشرائية العمالية تزداد، والهجـرة إلى أمريكا قضت جزئياً على البطالـة في أوربا، لقد رحل حـوالي 45 مليون شخص نحو القـارة الجديدة،

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

والأجور الحقيقية للعمال ترتفع من 50 إلى 100٪، في الولايات المتحدة ظلت دائماً مرتفعة لأن نذرة اليد العاملة كانت هناك حادة.

اتساع الأسواق الداخلية يجيب عنه اتساع المنافذ الخارجية أوربا صارت امبيريالية، وانطلقت نحو الفتح الاستعماري، زاد السكان في ظل النظام الاستعماري من 300 إلى 500 مليون ما بين 1813 ـ 1900، وهذا دون الأخذ في الحساب الصين الخاضعة لنظام «التنازلات»، الولايات المتحدة فقط ظلت خارج الفتوحات الاستعمارية، في الواقع منشغلة بفتح الغرب (الأمركي) حلت امبيريالية داخلية محل الامبيريالية الخارجية.

من 1876 إلى 1913 تضاعف حجم التجارة العالمية ثلاث مرات. نظام الحماية الذي كان عاماً ابتداء من 1890 كان في صالح هذه الزيادة. في الواقع، في تلك الحقبة، حيث التجارة تتطور بين بلدان ذات مستويات تطورية غير متساوية لا يمكن أن تكون للتبادل الحر غير نتائج مخيبة للآمال، أنه يكون في صالح البلدان المتقدمة بينما يشل التطور الصناعي عند الآخرين، غير أن التجارة العالمية هي أولاً حسب معدلات النمو للاقتصاد العالمي، وبحماية صناعاتهم الناشئة من المنافسة الخارجية فإن بلدان مثل ألمانيا والولايات المتحدة أو اليابان تعمل لصالح تطور تجارة المواد الخام والتجهيزات.

إلا أن التوسع الخارجي لا يمكنه أن يكون بلا نهاية، وابتداء من عام 1900 بدأ الصراع بين القوى الصناعية وصار حاداً، ليؤدي إلى مواجهة بين الامبيرياليين وإلى الحرب العالمية الأولى.

ـ الشركات الرأسمالية تتكيف:

رواد الرأسمالية الصناعية كانوا أفراداً وحيدين، كثير منهم صنعوا منشآتهم بدون مساعدة خارجية، وعندما كان هناك تشارك فأنه لم يكن يجمع إلا بعض الأفراد.

في الحقيقة مرحلة الآلة لم تكن إلا مرحلة مخاض، والإنتاج لم يكن يتطلب إلا رأسمال محدود. ومن ناحية أخرى ظلت المنشأة غالباً صغيرة جداً، ولم يكن لها تأثير على السوق، كما أن مبدأ المنافسة المحضة والكاملة كان يمكن التحقق منه في الوقائع، وحالات التركز (التجمع) ظلت استثناء.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ابتداء مـن النصف الثاني للقـرن التاسـع عشر، نرى على العكس ظهـور منشآت قوية والتي أثرنا إلى ازدهارها في الولايات المتحدة.

أسباب هذا التركز متنوعة: أنه يهدف أحيـاناً إلى الحد من المنافسة بوضع أسعار احتكارية، وفي حالات أخرى يرجع ذلك إلى شخصية رجل الصناعة الذي كان قاعدة الامبراطورية صناعية، وغالباً ما يستجيب التركيز لضرورة مواجهة متطلبات الآلة التي تطلب أدوات وتتطلب كميـات متزايدة من الرأسمال. أن نمط ولادة التركيز وأشكالـه تتنوع من جانب إلى اخـر من الاطلنطي. في أوربا اتحاد الاحتكارات الصناعية ينشأ غالباً من عـائلات بورجوازية، وتكون ثمرة صعود بطيء في الولايات المتحدة تنشأ عن أصول أكثـر تواضعاً، ولكن صعوداً كالبرق رفعهم إلى الصف الأول.

في التجارة، التركيز كان أقل وضوحاً، مع ذلك المتاجر الكبرى بدأت تظهر خـلال الفترة تلك. عام 1852 بـوسيكوت أسـس في باريس «لـوبون مـارشي» «سوق الاسعـار الرخيصـة». في الولايـات المتحدة نشـأ «البريز ونيك» السعـر الـوحيد، في كل الأحـوال تمت الهيمنة على الصنـاعة مـن خلال عـدد صغير من مراكـز القرار. قطـاعات واسعـة من الاقتصاد صـار خاضعـاً ومنظماً من قبل بعض المشـاريع الكبرى، وسوف نـرى هذه الظاهـرة عندمـا نتعرض لـدراسة الرأسمالية المعاصرة: لقد صار هذا أساسياً فيها.

في داخل المشاريع نشـاهد بالتوازي انـدفاعاً نحو التنظيـم، هذه الحركة واضحة خصوصاً في الولايات المتحـدة، حيث اقترح تايلور تنظيماً علمياً للعمل، تايلور منحدراً مـن طائفة من الكاكيرز ذات النظام القاسي، بـدأ مهنته كعامل، في بضعة أشهر صار رئيس الورشـة، نفوره الفطري من اللا نظام ومن الارتجال دفعه إلى محاولة دراسـة الآف الحالات مما أتاح له أن يكتشف المبـاديء العامة لتنظيم العمل. عـام 1911 ونشر كتابـه «مباديء الإدارة العلميـة للمشروعات» والذي يمكن تلخيصه في نقاط ثلاث:

1 ـ تكييف الآلة أو الأداة مع الجهد .

2 ـ قياس زمن العمل بتحليله إلى عمليات أولية.

3 ـ حساب الأجر وفق العائد.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

في الواقع هذه أديولوجية حقيقية والتي يقترحها تايلور، ذلك أنه لم يهدف إلى شيء آخر غير سعادة الطبقة العاملة، في القرن العشرين، اعتقد الوصول إلى الغاء الزمن الضائع والتبذير، وبالتالي زيادة الإنتاج، وهكذا يمكن أن يتحسن مستوى المعيشة. مقتنعاً بأنه يصنع خيراً للأنسانية فإن تايلور لم يفهم معارضته العمال الذين يحيلهم إلى مجرد ترس في آلة. يمنعهم من مجرد التفكير «ليس مطلوباً منكم التفكير ـ يقول تايلور ـ هناك أناس مدفوع لهم لأجل هذا» وهكذا تبين أن نظامه ليس علمياً إلا في الظاهر، فهو لا يعتد إلا بالجهد الفيزيقي، لقد نسى أن التوتر العصبي والشعور باللا تكون إلا ترساً في تنظيم جماعي قوي هي أيضاً عوائق في وجه زيادة الإنتاج.

لقد جرى تدارك اخطاء تايلور بعد ذلك، إلا أن الرجل الذي طبع أكثر من غيره اديولوجية الرأسمالية الناشئة في القرن العشرين كان نبي التنظيم وليس التنافس الحر ولهذا معناه.

4 ـ اشتداد الرفض الاجتماعي:

التغيرات التي حذتت في الرأسمالية الليبرالية أتاحت لها شيئاً فشيئاً أن تخفف من التشوهات ومن عدم تكيف التقنية الاقتصادية والمؤسساتية التي وصمت الفترة الأولى من تاريخها. من ناحية أخرى عوامل قوية عملت لصالح الانتعاش الاقتصادي وعرف النصف الثاني من القرن التاسع عشر انفراجاً في الأزمات. لكن الاتقان الاقتصادي لم يتوصل مع ذلك إلى القضاء على التناقضات الاجتماعية في الواقع. في الأساس الطبقة العاملة لا تشارك في السلطة، البورجوازية تستحوذ على الملكية والتي في تلك المرحلة قاعدة كل سلطة وكل اعتبار، وتستحوذ على التعليم الذي لم يصر ديمقراطياً إلا في مستوى الابتدائي وعلى الدولة التي تمدها بالأطر السياسية، انتصار الرأسمالية الليبرالية صار في هوية مع انتصار البورجوازية.

العالم العمالي، الذي أهميته العددية تزداد يوماً بعد يوم، بدأ يعي قوته، وأخذ ينظم نفسه ويعارض على النظام الرأسمالي الفردية التي كانت تسم المرحلة الليبرالية تخلت شيئاً فشيئاً عن مكانها لصالح رأسمالية المجموعات،

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

والدولـة صارت منـذئذ عنصراً من عناصر النمـو. وصعود النقابيـة يجيب على التركيز الصنـاعي الدولّة البورجـوازية صار يتـوجب عليها مواجهة الانـدفاع الاشـتراكي.

ـ صعود النقابية:

بعد عام 1848 بدات نقابية المرحلة الصناعية في الظهور، في فرنسا جرت هذه الولادة من خلال احداث ثوريـة، أيام يونيو 1848 صبغت القطيعة الأولى بين الطبقة العـاملة والأسة، إلا أن الوعـي الطبقي لازال ضعيفاً، وغالبيـة الطبقة العـاملـة لا تهتم كثيراً بـالمعركـة النقـابيـة. منتهـزة هذه الفـرصـة، حـاولت الامبراطوريـة لتصالح مع العمال. في عام 1862 اذنـت الحكومة ومـولت رحلة وفـد عمالي فرنسي إلى معـرض لنـدن العـالمي، في عام 1864 جعلـت الحكومـة الاضراب شرعياً. وفي عـام 1868 قبلت تكوين غرفـة نقابية وقد كـانت مناورة نابليون الثالث ذكيـة لدرجة أنها إلى حد ما تمكنت من الدفع بالنقـابية الفرنسية إلى اتخاذ موقف عملي «براغماتي» والذي كانت عليه النقابات الانجلو ساكسون. لكن ثورة الكومون منعت تطور هذا التوجه.

ثورة الكومون حادت تـاريخي، أنها قبل كل شيء تمرد باريسي جمهوري ضد جمعية وطنيـة ملكية وأقاليمية، أنها نتاج تدمـر وسخط الشعب في باريس والذي تكبـد حصاراً رهيباً ضـد جيشه المحترف والذي فضـل الاستسلام على القتال. الكومون ليست فقط تمرد عمالي، وإذا كان المقـاتلون في الشوارع أساساً من العمال والحرفيين، فإن قـادة الكومـون هو أسـاساً من البـورجوازيـة هذا الحادث التاريخي، مع ذلك، صار مفتاح فهم تاريخ فرنسا المعاصر.

القمع الـذي واجهتـه كـان رهيبـاً، 30000 كـومـوني اعـدمـوا رميـاً بالرصـاص، بينهم العديد من النساء والأطفال، وكل الأطـر العمالية التي نجت من المجزرة تم نفيها، الطبقة العمالية مندئذ صارت في قطيعة مع الأمة.

لكن الفشل، مع ذلك، لم يقتل الكومون، بالعكس هذا التمرد الوطني صار بعد ذلك أسطورة اشتراكية، صار أمل، ثورة الكـومون أسست نمطاً جديداً من أسلـوب الحكم، والـذي جعل العمال يلمحـون نهايـة الـدولـة البورجـوازيـة، والاصلاحـات التي شُرع فيهـا كانت تعلن الـديمقراطيـة الاقتصاديـة (في عام

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

1945، الإدارة الذاتية اليوغسلافية أخذت كنموذج الوضع القانوني للورش في فترة الكومون)، أما الماركسيون، مع أن تأثيرهم فيها كان محدوداً فقد حاولوا أن يستخلصوا من فشلها دروساً مفيدة.

وخلال الحقب التي لحقت، يسبح في ذكريات الكومون، وتحت تأثير قوي من قبل الاتجاه الفوضوي، جيل جديد من العمال بدأ في الظهور، صفّى النقابيين الماركسيين الذين كانوا يرون إخضاع النقابة للحزب، وانطلق في نهاية القرن التاسع عشر في تجربة لا مثيل لها في العالم: الامبيريالية النقابية.

الامبيريالية النقابية تعني رفض اندماج النقابات في حياة الأمة، منظر وداعية هذا الرفض هو ف بيلوتيير الذي أسس بورصات العمل عام 1882، وجمعها في اتحاد عام 1892. وبفضل حماسه عاشت الحركة النقابية ازدهاراً ملحوظاً، فمن 139000 عضو عام 1890 وصلت إلى 1626000 عضو عام 1914.

النقابة العامة للعمل C.G.T ولدت عام 1895 وتمكنت من تحقيق وحدة مجموع التنظيمات العمالية ذات التوجهات الاشتراكية. صحيح أنه ابتداء من عام 1911 بدأت الامبيريالية النقابية تخفت، توجه النقابة العامة للعمال كان أقل ثورية، إلا أن العقلية النقابية الفرنسية بقيت مطبوعة بهذا التوجه.

وبالتوازي مع صعود النقابة العامة للعمال اخذت حركات نقابية إصلاحية متنوعة في الظهور، هكذا نشأت عام 1887 النقابة الفرنسية للعمال المسيحيين تستوحي المنشور البابوي «ديروم نوفاروم» والتي صارت C.F.T.C. إلا إنه وحتى عام 1914 تبدو النقابة العامة للعمال على أنها النقابة الوحيدة ذات الأهمية، والتي يفضلها ظلت الطبقة العاملة موحدة.

وبينما كانت الحركة النقابية الفرنسية تتأكد على أنها ثورية، فإن الاصلاحية تتغلب في معظم البلدان الأخرى خصوصاً في انجلترا والولايات المتحدة.

في انجلترا اتحادات المهن التي تجمع العمال المؤهلين حاولت فقط تحسين ظروف العمال، ولم يكن لها أي اديولوجية طبقية، وعندما ابتداء من 1870، وسع اتحاد العمال تأثيره شاملاً مجموع العمال سواء كانوا مؤهلين أم لا،

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ظهرت فيه اتجاهات اشتراكية، ولكنها قادت الحركة العمالية بعيداً جداً عن الماركسية وعن الفوضوية.

الحركة النقابية في أمريكا احتاجت وقتاً طويلاً للظهور، بعد فترة «فرسان العمل» والتي ما بين عام 1870 و 1892، دمجت أهداف سياسية مع أهداف نقابية، ولد الاتحاد الأمريكي للعمل والذي ظل وفياً للنظرية الاصلاحية عند اتحاد العمال البريطاني.

النقابات الالمانية، من جانبها، تؤكد نفسها ماركسية، مع ذلك اهتمامها بالتنظيم، وقوتها المالية، وبيروقراطيتها جرتها شيئاً فشيئاً إلى التوجه الاصلاحي كواقع.

في النهاية، سواء كانت ثورية أو كانت إصلاحية، فإن الحركة النقابية تمثل قوة ذات اعتبار، لقد صارت النقابات القوة الاجتماعية الرئيسية في كل البلدان الرأسمالية. والخطر الذي تواجهه الرأسمالية صار أكبر عندما صاحب صعود النقابية تأكد الاحزاب الاشتراكية.

ـ صعود الاشتراكية:

نهاية القرن التاسع عشر عرفت في الحقيقة دفعة عامة للاديولوجيا الاشتراكية المصطبغة بالتأثير الماركسي، العالم العمالي صار يسبح في ماركسية غامضة اشاعها بين العمال جمهرة من الدعائيين تلقائياً أو قصداً، يحتفظ فيها من ماركس خصوصاً بنظرته إلى المستقبل: انهيار الرأسمالية، مجتمع بدون طبقات، وبدون دولة، ودكتاتورية البروليتاريا.

في كل مكان، الاحزاب الاشتراكية تظهر، حاصدة نجاحات مهمة في الانتخابات، وقبيل عام 1914، الديمقراطية الاشتراكية الالمانية، حزب العمل البريطاني و S.F.1.0 الفرنسي تمكنت من احراز الاغلبية. في روسيا، اتجاهات اشتراكية متنوعة اخذت تتقدم، وقد ظهرت قوتها بعنف في ثورة 1905.

المحاولة الأولى لتوحيد التوجه الاشتراكي على المستوى الأوربي كانت في تأسيس الأممية الأولى في لندن عام 1864، لكنها كانت محاولة غير موفقة، ذلك لأن خلافات داخلية، خصوصاً بين ماركس وباكونين، أدت إلى حلها عام 1876.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الأممية الثانية ولدت مع تأسيس أحزاب اشتراكية كبرى في أوربا عام 1889، وحاولت أن تضع موضع التطبيق صيغة ماركس «يا عمال العالم اتحدو». كان وراء الأممية الثانية الانجليز والفرنسيون، أما في الواقع فإن الالمان يهيمنون عليها، وابتداء من عام 1907 كان همها الأول الحيلولة دون الحرب في عام 1912 قرارات بال الشهيرة التي تطلب الاضراب العام في حالة اندلاع الحرب هي المظهر الأكثر شهرة لعملها.

ولكن الغضب الوطني الذي اثاره صدام الأمبيرياليات كان قوياً، أقوى من أن يتخلى أمام اليتوبيا الاشتراكية الزعيم الاشتراكي الفرنسي، جان جوريس، حاول يائساً دفع الرأي العام إلى الانتفاض ضد الحرب خلال شهر يوليو 1914، في 31 يوليو أُغتيل جان جوريس، وانهار حلم السلام العظيم، لقد تغلبت النزعة الوطنية على الاشتراكية.

الطبقة العاملة في فرنسا قبلت بسهولة حماقة عام 1914 الدامية، والجيش، بفضل التعبئة العامة، كان جيشاً شعبياً لقد أراد ابناء الكومونيين أن يبينوا للبورجوازية، وللارستقراطية، الذين جيشهما فضّل سحق الكومون عن قتال جيش بروسيا، كيف يقاتل ابناء الشعب.

مع ذلك، إذا كانت الحرب قد أدت إلى تفادي وضع الرأسمالية موضع سئوال في أوربا، فأنها في روسيا أتاحت تأسيس نظام اشتراكي. وهنا تبدأ معركة العصر.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الفصل الثاني

ظهور التحدي 1917 ـ 1953

في عام 1917 ثـورة اشتراكية تنـدلع في بلـد هوروسيـا، حيث لم تنجح الـرأسماليـة في التغلـب على العقبـات التي يمثلهـا مجتمع واقتصـاد مـا قبـل الـرأسماليـة. حقيقة بعـد الأزمـة الثـوريـة الأولى عام 1905 بـدا أن السلطـة القيصرية تريد إنجـاز إصلاح حقيقي، حكومة ستوليبين بـدأت في توزيع حوالي 3,5 مليـون هكتـار من الأراضي على المزارعين. مـن سـوء الحظ، بعـد اغتيـال ستوليبين وقع القيصر تحت تأثير جماعات اجتماعية رجعية وتخلى عن محاولة الاصلاح، الثورة مندئذ صارت تقريباً محتومة.

غياب البورجوازية يفسر بدون شـك عجز الحكومة القيصرية عن تحقيق الاصلاح، لم يكن في روسيـا طبقة رأسمالية حقيقيـة، أغلب الرأسماليين كـانوا أجانـب، والطبقة الوسطى محدودة جـداً، في مواجهـة اقطاع قوي جـداً وبدون علاقة مع الوسط الصناعي. المثقفون المنحـدرون من الطبقة البورجوازية بدون أمل اقتصـادي وسياسي صـاروا فـريسة السـخـط والتدمـر غارقين في أحـلام طوبـاوية وأحيانـاً أرهابيـة. في هذا المناخ ، بـدأت في نهاية القرن التـاسـع عشر، النظرية الماركسية في الانتشـار، موضة الأفكار الماركسية مرتبطـة فيها بتمجيد البورجوازية ورجال الأعمال الصنـاعيين. ولم تتأكد الماركسية في روسيا كتيار ثوري قادر على بلورة التدمر والغضب العمالي إلا في بداية القرن العشرين. إلا أن أهمية تأثير المثقفين فيها كحركة ثورية أوقعها في نزاعات الشيع.

النظام السياسي القيصري لم يكن إلا بوليـس مرعب، غير قادر على تنظيم سليم للاقتصاد، وأن يقيم فيه إدارة عقلانيـة ومتكاملة. الفساد والاهمال سيد الموقف، ولتفـادي الانهيار التـام حـاول القياصرة مـرتين المغامـرة العسكريـة

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

1905 ــ 1914. مغامرة 1905 ضد اليابان ومغامرة 1914 ضد المانيا والنمسا، فكان الفشل نصيبهما. مدة الحرب عام 1905 وعام 1914 كانت الهزيمة مهينة جداً، حتى أن الجيش الروسي شهد أكبر عملية تمرد في التاريخ العالمي. ملايين الرجال رفضوا القتال الثورة البروليتارية تحصلت هكذا على دعم الفلاحين المعارضين للحرب، والراغبين في العودة إلى قزاهم لافتكاك الأراضي من سادتهم القدماء.

غضب الفلاحين كان نتيجة تراكم خلال عصور، الكسندر الثاني حاول حقاً عام 1861 الغاء العبودية. لكن هذا الالغاء لم يصاحبه توزيع الأراضي، اضف إلى ذلك أن مرسوم تحرير العبيد يجبر هؤلاء على العمل ثلاث مرات كل أسبوع في أراضي سادتهم القدماء، كما أن قطعة الأرض التي يقومون بزراعتها لحسابهم الخاص عليهم أن يدفعوا أقساط شرائها.

الطبقة العاملة الروسية حية ونشطة، خلال القرن التاسع عشر ارتفع عدد العمال من 95000 عام 1801 ليصل إلى 1742000 عام 1896. إلا أن القفزة الكبرى إلى الامام تبعت أزمة عام 1905 الثورية، وفي أقل من ثلاث سنوات، وبفضل تدفق الرأسمال الأجنبي تضاعف الإنتاج الصناعي، كما تجاوز عدد العمال الثلاث ملايين. هؤلاء العمال كانوا مجمعين عموماً في مصانع عملاقة ترجع ملكيتها للرأسماليين الاجانب. في عام 1914 كان التصنيع في روسيا أقل تقدماً منه في أمريكا، لكن التركيز في روسيا كان أكبر، لذلك توحيد وتعبئة الطبقة العاملة الروسية كان أكثر سهولة مما عليه في البلدان الرأسمالية الأخرى.

هكذا كان الوضع لحظة اندلاع ثورة أكتوبر، والتي أدت إلى إقامة أول نظام اشتراكي: أنه الاتحاد السوفييتي.

تأسيس هذا النظام أصلاً مشروع سياسي، يجب الوصول بفضل الاشتراكية إلى مرحلة الشيوعية، وهي مرحلة تاريخية والتي خلالها سوف يتصالح الفرد مع نفسه ومع المجتمع. اقتصادياً هذا المجتمع يتصف بالوفرة ويسير حسب مبدأ «من كل حسب جهده ولكل حسب حاجاته».

وإلى حين تحقق ذلك، فإنه يتوجب إقامة الاشتراكية والتي ليست إلا

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

مـرحلة انتقـالية، لها دور مـزدوج: من ناحيـة عليها القضـاء على الرأسماليـة بتصفية البورجوازية كطبقـة، وتطهير الوعي الجماهيري مما يمكن أن يعلق به من العقلية الـرأسمالية، ويتوجـب عليها من ناحيـة أخرى تأسيس الشيـوعية اقتصادياً. إلا أنـه بالنظر إلى مستوى تطور روسيا عـام 1917، فإن الأمر كان يتعلق قبل كل شيء بتشجيع التصنيع.

ولكـن ولكـي يمكن تحقيـق هـذا الهدف المزدوج، كـان يتـوجـب على الاشتراكية أن تستنـد إلى تدخل الـدولة، والتي تخضـع الصيرورة الاقتصـادية والاجتماعية لسيطرة سيـاسية مطلقة. الدولة مدعـوة، في المرحلة القصوى، أي الشيوعية، إلى الاختفاء، ولكن حتى ذلك الحين ينبغي الاحتفاظ بها حتى تعبر عن قوة الجماهير سيدة مصيرهـا، لقد قال لينين «الدولة هي البروليتـاريا منظمة في طبقة مسيطرة».

المشروع السيـاسي هكـذا واضح، لكـن المحتـوى التـاريخي لانجـازه خصوصي جـداً، حتى أن النظـام السوفييتي انـدفع أولاً في سلسلـة من البحث، غالباً براغماتي، لكي يمكنه مواجهـة مشاكل هائلة صنعتها الحرب ثم التصنيع. قبل إقـامة الاشـتراكية، يجب الاستيـلاء على السلطة، وتنظيم الاقتصـاد. النظام الاشـتراكي الذي انتصر اخيراً لم يخن ماركس: إنـه في العمق مطبوع بالصراعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي اقتضاها دعمه.

1 ـ المعركة من أجل السلطة والتصنيع:

عنـدما، في بـدايـة شهـر مارس 1917 انـدلـع الاضراب العام في سـان بطرسبورغ، لم يستغرق الأمر إلا بضعة أيام حتى يتمكن المتمردون من تصفية السلطـة القيصرية، لكـن لا شيء جـاهز لكـي يحل محلها. في مـواجهـة البرلمان «الدوما» الـذي يحاول انجاز ثورة بورجوازية، كـانت مجالس العمال والجنود تتأكد كسلطـة ثانية، في يـوليو 1917 عاد لينين إلى روسيـا من سويسرا عـابراً ألمانيا في عربة قطار مصفحة لقد فهم الوضـع سريعاً، ولهذا كانت شعاراته التي أطلقها «السـلام .. الحرية .. الأرض» جعلت منـه الزعيم الشعبي الـذي يستمع إليه أكثر من غيره. معتمداً اساساً على الطبقة العاملة في سان بطرسبورغ، وعلى الجنود المتمـردين ـ الهاربين من الخدمة ـ كان انصـاره البلاشفـة يطالبـون

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

بالحكم للسوفيتات، 7 و8 نوفمبر (25 ــ 26 اكتوبر في التقديم الروسي) انتصرت الثورة البلشفية السلطة بالكامل في أيدي السوفيتات ـ مجالس الشعب.

إن مجرد الاستيلاء على السلطة هو جرأة جنونية، اما اقامة الاشتراكية فيبدو أنه أمر لا يمكن التفكير فيه : لينين يريد ببساطة اقامة رأسمالية خاضعة للدولة، وأكثر ما كان يزعمه تأميم القطاعات الكبرى ودمج المصارف في مصرف واحد للدولة. لكن الوقائع برهنت على أنه حتى هذا المشروع كان أقل إمكانية للتحقق من الاشتراكية .

شيوعية الحرب:

كان على لينين أن يواجه خطرين عظيمين : انهيار الإنتاج والحرب. الرأسماليون، وقد تملكهم الخوف هربوا، كل المصانع تقريباً اغلقت أبوابها. مع ذلك كان لابد من مواجهة متطلبات الحرب الداخلية والخارجية.

من هذه الوضعية نتج نظام عام استثنائي جداً، والذي أثر بعمق على مستقبل الاتحاد السوفييتي. في عام 1917 تأسست الرقابة العمالية على المشاريع الصناعية، ثم في ديسمبر صدر قرار ينص على مركزية كل القرارات المهمة، الغي السوق، وهكذا تمكنت السلطات المركزية من توجيه كل الإنتاج وفقاً لمتطلبات الحرب. في يونيو 1918، أكمل هذا الاجراء بتأميم المشاريع الكبرى، ثم وسع ليشمل كل الصناعة في ديسمبر 1920. وأكثر من ذلك الغيت النقود.

ابتداء من 1920، ولكي يمكن بسهولة تغليب أوامر السلطة المركزية جرى اختزال سلطة السوفيتات إلى مجرد دور استشاري، السلطة في المشروع الاقتصادي تعود إلى المدير تحت رقابة دقيقة من الأجهزة الاقليمية والوطنية.

في الزراعة الغيت ملكية الأرض في نوفمبر 1917، ولكن تحت ضغط المزارعين صاحب هذا التأميم، في الواقع، تقسيم متساوي للأرض، إلا أن هذا التقسيم للملكيات الكبيرة لم يصاحبه عودة إلى الليبرالية، الاستيلاء أو المصادرة وفر بشكل أو بآخر حاجات المدن والجيش.

في النهاية، الاقتصاد يحكم من المركز وعلى أساس أولوية هي الحرب. منذ

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

مـرحلـة الشيوعيـة والحرب بـدأت تظهـر بعض مـلامح النظـام السـوفييتي الأسـاسية: الغاء الملكية الخاصة، الغاء السوق، إدارة مـركزية للاقتصاد، توجيه الاقتصاد ، وظيفة الخطة.

لكن هـذا لا يعني إلا افتراضـاً: ذلك لأن الاقتصـاد يوشك على الانهيـار، شيوعيـة الحرب قادت روسيـا إلى إفلاس اقتصادي كـامل، الإنتاج الصنـاعي يصل بالكاد إلى خمس مستواه مـا قبل الحرب، التجارة لا وجود لها، المزارعون يرفضون تزويد المدن.

ـ النيب أو السياسة الاقتصادية الجديدة:

أمام الانهيار الذي احدثته شيوعية الحرب، حاول لينين ابتداء من 1921 لرجوع إلى مشروعه الأصلي والمتمثل في رأسمالية تديـرها الدولة، وجرى العمل بنظـام السوق وأعيـدت النقـود وفيما يتعلق بـالـزراعة جـرى الغـاء التسليم الاجباري للمنتوجات في الصناعة والتجارة الغي تأميم بعض المشاريع الصغيرة والمتوسطـة إدارة المشاريع الكبرى أصبحـت لا مركـزية، وتم استـدعاء فنيين تقنيين أجانب، ومن ناحية أخرى أعيد العمل بالترتيب السلّمي للأجور والمكافآت حسب الإنتاج أو العائد.

هذه التجـربة الجديـدة أو« النيب N. E. P. حسب الاختصـار الروسي» أتاحت قهر المجـاعة التي كانت تهدد المجتمع، كما أتاحت عـودة النظام. وفي هذا فقط يتمثل نجاحها . المزارعون المتـوسطون أو الكولاك، رفضوا الاستثمار، ولا يسلمـون للسوق إلا جـزء ضئيل مـن محاصيلهم، المزارعـون الصغار اكتفـوا بالاكتفاء الذاتي، الفوضى الصناعية اختفت، ولكن لعدم وجود تنسيق فإن عدة مخانق ظلت تشل ازدهار الصناعة.

عندما مات لينين عام 1924، كان النقاش في قلب الحزب شديداً، بالنسبة للبعض كان يرى الاستمرار في تطبيق سياسـة النيب، بل وحتى دعم توجهاتها الليبرالية. وبالنسبة لآخرين فإن على الاتحاد السوفييتي أن يرغم القدر. ستالين الـذي تـولى على السلطـة بفضل وضعيتـه كـأمين أول للحـزب الشيـوعي السـوفييتي، كـان وراء إعادة التـوجه هـذه، عنـدئذ بدأت مـرحلـة تجمع بين الدكتاتورية والنمو معاً.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

منذ شهر مـايو 1919 أكد المؤتمر الثامن للحزب الشيـوعي السوفييتي مبدأ التخطيـط، إلا أنه وخلال مـرحلة شيوعيـة الحرب لم تجد الحكومـة وقتاً لتضـع هذا المبـدأ في التطبيق، الخطة الوحيدة المتماسكـة كانت تتعلق بالكهـرباء. النيب رات بالمقـابل انشاء جهاز «القوزبلان» الـذي بدأ بإعداد توقعـات شاملة وسنوية. يوجد مع ذلك خطط جزئيـة خصوصاً في التعدين والمواصلات. شيئاً فشيئاً ومن خلال العشوائيـة نشأ جهاز إداري احصائي. المؤتمر الخامس عشر للحزب امكنـه عام 1927 أن يقـرر اصدار خطـة إجباريـة معتمداً على تجربـة وإعداد طويل.

2 ـ تطبيق الخطة:

ـ إعداد الخطة الأولى :

بعد مـوت لينين فهم اليسار الشيـوعي أنـه مندئذ وصاعـداً لا تستطيع روسيا الاعتماد على حـدوث ثورة عـالمية، وانتهـى إلى إنه من الضروري تعبئـة الاقتصـاد لكي يؤمن التراكم الاشتراكي. بالنسبة لليسار الشيوعي يجب تمويل الصناعة الثقيلة بواسطة ضرائب ورسوم تفـرض على قطاع الزراعة. هذا الرأي الذي تقدم به بريو براجينكـس اعتنقه كل من تروتسكي، كامينييف وزينوفين، أما اليمن الشيوعـي، يقوده بوخارين فقد ذهـب إلى العكس معتقداً أن النيب هي وسيلة ارتـودكسية لتحقيق الشيـوعية، يجب فقط تحفيـز الدينـامية التلقـائية للمشروعات انحاز ستالين أولاً لوجهة النظر هذه وصفى أنصار تروتسكي، ثم في عام 1927 تبني لنفسه نظرية اليسار وصفى اليمين.

انتصـــار ستـالين هـــذا لم يضـع حـداً لكـل الخلافـات، التقنيـــون في «القوزبـلان»« الذين يقيمـون أهدافهم على مـد التوجهـات يعارضـــون اعضاء الحزب الذين يجدون الخطـة متواضعة «خجـولة» ويريدون بنـاء الاشتراكية، عندئذ تم اختيارْ صيغـة الحد الاقصى والتي تعطى الأولوية للصنـاعة الثقيلة. لقد انطلقت حملـة من أجل تجاوز الخطة، لكـن من سوء الحظ كانـت المحاصيل سيئة، وتمويـل المدن صار مهدداً، يجب إذن من جـديد أرغام القـدر: التخطيط سار مع تجميع الأراضي.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ـ تجميع الأراضي:

هذا التجميع أساسه براغماتي أكثر منه اديولوجي، فالأمر يتعلق بخلق فائض وذلك بفضل شراء المحاصيل الزراعية من المنتجين باسعار رخيصة، وإعادة بيعها للمستهلكين باسعار مرتفعة، وهكذا يمكن تمويل الصناعة الثقيلة. ابتداء من فبراير 1930، وفي بضعة أسابيع جرى تجميع المزراعين في مزارع جماعية. وتم نزع ملكية الكولاك المزارعون، وقد صدمهم عنف هذه الاجراءات، عارضوها بقوة ورفضوا زراعة الأراضي. يجب إذن التراجع، من 300000 14 أسرة مجمعة 8500000 تركوا المزارع المجمعة. في الواقع المزارعون الأفراد وجدوا أنفسهم في وضع لا يحسدون عليه، مثقلين بالضرائب، بينما دعم الدولة مقصور على المزارع الجماعية، ابتداء من يوليو 1931 عاد التجميع من جديد، وفي عام 1936 صار تقريباً شاملاً، وبعد انتفاضات عدة، وصراع أحياناً عنيفاً استسلم المزارعون للأمر الواقع.

بالتوازي مع هذا، القطاع الخاص الذي ادخلته اليب الغي من الصناعة والتجارة، الدولة السوفييتية صارت لها السيطرة المطلقة على قوى الإنتاج.

ـ القفزة الكبرى إلى الامام:

نتائج الخطة الرباعية الأولى في العموم أقل من المتوقع ولكن تمكنت روسيا من تحقيق معدل نمو ما بين 8 و9٪ فيما بين عام 1928 و1932.

الخطة الرباعية الثانية التي تم وضعها تحت شعار «خطة خمس سنوات تتحق في أربع سنوات» زادت في بناء الصناعة القاعدية وفي أولوية الاستثمارات.

حتى وأن كانت الزراعة تعاني كساداً مؤقتاً، فإن تجميعها أتاح تقدماً سريعاً في النمو العام. منذ ذلك الوقت صار الاتحاد السوفييتي بلداً صناعياً يمكنه أن يتحمل ابتداء من عام 1934 مجهوداً ملحوظاً في التسليح، وأن يتفادى عام 1941 هزيمة نهائية أمام الغازي الألماني.

من سوء الحظ كان الوصول إلى هذا اجبار الناس، معسكرات العمل كانت عديدة، حتى أن البوليس استطاع انشاء مشاريعه الخاصة، على هذا النحو تم استخدام 200000 عامل مجبر لتنفيذ شق قناة من لينيقراد إلى البحر الأبيض،

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

وحين تقدمت الفرق الالمانية عام 1941 وقعت في يد الغزاة خطة من وضع الدولة تشير إلى أن 18٪ من الاستثمارات تحققت بواسطة بوليس الدولة.

3 ـ تنظيم الاشتراكية:

من خلال هذه المعركة من أجل النمو التي دخلها المسئولون في الاتحاد السوفييتي ما بين عام 1917 و1940 تم بناء الاشتراكية : اشتراكية متأثرة بالتأكيد بالطريقة التي تمت بها الثورة السوفييتية، لكنها تبدو على كل حال متوافقة مع أفكار ماركس. النظام الاشتراكي الذي تأسس على هذا النحو يتصف بما يلي:

ـ دكتاتورية البروليتاريا وهيمنة السلطة السياسية.

ـ الغاء الملكية الخاصة لادوات الإنتاج .

ـ التخطيط.

ـ دكتاتورية البروليتاريا:

بالنسبة للينين يجب على الدولة أن تحقق انتصار البروليتاريا إلا أنه في السنوات الأولى من الثورة لم يكن واضحاً اختيار التعددية الحزبية أم لا. العلاقة بين الدولة والحزب والسوفيت من جهة وبين النقابة والحزب من ناحية أخرى كانت غير واضحة.

ثورة البحارة في كرونشتات ضد سلطة البلاشفة فرض النظام، بينما كان البحارة ينادون السوفييتات هي صاحبة السلطة فإن لينين كان يعارضهم باولوية الحزب على السوفيتات، لقد تم التخلي عن التعددية، وتأسس ما يدعى بالمركزية الديمقراطية.

في كل درجات جهاز الدولة، في الإدارة والحياة الاجتماعية والاقتصادية، الحزب حاضر، في كل مكان بيروقراطية الحزب تجاوزت كل الهيرارشيات الأخرى، إنه طليعة الطبقة العاملة الذي يقود الدولة.

في داخل الحزب، النقاش في القاعدة كان حراً، ولكن هذه الحرية محدودة جداً: من ناحية الخضوع المطلق من قبل الأقلية للأغلبية يمنع أي تنظيم

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

لاتجاهات مختلفة، ومن ناحية أخرى قرارات المراكز العليا تفرض نفسها على المراكز الدنيا، دكتاتورية القادة تكون إذن مطلقة، فهم يتولون الأمانة العامة وبهذا سريعاً ما صاروا سادة الحزب والدولة، ومجموع الحياة الاقتصادية والاجتماعية صار خاضعاً لمتطلبات السياسة.

ـ الغاء الملكية الخاصة:

النقد الماركسي يرى السمة الرئسية للرأسمالية في الملكية الخاصة لادوات الإنتاج، ليس إذن من الغريب أن الاقتصاد السوفييتي قام على الملكية العامة.

تطبيق هذا المبدأ، كما رأينا، تحقق أحياناً تحت ضغط الاحداث أكثر منه عن إرادة مقصودة، أكثر من ذلك أن تطبيقه تضمن استثناءات وتزييف.

في الصناعة، الملكية العامة لوسائل الإنتاج كانت عامة لم تبق إلا بعض الأنشطة السرية المطاردة بعنف خارج هذا الاطار «في عام 1961 اكتشف في كهف في موسكو مصنعاً لأحمر الشفاه يصل إنتاجه إلى 100000 أصبع في العام» في الحرف، وحتى عام 1960 لم تكن الملكة عامة ولكن تعاونية لكن منذ هذا التاريخ جمّعت التعاونيات الحرفية في مشروعات ملك الدولة. وإلى ما قبل البيروسترويكا يوجد في الحرف الريفية قطاع فردي، لكنه غير ذى أهمية.

أما في قطاع الزراعة فإن تطبيق هذا المبدأ المتعلق بالملكية العامة كان محدوداً جداً، وإذا كانت الأرض ملك الدولة إلا أن استقلالها لها يمكن أن يتم سواء من قبل السوفكوز أو من قبل الكولكوز، الأولى هي مزارع للدولة (سوفكوز) حيث المزارعون اجراء، أم الثانية، الكولكوز وهي نمط الاستثمار الأكثر شيوعاً في الزراعة فتكون على العكس وحدات تعاونية إلا أن اعضاءها يملكون قطعة أرض حول بيوتهم، اقتصادياً ثانوياً ذا طبيعة خاصة، أكثر من نصف المواشي في الاتحاد السوفييتي، ومجموع الطيور الداجنة ترجع في تلك الحقبة إلى عائلات كولكوزية، وعلى العموم 30٪ من الإنتاج الزراعي يرجع الفضل فيه إلى الملكية الخاصة، وبيع هذا الإنتاج يمكن أن يتم بكل حرية في المدن المجاورة في سوق يسمى الكولكوزي.

تجارة الجملة والقطاعي بالعكس في جزء كبير منها مؤممة، بما في ذلك التجار المتجولين، وإذا كان ـ خارج السوق الموازي السري ـ يوجد هذا الاستثناء

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الشرعي والذي هو الأسواق الكولكوزية فإ ن السلطات العامة حاولت الحد من أهميتها. بالتعارض مع أدوات الإنتاج فإن خيرات الاستهلاك بما في ذلك جزء من البيوت السكنية هي ملكية خاصة الحكومة تحاول مع ذلك الحد من دور هذه الملكية الخاصة بواسطة الزيادة في التجهيزات العمومية والاستهلاك الاجتماعي. برنامج العشرين سنة 1961 ـ 1980 للحزب الشيوعي السوفييتي يتوقع هكذا توزيع بعض الخيرات مجاناً، خصوصاً الخبز، إلا أنه يبدو أن هذا المشروع قد نُسي تماماً. هناك ضغط قوي لصالح ملكية خيرات الاستهلاك الخاصة، رغم الاجراءات التي اتخذتها الحكومة السوفيتية فإن عشاق الدارات في الريف ظلوا دائماً كثرة.

ـ التخطيط الستاليني:

نظرياً التخطيط موجود منذ حقبة شيوعية الحرب، إلا أنه لم يطبق فعلياً إلا في عام 1929، ومنذ ذلك الحين صار التخطيط احدى قواعد النظام السوفييتي الأساسية، مبدأ إدارة تخطيطية للتطور الاقتصادي هو في مركز أداء النظام الاقتصادي .

هذا التخطيط كان أساساً اعداد براغماتياً منذ الحقبة الستالينية، ماركس وانجلترا ليسا واضحين فيما يتعلق بتنظيم الاقتصاد الاشتراكي، لقد نددا بنظام السوق، وبهذا ساعدا على البحث عن نمط آخر من التنظيم الاقتصادي.

كل التصور الستاليني للتخطيط يرتبط بإرادة تحطيم العوائق البشرية والاقتصادية، وأن يقيم صناعة أساسية تسمح بالنمو المستقبلي .

4 ـ اداء التخطيط الستاليني :

ـ الخيارات الوطنية:

التخطيط السوفييتي المعمول به خلال فترة حكم ستالين ينطلق من اختيار اقتصادي مأخوذاً على المستوى الوطني، ويعمل من خلال أوامر تصدر للمشاريع والتي هي مجرد أجهزة تنفيذ، ويتحقق التوازن النقدي بواسطة مضاربات مالية مفتعلة.

الاختيارات التي تتيح تحقيق الأهداف المتضمنة في الخطة بتخصيص موارد نادرة إلى مشروع أو فرع وليس إلى آخر تتحدد على المستوى الوطني بدفع من الحزب.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

أنها أساساً اختيارات سياسية. لا يتعلق الأمر بمعرفة أين تقود الاتجاهات التلقائية في الاقتصاد من أجل تعديلها أو تغيير مسارها إنطلاقاً من اخيتار سياسي، وليس محاولة احداث نمو قوي متوافقاً مع توازن اقتصادي ومالي، مثل هذه الخطوة التي يتميز بها الغرب تم تجاهلها تماماً في الخطط الاشتراكية الأولى.

الاختيار هو أولاً سياسياً: يتعلق الأمر بتغيير المجتمع كفاءتها الاقتصادية لا تظهر أحياناً إلا بعد فترة ، ولا تتحقق عينياً من خلال معدلات نمو، المحاسبة الوطنية لم توجد بعد، أنها تترجم في إقامة مصانع في هذا الفرع أو ذاك في هذا الاقليم أو ذاك.

أهداف الخطط السوفييتية ليست ابداً شاملة، ولكنها قطاعية ومحلية، اقتصادياً تهدف إلى اعطاء الاتحاد السوفييتي الاستقلال الاقتصادي الأكثر كمالاً، وتقليد الغرب الذي تقنيته أكثر تقدماً، وأحياناً تهدف إلى الغاء اجراء أكثر كلفة لصالح اجراء أقل كلفة.

ـ إعداد الخطة:

حالما يتم الاختيار، يتم توزيع الموارد المتوفرة حسب منهج الميزان، ومجموع الاهداف النهائية والوسطى تعبر عن نفسها في الخطة.

منهج الميزان: تنطلق القوزبلان في اختيارها من أهداف ذات أولوية، وتعبيء لصالحها كل الامكانيات الاقتصادية الممكنة. مما يعني إهمال قطاعات كاملة من الاقتصاد. المنهج المتبع نسبياً بسيط، إنه يعتمد على جرد مادي لما يتوفر في الاقتصاد الروسي مثلاً توفر اليد العاملة من مختلف المستويات الطاقة الكهربائية، الفحم، الحديد، الالات، الشاحنات.. هذا الجرد يسمى : ميزان مادي، يترتب زمنياً «فحم متوفر حالاً قم فحم يتوفر خلال فترة حسب الإنتاجية وحسب الزيادة فيه».

كل هدف يتضمن أولوية، كل عوامل الإنتاج الضرورية لتحقيق هدف أولوي تسحب حسب الأولوية المتناقصة، يحدث أن بعض عوامل تنفذ أو لا تتوفر، لكن لا يعاد النظر في الخطة إلا إذا كانت الاهداف ذات الاولوية لم تحصل على احتياجاتها.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

هذا المنهج له ميزة كبيرة، إنه يسمح بتحقيق أهداف أساسية للنمو في اقتصاد نسبياً بسيط مثل اقتصاد الاتحاد السوفييتي ما قبل الحرب، والذي ظل تقريباً سهل التعامل معه، كما يسمح أيضاً بتطور سريع لصناعة السلاح.

ـ طبيعة الخطة:

عند ذكر الخطة السوفيتية فإن الغربيين يأخذونها مباشرة على أنها خطة رباعية. في الحقيقة الأكثر أهمية هي الخطة السنوية، أنها الوحيدة ذات السمة الاجبارية. الخطة الرباعية أو خطة على المدى المتوسط تعني التوجه المطلوب أكثر مما تعني أهداف حقيقية، الخطة المستقبلية أو طويلة المدى ليست إلا توقعات، ولا عدادها فإن القوزبلان تنطلق من المعلومات التي تمدها بها المشاريع والادارات الأخرى، وكذلك إنطلاقاً من توجيهات الحزب، تعد مشروعاً أولياً، هذا المشروع الأولي للخطة يعرض على المصانع وعلى المشروعات، فهو نظرياً يناقش في القاعدة، في الحقيقة وجود الحزب على كل المستويات وهيمنته تحول دون النقاش الجاد، النقاش يتحول إلى جلسة اطراء، وعندما تنتقل ملاحظات القاعدة إلى القوز بلان تعد هذه الخطة في شكلها النهائي، ومن ثم تحول إلى المشاريع والوزارات والأجهزة المكلفة بتنفيذها.

لا يجب الاعتقاد مع ذلك أن الخطة لا تترك أي مجال للسوق ولا لآليات صادرة عن اقتصاد السوق.

في مستوى أدوات الإنتاج العرض والطلب تتحكم فيهما الخطة تماماً، المشروع الذي يصنع الإنتاج يستلم أمر التسليم بينما المشروع الذي يحتاج هذا الإنتاج يستلم الأمر باستلامه.

في مستوى خيرات الاستهلاك، خارج ما تنتجه قطع الأرض المستغلة فردياً عند الكولكوزد العرض متحكم فيه تماماً وبالعكس الطلب لم يحدد بواسطة بطاقات إلا خلال فترات العوز وفترات الحرب، وقد حدث هذا في الغرب أيضاً، حرية الاستهلاك كاملة، لكن الترشيد [illegible] يتم بواسطة الأسعار، أننا هنا في حضرة شبه سوق.

وفيما يتعلق بسوق العمل، عرض العمل يتم التحكم فيه حسب الخطة، ولكن خارج معسكرات العمل وفترات الحرب، توجيه وتحفيز العمل يتحقق

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

بواسطة تنوعات الاجور والميزات المادية. أغلب اليد العاملة التي أتاحت اصلاح سيبريا ذهبت إلى هناك بسبب الاجور العالية. وانتقال اليد العاملة من فرع لآخر بنفس الاسلوب، وهنا أيضاً نحن في حضرة شبه سوق.

ولكن لا يجب أن ننخدع: الالتجاء إلى عناصر من اقتصاد السوق لا يمنع أن تكون الخطة العنصر الوحيد في التوجيه الاقتصادي درجة المباذرة عند المشاريع محدودة جداً، والتوازن الاقتصادي يمكن الوصول إليه بالسيطرة المطلقة على التدفق النقدي.

ـ تنفيذ المشروع للخطة:

في التخطيط الستاليني، يتوجب على المشروع طاعة توجيهات وتعليمات محددة بدقة، إنه يستلم من القوزبلان ليس فقط أهدافاً مفصلة يجب تحقيقها وتجاوزها إن أمكن. بل يستلم أيضا مواصفات الإنتاج، ومؤشرات فيما يتعلق بالمادة الخام التي يجب عليه استخدامها وكذلك المشاريع التي يتوجب عليه الحصول على احتياجاته منها، وتلك المشاريع التي يجب أن تكون زبائنه. وفي كل مستويات المشروع هناك ممثل الحزب الذي يسهر على تنفيذ الخطة بأمانة. اما من ناحية النقابة فأنها، في غالب الأحيان، ليست إلا جهاز تأطير وتنفيذ، أما بالنسبة لمدير المشروع فهو المسئول شخصياً عن تنفيذ الخطة.

مع ذلك الحوافز المالية موجودة، كما توجد إمكانية اجراء تعديلات في الاقتصاد الجزئي مستقلة عن الخطة.

الحوافز المالية: المشروع السوفييتي في فترة ستالين لا يدفع له وفق بيع إنتاجه، ولكن وفق تنفيذ الخطة أو تجاوزها، إنه يتحصل على «ربح مخطط» والذي يمول صندوق المديرين، هذا الصندوق لا يخدم فقط المديرين، ولكنه يمول سلسلة من الانجازات الاجتماعية لصالح العاملين. وفي مستوى العمل فإن الاجر حسب القطع أو الوحدات المنتجة والذي ندد به الماركسيون وقتاً طويلاً ، أعيد العمل به.

ـ تعديلات الاقتصاد الجزئي:

التنسيق والتحفيز للمشاريع بواسطة الخطة يخاطر مع ذلك بأن لا يكفي

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

لأتاحة اجراء تعديل للإنتاج مع بعضه البعض، وحيث إنه لا يمكن تعديل التوقعات باستمرار فإنه يخاطر بالوقوع في حالة انسداد اقتصادي بسبب سلسلة من الاختناقات، لتفادي هذا وتحقيق، ربما تجاوز هدف الخطة، فإن المشاريع اتجهت إلى تكوين مخزونات مهمة وإلى التقليل، في توقعاتها، من قدرتها الإنتاجية، هذا لا يكون بدون تبذير، ولكنه يعطي للمدراء هامش من الضمان مهماً، من ناحية أخرى في كل مشروع أشخاص حذاق، يطلق عليهم اسم «تولكاتشي» «أي رجال المحسوبية والوساطة» علاقاتهم العديدة في الوزارات، وفي المشاريع الأخرى تتيح لهم، بفضل تبادل الخدمات وأمور أخرى ليست مشروعة تماماً، أن يحصلوا لمشاريعهم على المواد الخام أو التجهيزات التي تفتقر إليها، أخذ يتأسس اقتصاد سري، وفي بعض الحالات وصل الأمر إلى حد قيام أشكال سرية من المشاريع الخاصة.

ولكن في غالب الأحيان هذا «الفساد ـ التهريب» المتسامح معه تقريباً هو طريقة لأدخال المرونة في نظام نسبياً جامد. وعندما أي من هذه الأساليب لا تحقق نتيجة، فإن تأخير الامدادات يؤدي إلى تطويل طوابير الانتظار، وفي مستوى الاستهلاك ربات البيوت يقفن في الطوابير.. التعديل إذن في مستوى المشاريع يقود إلى تحقيق توازن إلى حد ما.

5 ـ التوازن الاقتصادي والسيطرة على التدفق النقدي:

الكتاب الليبراليون يرعبهم عموماً الاقتصاد السوفييتي في عصر ستالين التوازن الاقتصادي والنقدي العزيز على قلوبهم يُضرب به عرض الحائط، سعر العديد من المنتوجات لا علاقة له بندرتها وليس ثمة آلية تلقائية تتيح تنظيم ذاتي عام. في الحقيقة هؤلاء الليبراليون لا يدركون جيداً درجة السيطرة على تدفق النقود التي يملكها المخططون الروس، وهذا بفضل وجود عملتين أو نوعين من النقد، وبفضل التلاعب بدون حدود بالأسعار، وبفضل تعديلات عامة يمكن أن تتدخل في كل لحظة .

ـ وجود عملتين:

يستخدم في الاتحاد السوفييتي نوعان من النقد: الأول يستخدم لشراء خيرات الاستهلاك، ويسيل فقط في مستوى الخواص أي في التداول اليومي.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
أصله يوجد في صندوق الاجور الـذي يتحدد كل سنة على المستوى الوطني وفق كمية الإنتـاج المخصص للاستهلاك العـائلي. ثم يوزع حسب الفـروع وحسب المشاريع وفق حاجات الاقتصاد.

النوع الثـاني هو محض نقود مصرفية تستخـدم في شراء خيرات الإنتاج الذي تقوم به المشاريع وأجهزة الإدارة.

هكذا يستلـم كل مشروع من ناحيـة النقود الضروريـة لتغذيـة صندوق الأجور عنده ـ النوع الأول ـ وتلـك التي تسمح له بالحصول على خيرات الإنتاج التي يحتاجها ـ النوع الثاني ـ إنه لا يستطيع ابداً استخـدام النقود المخصصة للأجور ـ النوع الأول ـ لشراء خيرات الإنتـاج ، أدوات معدات مواد خام ـ النوع الثاني، كما لا يستطيع استخـدام النقود المخصصة لشراء خيرات الإنتـاج لدفع أجور العاملين. المشاريع التي تحصل على النقود المخصصة للاستهلاك ـ أجور ـ لا تستطيع استخدامها لشراء مواد خام أو آلات والتي تمكنها من الإنتاج أكثر.. وحالما تصل النقود إلى تجارة القطاعي فإنها ترجع إلى الخزانة العامة.

الاستثناء الوحيد هو السـوق الكولكوزي، وبقدر محدود، إلا إنه أدى، في فترات العوز، إلى تخزين مهم للعمل. ومن ناحيـة أخرى الاطارات لا تجد فرصة للصرف فتحاول الاحتفاظ بمدخرات نقديـة، وهذا ليس بدون خطر على اسقرار التوازن النقدي.

وعلى كل حال، وجود نوعان من النقود يمنـع ظهور حركة تراكمية ذاتية أو كبح ذاتي، ليس ثمة إنتاج يمكن أن نجعله يزيد بزيادة الطلب.

ـ تحديد الاسعار:

وجـود نوعـان مـن النقود يسمـح بالحفـاظ على أسعـار ذات وظيفتين مختلفتين.

فيما يتعلق بخيرات الاستهـلاك، وبفضل ضرائب مبـاشرة والتـي تصل معدلاتها أحياناً إلى أعلى من 100٪، فإن للاسعار أسـاساً دور ترشيد وتوجيه الطلب، هذه الممارسـة، والتي تطبيقها الأكثر مـلاحظة كان في المجـال الزراعي، تتيح استعادة جـزء من العوائد الموزعة وتسـهل إقـامة الصناعـة الثقيلة. يمكن

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
للحكومة أن تهمل الصناعة الموجهة نحو الاستهلاك لأن العوائد الموزعة من أجل بناء الصناعة الثقيلة يمكن استيعابها بواسطة الضرائب غير المباشرة.

في مجال خيرات الإنتاج، والمواد الخام، الطاقة، التجهيزات، فإن الاسعار ليس لها إلا وظيفة محاسبية، العرض والطلب مسيطر عليهما بالكامل، يمكن ألا يكون لها أي علاقة بالنذرة الحقيقية لهذه الخيرات. المشروع يحصل على المبالغ الضرورية لشراء، والشراء يتم وفق أسعار مخططة ولا يرتبط بها أي استرجاع ولا اهلاك ولا فائدة.

هذا النظام المؤسس على سعرين مستقلين عن بعضهما البعض وتوجيه الإنتاج بدون علاقة مع طلب المستهلكين، أن عدم التوازن يظل ممكناً، وكيف لا يكون ذلك كذلك في اقتصاد يهمل الصناعة الخفيفة، والذي قراراته لا تؤخذ إلا على المستوى الوطني ومن خلال اجراء معقد وثقيل جداً؟!.

ـ التعديلات الشاملة:

كذلك التعديلات العامة تكون أحياناً ضرورية، أنها تمس أحياناً الإنتاج نفسه، عندما يكتشف خطأ ما، وعندما يتقرر توجيه جديد، فإن إنتاجاً ما يمكن أن يوقف فجأة، أو بالعكس يضاعف، هذا بالطبع لا يحدث دون هدر وتبذير ولكنه يعطي لقرارات السلطة المركزية قوة عظيمة في توجيه الاقتصاد.

عندما التوترات التضخمية تكون حادة، فإن المخططين، خلال الحقبة الستالينية يذهبون أبعد من هذا، أنهم يحدثون تعديلاً نقدياً عاماً يصاحبه تعديل في الاسعار، في مواصفات العمل، وفي الاجور. في هذه العمليات يتم تغيير النقود، وتخفض الاسعار، ولكن في الحقيقة تغيير النقود الجارية مقابل الجديدة يتم في معدلات تخفض من القوة الشرائية، ومن ناحية أخرى، إذا كانت مواصفات العمل عالية فإن هذه العملية تخفي جزئياً بواسطة التلاعب في الاسعار، وتغيير قيمة النقود. يصاحب هذه العملية أحياناً اقراض اجباري. وفي كل الأحوال يجد المستهلكون أنفسهم وقد انخفضت قوتهم الشرائية. من الواضح أن مثل هذه الممارسات تفترض دكتاتورية قادرة على تحطيم مقاومة الناس واخضاع المجتمع كله لمشروعات المخططين.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

6 ـ المجتمع السوفييتي:

التحولات الاقتصادية التي أحدثها قيام نظام اشتراكي أدت إلى تغيرات عميقة في الاتجاه السوفييتي. في الواقع يجب أن نميز بين ثلاثلا مراحل في التحولات الاجتماعية التي مست الاتحاد السوفييتي من ثورة أكتوبر إلى سقوط ستالين عام 1953م. وهي : مرحلة ثورة أكتوبر، تم مرحلة النيب، ثم مرحلة الحكم الستاليني.

ـ تحولات المجتمع خلال المرحلة الثورية:

ثورة 1917 أدت إلى تغيرات اجتماعية لا مثيل لها، الطبقات القديمة المترفة صفيت، جزء منها قتلاً، وجزء آخر هرب إلى الخارج، والباقي أفلس وانحط طبقياً، كل الأطرا القيصرية دمرت، البلاشفة وحدهم سادة الموقف. رجال الدين الباقيين تقوقعوا في أماكن العبادة المسموح بها من السلطة الجديدة.

إلا أن اختفاء أصحاب الامتيازات القديمة لم يصاحبه استيلاء العمال على السلطة، والمفارقة أن أول ثورة بروليتارية أدت إلى انهيار الطبقة العاملة، خلال عام 1918 الأغلبية العظمى من المصانع اغلقت أبوابها، وكل العمال الذين باستطاعتهم ذلك تركوا المدن لكي يتفادوا البطالة ومن ثم المجاعة، ابتداء من 1919 الأوبئة والمجاعة انتهت بأن افرغت المدن 5, 7 مليون شخص قضوا نحبهم.

لينين في النهاية أسس نظام اشتراكي بدون طبقة عمالية والعجيب اليوم أن قوربتشوف يحاول إقامة نظام اقتصاد السوق بدون طبقة بورجوازية.

في الحقيقة، المزارعون وحدهم كانوا المستفيدين من الشهور الأولى للثورة، اختفاء الملاك الكبار كان مصدر ارتياحهم وكثير من المناطق خاصة الشمال والوسط لم تشهد من الاضطرابات إلا قليلاً، إلا أن انهيار الوضع العام وصل تأثيره شيئاً فشيئاً إلى الريف مؤدياً إلى العودة إلى الاقتصاد المغلق.

في هذا المجتمع الذي يتحلل، الجيش والحزب ظلا المجموعتين الوحيدتين القادرتين على إعادة بناء المجتمع وتفادي كارثة نهائية، الجيش صار وسيلة البقاء على قيد الحياة أو لتحسينها والحزب تحول إلى آلة قوية تتعسكر، وتتخذ وضعاً تراتبياً «هيرارشيا» حاداً.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ـ التحولات الاجتماعية خلال السياسة الاقتصادية الجديدة (النيب):

النيب هي مرحلة استقرار وإعادة تنظيم معاً، الزيادة السكانية تعود من جديد، إقامة طب وقائي جماهيري هو في أساس هذا التوجه، وبالتوازي يعود السكان الهاربون إلى المدن. هذه العودة العمرانية توافقت مع ولادة جديدة للطبقة العاملة لكن هذه الطبقة العاملة لا تملك لا وعياً ولا تنظيماً ، فهي تتكون أساساً من فلاحين لم يتحرروا تماماً من سلوكهم التقليدي وقد توجب على الحزب اخضاعهم لمتطلبات الصناعة، ونحن نجد في هذا وضعاً ليس بدون علاقة مع ذلك الذي وجد في البلدان الرأسمالية خلال الثورة الصناعية.

تحسن وضع المزارعين كان محسوساً، الضرائب أقل وطأة ، وعودة نظام السوق أتاحت العودة للإنتاج، ملكية صغيرة ومتوسطة، المزارعون الحذاق والدين يملكون أرضاً كافية من 10 إلى 12 هكتار، كونوا ثروات لا بأس بها، وبالتوازي مع ذلك طبقة التجار عادت للحياة.

إلا أن ذلك لا يعني العودة إلى الرأسمالية، لقد ظل الحزب هو العمود الفقري للمجتمع، جهاز الحزب يسيطر على كل مراكز القرار، اعضاء الحزب يعتبرون أنفسهم نخبة البلاد، موظفي الحزب يحصلون على وراتب عالية، ويحصلون على تموينهم من متاجر خاصة.. واخيراً البيروقراطية التي اقمها الحزب، لقد كان ثمة 4 مليون موظف عام 1928 مقابل 600000 موظف عام 1910، هذه البيروقراطية تمثل اطاراً أساسياً للمجتمع السوفييتي إلا أنها مع ذلك ليست بورجوازية جديدة ذلك لأنها لا تستطيع تجميع الرأسمال، وظائفها ليست وراثية، ولا توجد إلا بفضل قوة الحزب.

ـ المجتمع الستاليني:

خلال مرحلة النيب تكونت عوامل ضبط المجتمع، أما مرحلة ستالين فكانت مرحلة سيطرة كاملة على المجتمع وتحولاته.

في الواقع، ابتداء من 1928، تمت تعبئة المجتمع السوفييتي من المزارع إلى المثقف من أجل تنفيذ الخطة، المعارضون أو المترددون حطموا، والذين كانوا أكثر تأثراً بهذا هم أعضاء الطبقة الوسطى المسماة كولاك، والتجار الذين اغتنوا

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

في فترة النيب. وبعد ذلك اعضاء الحزب تكبدوا نفس المصير التصفوي، يبدو أن ما مجموعة عشرة ملايين شخص، خلال مرحلة الخطط الكبرى، اما ماتوا أو رحلوا إلى معسكرات العمل الاجباري. التكلفة الاجتماعية لهذه الفقرة إلى الامام كانت عالية جداً، ووسم ذلك المجتمع السوفييتي بقوة . لنلاحظ فقط أن جزء من هذه التكاليف لا علاقة له بالنمو، التطهيرات الكبرى عام 1936 إلى 1938 ترجع أسبابها إلى غير ذلك.

بداية المرحلة الستالينية تتطابق مع تأسيس نظام بوليسي، الحزب صار هو نفسه أداة رقابة، من ناحية أخرى البيروقراطية حاضرة في كل مكان، هذا الجهاز التأطيري الضخم يفسر بدون شك السهولة التي بها غالبية الناس رضخت للتحولات التي فرضها ستالين، الفلاحون كانوا قوة المعارضة الوحيدة، لكنهم لم يتحركوا، لقد تقوقعوا في سلبيتهم الاسطورية، الفلاح تعلق فقط بحيواناته ونصيبه الفردي، ثم أخيراً رضخ أو غادر إلى المدينة.

النمو العمراني هو أحد الخصائص الرئيسية لهذه الحقبة، خصوصاً خلال الخطة الرباعية الثانية، كذلك خدمات البلدية عجزت عن المواكبة، وظروف السكن كانت في المدن سيئة جداً، هذا النمو العمراني رافقته زيادة معتبرة في الطبقة العاملة شروط حياتها كانت قاسية جداً، لكنها مع ذلك كانت أفضل بكثير من شروط حياة الفلاحين.

لاشك أن جماهير العمال انخرطت إلى حد ما تلقائياً في النظام الستاليني، الستاكانوفيزم، التي تهدف إلى وضع مواصفات قياسية للإنتاج تبرهن على هذا الانخراط في اللحظة التي فيها التطهيرات في الجسم الاجتماعي الذي كان حتى ذلك الحين سند النظام استلزم أن يكون النظام ضامنا القاعدة العمالية المكتسبة حديثاً، أو على الأقل أن يكون متأكداً أنها لن تهتم بالمصير الذي يعد لكوادر الحزب.

وبعد ذلك ، أمام التهديد الالماني، حفز الشعور الوطني انضاف شيئاً فشيئاً إلى الحماس الاشتراكي دستور عام 1936 جعل من الدفاع عن الوطن واجباً مقدساً، وأعيد تنظيم الجيش، وجرى حل مليشيات العمال، والحرب أكدت الحزب والطبقة العاملة كنقطتي مقاومة، بينما الاعمال الوحشية التي قام

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

بها الالمان في المناطق المحتلة جعلت الشعب السوفييتي يلتفت حول ستالين، لقد كانت الحرب مريعة، 18 مليون قتلى، ولكن وحدة الشعب تحققت، إلا أنها أتاحت ولادة جديدة للجيش باعتباره قوة اجتماعية، وسهلت تحول نظام ستالين إلى الدكتاتورية.. دكتاتورية فرد واحد .. المجتمع الاشتراكي صار مجتمع ستالين، والنظام الذي يريد نفسه اشتراكياً صار نظاماً شيوعياً.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الباب الثاني

الرأسمالية في موقف دفاع تجدد جلدها

عندما انتهت الحرب 1914 ـ 1918 احتكار الرأسمالية لبناء مجتمع صناعي صار مهدداً، الاشتراكية لم تعد مجرد اديولوجية، لقد صارت في روسيا نظاماً، لقد رأينا أن بناء هذا النظام كان قاسياً وأحياناً عنيفاً، وفي المرحلة الاولى كفاءته الاقتصادية كانت ضد الكفاءة، ثم ابتداء من 1929 بدا إنه أخذ يحقق إنطلاقاً التخطيط التسالبني حقق في بعض المجالات نتائج ملفتة للنظر، في الوقت الذي فيه النظام الرأسمالي يشهد اعنف أزمة اقتصادية في تاريخه: لقد بدا أن القدر يتردد، هل سوف نشهد استبدال الرأسمالية بالاشتراكية؟ على حافة الهاوية اخذت الأنظمة الرأسمالية تتدارك نفسها وتتفادي الانهيار، نتائج الأزمة الكبرى مرتبطة بتلك الناتجة عن الحرب العالمية الأولى قادت إلى صراع هائل، الديمقراطيات الرأسمالية الكبرى تحالفت مع الاتحاد السوفييتي، بلدان أخرى صارت اشتراكية بقيادة الولايات المتحدة تمكن الرأسماليون من اجتياز المحنة، في هذا الباب سوف نتفحص كيف تمكن الرأسماليون من اجتياز سنواتهم السوداء وتحولوا إلى رأسماليين جدد.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الفصل الثالث

الاشتراكية تسجل نقاطاً 1930 ـ 1960

النظام الاقتصادي المقام في الاتحاد السوفييتي لم يبرهن أبداً على فعاليته الاقتصادية، صحيح لقد توصل إلى تعبئة الاقتصاد لصالح بعض الأهداف البسيطة وعلى حساب كل نمو متوازن. تحسن شروط الحياة بالنسبة للعمال، قبيل حرب 1939، وغذاة هذا الصراع العالمي، تم تحقيقه بفضل اللجوء إلى قهر هائل مفروضاً بواسطة تجميع الأراضي، تم فيما بعد 1945 بواسطة السيطرة المنظمة على الاراضي التي احتلها الاتحاد السوفييتي، أن التكاليف الاجتماعية للنظام الستاليني كانت فضيعة جداً، بالتأكيد نفس التكاليف التي استلزمتها الثورة الصناعية والتي أدت إلى قيام الرأسمالية الصناعية والليبرالية، إلا أن السمة الإرادية للقمع الستاليني المفروض على الشعب الذي يتكبد هذا القمع يجعله كريهاً بشكل خاص.

إلا أن النظام الشيوعي الستاليني كانت له قوة اغراء هائلة على قسم من شعوب البلدان المصنعة وعلى نخبة البلدان التي في طور النمو.

وبالتوازي، منتهزاً فرصة تحالفه مع المنتصرين في الحرب العالمية الثانية، فرض الاتحاد السوفييتي نموذجه في البلدان التي احتلها، ومعترضاً على التفوق العسكري الامريكي، فإنه زواج بين الخطاب الاديولوجي وبين استراتيجية توسعية، والتي في بعض الأحيان وضعت الهيمنة الامريكية موضع سئوال.

الشيوعية سجلت نقاطاً لأن الأنظمة الرأسمالية كانت في موقف دفاع، لقد وجدت صعوبة في التكيف مع الشروط الجديدة للنمو، ومع التغيرات السياسية العالمية.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

1 ـ سنوات الرأسمالية السوداء:

متطلبات حرب 1914 ـ 1918 اجبرت الدولة على تعبئة الاقتصاد لصالح الجهد الحربي، لقد صارت الزبون الرئيسي للصناعات الثقيلة، وفي كثير من البلدان المتحاربة اصدرت الدولة الأوراق النقدية بدون حدود، والغي الغطاء الذهبي في كل البلدان الأوربية تقريباً، وأكثر من ذلك أنها تدخلت من أجل تسهيل التركيز وإعادة تنظيم قطاعات بأكملها.

معظم المراقبين والمسئولين، انداك، لا يرون في هذه الوقائع إلا سلسلة من الظواهر العارضة، وأن عودة السلام سوف تسمح، حسب رأيهم، العودة إلى الليبرالية، وإلى المرحلة «الذهبية». في الحقيقة حرب 14 ـ 18 كانت تعني نهاية مرحلة، لقد دخلت الرأسمالية في مرحلة العالم المتناهي وسوف تشهد أكبر الأزمات في تاريخها، وسوف يتوجب عليها، في نهاية المطاف القبول بنهاية الليبرالية التي كانت قبل 1914.

ـ مرحلة العالم المتناهي:

عام 1919 أغلب العوامل التي أتاحت انتصار الليبرالية وبقاءها حتى عام 1914، اختفت، التغير في السياسة الاقتصادية فرض نفسه، لكن هذا لم يفهم إلا مؤخراً جداً.

ـ اختفاء عوامل التوسع:

لقد استيقضت أوربا فجأة فوجدت نفسها محرومة من سوق مفضل وفي توسع بالنسبة لصناعاتها، الشرق الأوربي لم يعد باستطاعته استيعاب الإنتاج الصناعي الأوربي الغربي، روسيا، وقد صارت اشتراكية، تنعزل في تقشف شبه تام، حتى خلال فترة الينب، التي صاحبها عودة علاقات تجارية خارجية، فإن حجم المستورد من قبل الاتحاد السوفييتي لم يساو ثلث مستواه ما قبل 1914. ومن ناحية أخرى انهيار الامبراطورية النمساوية المجرية منع أوربا الوسطى من أن تلعب دوراً اقتصادياً مهماً، كل دولة ليست بحجم كاف يُبرر تصنيعاً، هكذا مثلاً المجر، النمو الصناعي كان 8 ٪ قبل الحرب هبط إلى 1٪ من ناحية أخرى الحرب العالمية الأولى وضعت حداً للفتوحات الاستعمارية والأعمال الكبرى التي كانت تتطلبها، ولكي يمكن البيع أكثر للبلدان الواقعة تحت

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الاستعمار كان يتوجب تصنيعها، لكن المتروبول (المركز الاستعماري) كان يرفض ذلك، أنه يرى أكثر فأكثر أن امبراطوريته عبارة عن مخزن لإنتاجه الصناعي. إنه لم يفهم أن أفضل زبون لبلد صناعي هو بلد صناعي آخر، وأن أكبر عوامل التوسع في الصناعة هو تصنيع بلد آخر جديد.

اخيراً، الولايات المتحدة لم تعد تلعب دور صمام أمان بالنسبة للبطالة في أوربا، فعندما وصلت حدود الغرب وحققت هكذا فتح أراضيها حدّت من الهجرة، ما بعد الحرب، الهجرة إلى أمريكا وصلت بالكاد ثلث مستواها ما قبل عام 1914.

لقد صار وضع الرأسمالية أشد خطورة:

1ـ السكان في أوروبا اخذوا يهرمون، الحرب أدت إلى نزيف هائل في الفئات الذكرية النشطة، حارمة بهذا أوروبا من دينامية سكانية حقيقية.

2 ـ إن المخترعات الجديدة ـ السيارات، الطائرات، الكهرباء ـ لم يكن لها تأثير توسعي مماثل لذلك الذي كان للسكك الحديد في القرن التاسع عشر.

3 ـ إن دولاً أخرى بدأت تنافس أوروبا في أسواقها الخارجية اليابان صارت في آسيا منافساً خطيراً، الولايات المتحدة لم تدعم فقط نظام الحماية عندها بل أيضاً استولت على جزء كبير من السوق الامريكو لاتيني والكندي.

الولايات المتحدة تبدو ما بين 1914 ـ 1918 في وضع أفضل إنتاجها الصناعي تضاعف، الرساميل الأمريكية المستثمرة في الخارج صارت تحل محل الرساميل الإنجليزية، في كل أمريكا اللاتينية صار الاقتصاد الأمريكي شيئاً فشيئاً مسيطراً. من سوء الحظ أن الولايات المتحدة كانت ثقلاً في قدم أخيل، المسيرة إلى الغرب (الأمريكي) التي كانت في القرن التاسع عشر عامل توسع وعلاج للبطالة معاً انتهت الزيادة السكانية تباطأت جدياً. ونشهد لأول مرة تراجع في الزراعة. حقاً توسع الإنتاج كان سريعاً ولكن الأجور لم تتبع ذلك، وزيادة الاستهلاك لم تتحقق إلا بواسطة نمو هائل للبيع بالآجل، أما بالنسبة للدخول الكبيرة فإن ارتفاعها السريع أدى إلى التهاب هائل في المضاربات، البورصة لم يعد لها علاقة بالواقع الاقتصادي.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ـ الانسداد الايديولوجي:

المسئولون عن الاقتصاد لم يدكوا لسوء الحظ هذه التغيرات. لقد تكشفت أوروبا عاجزة عن تحديد سياسة اقتصادية، ومجموع رجال السياسة تقريباً لم يفهموا أن تجزئة أوربا إلى اقتصاديات متناحرة هو بالنسبة لها عائق كبير، بناء أوربا كان انداك طوباً، والصناعي الأوربية لم تستطع ادراك نموها في فضاءات واسعة.

عامل توسعي واحد ظل مع ذلك قائماً، على الأقل من حيث الامكان، النفقات العامة، والتي بفضلها يمكن للدولة أن تحفز الاقتصاد وتتيح ابدال التوسع في الطلب الداخلي بزيادة نمو الطلب الداخلي. من سوء الحظ أن المسئولين السياسين لا يحلمون إلا بالعودة إلى «الأيام الحلوة» أو «العصر الذهبي» حيث الدولة ليس لها من وظيفة إلا الأمن والإدارة.

إنجلترا لم تكن ترغب إلا العودة، بالنسبة للجنبة، إلى معدله ما قبل الحرب. خلال الحرب، الأسعار الإنجليزية ارتفعتكثيراً جداً، بالنسبة لقوة عظمى والتي صناعتها تقوم على التجارة الدولية يمثل هذا عائقاً كبيراً، يمكن لبريطانيا الانكماش. فاختارت الانكماش. في الواقع كانت تخشى أن التعويم يفقد الجنيه الاسترليني مكانته، وينزع من مدينة لندن دورها كمصرف للعالم. الانكماس الذي قاده جيداً تشرشل كان في الواقع خطأ اقتصادي، لكي تحافظ على الأسعار بتخفيض النقود الجارية فإن الحكومة البريطانية خفضت من انفاقها العام بمقدار 40٪، وأكثر من ذلك أنها حققت فائضاً في الميزانية. هذه السياسة التقشفية أتاحت العودة إلى الغطاء الذهبي عام 1925، لكن الأسعار لم تهبط بنفس نسبة الكمية النقدية. الأزمة التجارية ازدادت حدة، والبطالة في قسم من اليد العاملة صارت دائمة. المانيا وفرنسا اتبعتا سياسة أقل أرتودوكسية، في هذين البلدين صار التضخم منهج حكم. في المانيا تضخم بدون هواجس قضى على الدين الداخلي وفضّل الاستثمارات على حساب الأجور التي لم تكن مواكبة ارتفاع المدوخ. في فرنسا، الحكومة التي تعيش على وهم أن المانيا ستدفع (تعويضات الحرب) أعادت بناء مناطق مدمرة بأن أصدرت النقود على بياض، بينما تملكت الفرنسيين حمى الاستهلاك. إلا أنه في كلا البلدين، وحالماً تحقق الاستقرار النقدي، لم يعد ثمة سئوال للتخلي عن الليبرالية الاقتصادية.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

في الـولايات المتحـدة، لا أحد يجرؤ على الشـك في فضائل الليبراليـة، وفي سبتمبر 1929 عقد مؤتمر للاقتصاديين يناقش كيفية تخفيف الأزمات.

2 ـ الرأسمالية على حافة الهاوية:

ـ أزمة 1929

هذا التأخـر الاديولوجي منـع الحكومات أن تتصرف في الوقـت المناسب لكي تحتـاط للأزمة التـي بدأت في 24 أكتـوبر 1929 في وال استريت بـانهيار البورصة.

السبب المباشر لهذا الانهيار يكمن في مستوى النظام النقدي العالمي، رغم جهود بنك إنجلترا إلا أن الثقة في الجنيه الاسترليني لم تعد ممكنة، وحتى لا يرى مخزونـه الذهبـي يتلاشـى فإنه تـوجب على بنـك إنجلترا أن يمارس سياسـة معدلات الفـائدة المرتفعة والتي أصابت بـالعقم الاقتصادي البريطـاني، أما من جانب الولايات المتحدة، ولكي تتفادى تـدفق الرساميل عليها، ولمساعدة إنجلترا في دعم نقودها فقد مارست سياسـة معدلات الفائدة المنخفضة معدلات الفائدة المنخفضة في الولايات المتحدة كانت بقدر مشجع على الاقتراض لتحقيق عمليات مضاربة، خـاصة في البورصة وال استريـت (بورصة نيويـورك) شهدت هكذا تدفقـاً في الطلب والذي جعل قيمـة الأوراق المالية، التي تجري المصاربـة عليها، ترتفع إلى مستوى قياسي. يتـم الاقتراض من أجل شراء الأوراق المالية، وارتفاع مجرى البورصـة يتيح تسديد الديـن مع تحقيق أرباح معتبرة، وعندمـا ظهرت علامات انهاك في الرأسمالية فـإن الحائزين على الأوراق المالية ـ سندات أسهم ـ وقعوا في حـالة رعـب حقيقي، فاخـذوا يبيعون جماعيـاً، مجرى الأسهم انهار، وأولئك الذين اقترضـوا من أجل المضاربة لم يعد بإمكانهم التسـديد، المصارف التي أقرضتهم، وكل شيء انهار.

ـ من الانهيار إلى الركود:

في الولايات المتحـدة، هذا الانهيار كان نقطة إنطـلاق لانهيار حقيقي، من 24 أكتوبر وحتى 1 نوفمبر 32 مليار دولار ضاعت في البورصة، عدة مصارف أفلست جارة معهـا عدة مشاريع تجارية وصنـاعية، وحالا حالـة الفزع تملكت المشاريع والتي أوقفت فجأة استثماراتها.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ابتداء مـن 1930 فإننا نـدخل في حركـة تراكم: الانكماش، الافـلاسات، انهيـار الاستثمارات أدت إلى البطالـة والتي ضـاعفت في انخفاض الاستهـلاك، وهذا بدوره أدى إلى مزيد من الافلاسات، وزاد في سرعة انهيار الاستثمارات من 1932 إلى 1933، الفشل الاقتصادي كان تاماً، لأن عـوامل الانعاش التي كانت موجودة في القرن التاسع عشر اختفت.

عام 1933 كان عدد العاطلين في الولايات المتحدة حوالي 14 مليون عامل، وصارت الأزمة عالمية، شاملة مجمـوع الدول الصناعية حيث حوالي 30 مليون عامل بدون عمـل، فرنسا وانجلترا كانتا من بين الدول الأقـل تأثراً بهذه الأزمة، ويرجع هذا إلى تعويم عام 1928 في فرنسا، وتعويم عام 1931 في انجلترا، كما يرجع إلى أن امبراطوريتيهما الاستعماريتين صارتـا ممنوعتين على الآخرين، إلا أن بريطانيا رأت البطالة تزداد حدة فقـد طالت حوالي 5 مليون عامل، وبالعكس المانيا مثل الولايات المتحدة كانتا على حافة الهاوية.

أمام هـذا الانهيار. معظم الحكومـات بدأت في تطبيق وصفـات الاقتصاد الليبرالي، بالنسبـة لهذه الوصفـات، انهيار الـربح هـو السبب الأساسي في هـذه الأزمـة. يجب إذن إعادتـه إلى وضعه. وهكـذا اقترح خفض لـلأجـور على الأقل معادلاً لانخفـاض الأسعار، وكذلك تخفيـض الضرائب وتخفيض الفوائد، وبما أنهم يعتقدون من نـاحية أخرى أنـه لا يمكن إعادة تنشيط الأعمال بـدون عملة مستقرة، فإنهم نصحوا بتحقيق خفض معدلات الفائدة بواسطة زيادة الادخار.

حكومات برونينـق في المانيا، هوفر في الولايات المتحـدة لا فال في فرنسا، انطلقت هكذا وفقاً لمستشاريها، في تجارب كارثية. في الواقع هذه الاجراءات أدت إلى خفض جديد للطلب، وضـاعفت الانكماش، في فرنسا تجربة لا فال عام 1935 كانت أسوأ، لأنها حدثت في الوقت الذي فيـه الاقتصاديات الغربية بدأت تنهض نتيجة تطبيق سياسة جديدة.

ـ نهاية الليبرالية:

عام 1932 تبنت بريطانيا اجراءات منـاقضة تماماً لسياستها التقليدية، بعـد أن حاولت عبثـاً العودة إلى الغطـاء الذهبـي تخلت عن المحـاولة، وعـوّمت الجنيه، وفي نفس الوقت تبنت نظام الحماية، وخفضت من أسعار الفائدة، إلى 2٪

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

مقابل 6٪ عام 1929، الرساميل الأجنبية تدفقت إلا أن زيادة التصدير كانت متاخرة. ولكن العجز خفض بواسطة تخفيض الاستيراد. ومن ناحية أخرى لعب التعويم، خصوصاً على المستوى الداخلي، دوراً مهماً، إذ أتاح تسديد جزء كبير من الدين العام على الأقل، وخفض من ذلك الذي بقى على الخزانة. السياسة ضد ـ الدورية الأكثر أصالة هي بدون شك سياسة النموذج الجديد التي أخذ بها روزفلت في الولايات المتحدة.

روزفلت، الذي وصل إلى السلطة عام 1931 قلب تماماً السياسة المتبعة من سابقه الرئيس هوفير، ضد الليبرالية فإنه يرى ضرورة تدخل السلطة العامة، أو على الأقل تعاون السلطة العامة مع الخواص. سياسة كانت متعددة الوجوه، بفضل تعويم الدولار، والذي أثار أولاً أرتفاعاً في الأسعار امتصت جزءاً من ديون المزارعين والصناعيين، وبعد ذلك قدم مساعدة للمزارعين الذين يقبلون تخفيض إنتاجهم خلال ثلاث سنوات. إنتاج القمح والذرة انخفض إلى النصف، مؤشرات الأسعار صعدت إلى 30٪، القوة الشرائية عند المزارعين ارتفعت من جديد، وفي الصناعة قبل بتنظيم لائحي للمنافسة بواسطة الشركات الكبرى. ولكن في المقابل فرض حقوقاً نقابية جديدة، والتي تسمح للعمال بالحصول على زيادة محسوسة في الأجور. واخيراً إدارته اخذت تتدخل مباشرة لتقديم المساعدة للعاطلين عن العمل.

في وادي تينيس، وتحت اشراف سلطة جهاز فيدرالي، سلطات وادي تينيس، تم تنفيذ استثمارات عمومية، والتي هدفها الأساس توضيب الوادي بواسطة تنظيم مجارى الوادي وفروعه وكذلك حماية الأرض، وهنا كميات كبيرة من النقود سُيلت فادت إلى انعاش الاقتصاد. حتى عام 1935، هذه الاجراءات،د التي واجهتها اعتراضات قوية، لم تؤد إلا إلى تحسن نسبي، إلا أنه رويداً رويداً نشط السوق الداخلي، والقوة الشرائية لأكبر عدد زادت، وتهديد الحرب وإعادة التسلح قامت بالباقي.

3 ـ الأنظمة الشمولية والرأسماليات تتحالف:

مع أنها تنطلق من اديولوجية مختلفة تماماً، إلا أننا يمكن أن نقارن سياسة النموذج الجديد (نيوديال) مع سياسة هتلر التي وضعها في التطبيق

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ابتداء من 1933، هنا أيضاً سياسة الانعاش الاقتصادي بفضل الانفاق العام كُملت برقابة أو سيطرة ماهرة من طرف الدولة على الاقتصاد. هذه السيطرة تتحقق بشكل رئيسي بواسطة خطط أكثر مرونة من الخطط السوفييتية والتي عهد بتنفيذها إلى المشاريع الخاصة الخصة الأولى 1933 ـ 1936 تهدف إلى القضاء على البطالة عن طريق تنفيذ برنامج أعمال كبرى تمُول بواسطة اصدار نقود، الحكومة تلزم نفسها بالحفاظ على الأجور منخفضة حتى يمكن لارباح الصناعيين أن يعاد استثمارها. الخطة الثانية، التي بدأت عام 1937 تهدف إلى إقامة اقتصاد تقشفي كما تهدف إلى التسلح، أنها اعداد مباشر للحرب.

في الواقع صعود الفاشية في أوربا، كان له نتائج خطيرة أخرى على الأنظمة الرأسمالية بشكل أو بآخر، ازدهار وتوسع الرأسمالية الصناعية، حتى ذلك الحين، واكبه تطور، أحياناً متردداً، للديمقراطية السياسية في البلدان الصناعية الكبيرة، روسيا القيصرية فقط كانت الاستثناء الصريح، ولكن مع صعود الفاشية، وضع حد لتعايش الرأسمالية والديمقراطية.الهش. الديمقراطية الإيطالية لم يكتب لها البقاء بسبب الحقد والاحباط الناتج عن اتفاقية فيرساى، هذه الاتفاقية نفسها التي فرضت على المانيا تعويضات لا واقعية، والتي انتجت في المانيا ردة فعل التضخم المفرط جداً. وقد هزتها الهزيمة بعنف، المؤسسات الديمقراطية الالمانية انهارت بسهولة أمام صعود النازية. هذه تستقطب أعوانها من بين العاطلين عن العمل، والطبقة الوسطى المنهارة بسبب التضخم مع أنها ممولة من الصناعيين الكبار الذين يخشون تقدم المد الشيوعي.

ـ الدولة الفاشية:

تحت ستار التعاونية اقامت إيطاليا رأسمالية دولة حقيقية السياسة الليبرالية التي خلال السنوات العشرين فضلت تركز الصناعة تحت رعاية المصارف تم التخلي عنها، أزمة عام 1929 هددت في الواقع باقتلاع كل البناء الصناعي والمصرفي.

الدولة الفاشية كانت مجبرة على تنفيذ خطة انقاذ المصارف والتي جعلت من الدولة مالكة للأسهم والسندات التي في حوزة المصارف، وهذا هو الأصل في

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

معهد إعادة البناء الصناعي (iRi) ودون أن تقصد ذلك اقامت إيطاليا الفاشية منذ قبل 1939 أكبر القطاعات العامة الموجودة في بلد رأسمالي. تعاونيات تنظم ـ نظرياً ـ كل فرع. في الحقيقة أنها تطيع أوامر الدولة والتي إليها ترجع سلطة القرار. هذا هو التحالف نفسه بين الدولة والتعاونيات الذي صار قاعدة التنظيم الاقتصادي الذي ظهر في أسبانيا فرانكو، وبرتغال يالازار وبشكل مهزوز في فرنسا حكومة فيشي.

ـ الدولة النازية:

في المانيا، وفيما يتعلق بالصناعة، اتحاد النظام الشمولي (التوتاليتاري) مع المشاريع الكبرى الرأسمالية كان أكثر مباشرة ووضوحاً. الزراعة فقط تملك تنظيماً من نمط تعاوني، السلطة العليا ترجع إلى الفوهرر الذي يمكن أن يفوض فيها غيره. في المشاريع مدير المشروع رئيسه صار هو «فوهرر» مشروعه. لكن مع ذلك الدولة والاقتصاد لم يندمجا معاً، بينما في إيطاليا، الدولة صارت هي الرأسمالي الأكبر في البلاد، في المانيا الملكية الخاصة والإدارة ترجع إلى رؤساء المشاريع. مجلس ثقة ومفوض عمل يضمنان تمثيل العمال، الأحزاب بالطبع ممنوعة منعاً باتاً، وإذا كان التنظيم النقابي العمالي قد الغي، فإن الكادتل، الذي هو سمة أساسية في الاقتصاد الالماني ما قبل 1914، صار إجبارياً منذ 1933، اتحاد الرأسمالية والتنظيم النازي شكل آلة حرب حقيقية، والذي غذاها بعد ذلك نهب خيرات البلاد المهزومة، واستخدام يد عاملة مستعبدة، بعض المشاريع لم تتردد في استخدام المساجين والمنتوجات المتحصل عليها في معسكرات الابادة.

في قلب الحرب، ورغم غارات الحلفاء، تقدمت الصناعة الالمانية وتحدثت. عام 1949، وقبل أن يبدأ فعلاً إعادة البناء، فإن الامكانات الصناعية الالمانية كانت أعلى من 45٪ من مستواها قبل عام 1929.

كما نجد في اليابان نفس التحالف بين التوتاليتارية (النظام الشمولي) والرأسمالية من خلال العامل الاقتصادي. هذه الفعالية الاقتصادية لم تمنع المانيا النازية وحلفاءها من السقوط في أسوأ كارثة حربية وبشرية، وأن يكون ذلك في نهاية المطاف لصالح انتشار الشيوعية.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

4 ـ انتشار الشيوعية:

نهاية الحرب العالمية الثانية تعني في الواقع انتشار وتوسع كبير للشيوعية. وقد تحقق هذا في فترتين: الفترة الأولى الاتحاد السوفييتي يتوغل في شرق أوربا، منتهزاً الفراغ الذي خلفه انهيار النازية، في الفترة الثانية انتهزت الشيوعية فرصة انهيار الامبراطوريات الاستعمارية الكبرى وخصوصاً ثورة العالم الثالث ضد الهيمنة الغربية.

ابتداء من عام 1945، لم يعد ثمة سئوال، كما أكد لينين ذلك ضد تروتسكي، عن بناء الاشتراكية في بلد واحد. في الواقع. نشر الثورة البروليتارية ليس إلا تحقيق أطماع روسيا الامبيريالية.

ـ تكون فلك الديمقراطيات الشعبية:

فسيفساء الدول التي تشكل أوربا الشرقية، والتي وجدت أساساً وفق معاهدة فرساي ووفق الحرب العالمية الأولى ففي الشمال بلدان البلطيق وفينلاندا استقلت برفضها الثورة البلشفية، الجيش الأحمر فشل أمام وارسو في محاولته اجتياح بولندا والتي تعترف معاهدة فرساي باستقلالها؛ تفكك الامبراطورية النمساوية المجرية أدى إلى ولادة النمسا، المجر، تشيكوسلوفاكيا، يوغسلافيا (المتكونة من مقاطعات مختلفة كانت تابعة للامبراطورية النمساوية المجرية حول صربيا الكبرى). وفي الشرق، في النهاية، وسعت رومانيا حدودها على حساب روسيا وبلغاريا والمجر.

منشغلة بضيق مجالها الاقتصادي، كل هذه الدول تكبدت بقسوة أزمة عام 1929، وفشل سياسة الوحدة الجمركية التي اقترحتها فرنسا، منذ ما قبل 1939 التأثير الألماني وجد المجال أمامه مفتوحاً، أن هتلر يعني دول الشرق هذه حين يدعوها «دولاً وهمية» مدفوعاً برغبة في تكوين مجال حيوي لألمانيا الكبرى، المانيا ضمت النمسا عام 1938، تشيكوسلوفاكيا سلمت بدون مقاومة وفقاً لاتفاقية ميونيخ شهوراً بعد ذلك، بولندا المستولى عليها عسكرياً جرى تقاسمها بفضل اتفاق الماني سوفييتي عام 1939 والذي أباح للاتحاد السوفييتي، من ناحية أخرى الاستيلاء على بلاد البلطيق.

مع غزو روسيا، تكون في الشرق مجال حيوي كبير لألمانيا، بعض البلدان

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ظلت مجرد حلفاء في يد جماعات فاشية كما هو الحال في المجر، رومانيا، سلوفاكيا، كرواتيا، بلغاريا. بلدان أخرى دمجت بكل بساطة في المانيا كما هو الحال بالنسبة للنمسا وجزء من بولندا وجزء من تشيوسلوفاكيا، وأخرى تحولت إلى محميات مثل بوهيميا، وأخرى إلى مستعمرة مثل بولندا وجزء من تشيكوسلوفاكيا أو تدار مباشرة من قبل الرايخ مثل صربيا أو كرواتيا واليونان، في هذا المجموع، فنلندا التي نجحت في مقاومة روسيا خلال شتاء 1939 ـ 1940، صارت حليفة المانيا عام 1940، لكنها احتفظت بمسافة تميزها عن النازية.

خارج النمسا التي صارت المانية، في كل هذه البلدان، المقاومة ضد المحتل وضد الأنظمة الفاشية كانت أولاً وطنية، ثم ابتداء من عام 1941، الكومنترن (منظمة حكومية للشيوعية الدولية) طلبت من شيوعي هذه البلدان الالتحاق بالحركات الوطنية، المسألة لم تكن دائماً سهلة التحقيق. ففي يوغسلافيا وصل الأمر إلى حرب الأخوة (حرب أهلية) بين حركات المقاومة.

المقاومة البولندية ظلت معادية للاتحاد السوفييتي ولالمانيا النازية معاً، وانضمت إلى حكومة الجنرال سيكودسكي في لندن، الاتحاد السوفييتي انشأ ضدها «اتحاد البولنديون الوطنيون»، وترك عام 1944 الالمان يسحقون تمرد وارسو بأن أوقف تقدم جيوشه على بعد 60 كم من العاصمة وارسو.

فيما عدا البانيا ويوغسلافيا، المقاومة الوطنية المتعاطفة مع الشيوعية لم تتوصل إلى الاستيلاء على السلطة قبل وصول القوات السوفييتية، والتي فرضت انداك، أحياناً إجبارياً، بعد فترة انتقالية، حكومات شيوعية، إلا أن الاحزاب غير الشوعية في تشيكولوفاكيا احتفظت بجزء من السلطة واقامت ديمقراطية ليبرالية، والتي لم تتمكن ضربة براغ من القضاء عليها إلا عام 1948.

في بولندا، اتحاد وطني شاملاً الشيوعيين، ولكن مدعوماً من الكنيسة والفلاحين والطبقات الوسطى، مكَّن بعض الوقت من الحفاظ على استقلاليته نحو موسكو، ولكن انتخابات عام 1946 فرضت نظاماً تابعاً مباشرة للسوفييت.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

في بضعة سنين، مع بعض الاختلافات، النموذج الستاليني عمم على كل الديمقراطيات الشعبية، باستثناء يوغسلافيا التي تحررت بدون دعم من الجيش الأحمر، ودخلت ابتداء من عام 1948 في صراع مع موسكو، المشاريع الصناعية أُممت، ولكن أحياناً دفعت تعويضات لملاك القدماء، الصناعة الثقيلة صارت تتمتع بالأولوية، والزراعة أهملت، وهي اهملت بالقدر الذي يكون فيه ممكناً تجميع الأراضي بالعنف. بالنسبة لحوالي 60 مليون مزارع التحرير كان يعني الأمل في تقسيم الأراضي الكبرى الشبه إقطاعية والتي تمثل البنية الزراعية لهذه البلدان. وإذا كان مصادرة الأراضي الكبيرة سهلاً فإن تكوين مزارع جماعية كان أقل سهولة، يكتفي في بعض الأحيان بإقامة تعاونيات، ويترك قائماً بعض أنواع الملكية الخاصة. في الحقيقة في هذه الحقبة نشاهد استيلاء منظماً على هذه الاقتصاديات لصالح الاقتصاد المهيمن، اقتصاد الاتحاد السوفييتي.

بعد مرحلة تعلق الأمر فيها بمجرد تحويل باسم التعويض، تعويضات الحرب، استغلال البلدان التابعة للسوفييت استمر بواسطة تبادل غير متساوي في اطار مجلس المساعدات الاقتصادية المتبادلة (أو الكومنكوم) الذي نشأ عام 1949. هذا التبادل غير المتكافيء توجب أن يتحقق بواسطة شركات مختلفة (غالباً تنتمي لبلدين أحدهما الاتحاد السوفييتي) والتي تهدف إلى تشجيع التصدير نحو الاتحاد السوفييتي لمنتجات صناعية مقابل مواد خام. العلاقة بين الكميات المتبادلة هي بطبيعة الحال في صالح الاتحاد السوفييتي، الاسعار العالمية للمنتوجات الأساسية تستعمل كمرجع، ولكن هذه تعدل بواسطة تكاليف نقل وهمية وتعديلات أخرى، بالنسبة لكل بلد من هذه المجموعة يكون الاتحاد السوفييتي أول زبون وأول مصدر، وربما الوحيد التجارة المتبادلة بين بلدان الكومنكوم تتحقق أساساً في صالح الاتحاد السوفييتي، وفي كل الاحوال يتم التبادل بالمقايضة على أساس ثنائي.

في أوربا الشرقية، وحتى عام 1962، نشاهد في الحقيقة استبدال النهب النازي بالنهب السوفييتي، ولهذا اختناقات التخطيط السوفييتي كانت فيها اشد وضوحاً. الديمقراطيات الشعبية حاولت، قبل الاتحاد السوفييتي، أن تعثر على طريق جديد نحو الشوعية. من سوء الحظ أن اصلاح النظام تبين فيها مستحيلاً قدر استحالته في الاتحاد السوفييتي.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ـ مد وجزر التوسع الاستعماري وصعود الشيوعية في العالم الثالث:

الرأسمالية الصناعية ليست الأصل في الاستعمار الغربي، لقد ولد الاستعمار قبل الثورة الصناعية حوالي عام 1500، وتدفق الذهب الذي أدى إليه الاستعمار كان أحد العوامل التي أتاحت ظهور الرأسمالية المالية ما قبل الصناعية. بعد حركة التوسع الأوربي الأول 1500 ـ 1660 والذي أتاح تكوين امبراطورية أسبانية كبيرة، جاء عصر الشركات الكبرى التجارية البريطانية، والفرنسية والهولندية. في تلك الحقبة وبالاتفاق ويدعم من حكوماتها، قامت شركات بتجميع الرساميل أهدافها الربح، ومن أجل تحقيق ذلك تحصلت على احتكارات تجارية وسلطات إدارية وحتى عسكرية. فانشأت سلسلة من القواعد التجارية، وكونت جيشاً، واخضعت السلطات المحلية. وناضلت بكل الطرق ضد المنافسة الأجنبية.

بالتوازي مع هذا بدأت هجرة الأوربين إلى أمريكا الشمالية وترحيل السكان الهنود نحو الغرب. إرادة الاحتفاظ بما وراء الأبالاش للهنود كان أحد أسباب ثورة ثلاثة عشر مستعمرة ساحلية مسكونة من الأوربيين ولإعلانها استقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا عام 1776.

ـ رأسمالية صناعية وتوسع استعماري:

في الواقع، في الوقت الذي فيه بدأت الثورة الصناعية في أوربا كان رجال السياسة حيارى يتساءلون حول جدوى المستعمرات التي تملكها دولهم. ولم يأخذ التوسع الأوربي مجالاً كبيراً إلا بعد 1830 وخصوصاً 1850، وبقدر ما يزداد ويقوى التطور الصناعي الأوربي فإن البحث عن أسواق جديدة ومصادر جديدة للمواد الخام يعطي مذاقاً جديداً للتوسع الاستعماري عند البلدان الأوربية.

في بريطانيا التوسع الاستعماري على هذا النحو مرتبط بالنضال ضد احتكار شركة الهند التي تجعل ملكفاً جداً النقل البحري والتي تحمي خصوصاً إنتاج النسيج الهندي المحلي.

الغاء الاحتكار سمح بمنع استيراد الأنسجة والأقمشة إلى بريطانيا كما

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

سمح بمنع استيراد مواد خام النسيج من الهند توسع المجال الاستعماري واكب مندئذ فرض تقسيم عملي دولي.

هذا التقسم الدولي اقام في بلدان الجنوب نوعاً من الرأسمالية التابعة وبنية تحتية ساحلية.

ـ من الاستعمار إلى فشل تعميم التصنيع:

التوسع الاستعماري الذي بلغ ذروته ما بين الحربين أدى إلى نحو لا مثيل له في التجارة العالمية، تدفق الرساميل يواكب زيادة حجم التبادل، وهذه تسهل إقامة بنية تحتية واستغلال الموارد الطبيعية. مدن قامت، والتي عرفت نمواً سريعاً، ولكن في أي مكان لم تتوصل هذه العوامل مع ذلك إلى خلق حركة تراكمية للتطور والتصنيع. وعكس ما حدث في القرن 19 وبداية القرن 20، في الولايات المتحدة وفي اليابان، وبدرجة أقل في روسيا، لم تُقم الرأسمالية فيها اقتصاد نمو.

هذه البلدان الأخيرة، كان لها الحظ أن تبدأ نموها الصناعي في حقبة حيث الهوة التقنية المطلوب اجتيازها لم تكن واسعة بقدر ما كانته ما بين الحربين، وخصوصاً اليوم. كما كانت لها إمكانية سلطة سياسية مستقلة قادرة على تشجيع سياسة اقتصادية.

إلا أن هذه الميزة لا تفسر كل شيء، رغم العقبات في وجه التصنيع المستقل في جزء من مناطق الجنوب، فإن صناعة أولى بدأت في الظهور والتطور خلال العشرينيات ، كان لها أصلان: صناعة خيرات الاستهلاك المستهدفة الاستجابة لحاجات جماعات محلية متميزة، وصناعة مرتبطة باستغلال الموارد الطبيعية، تجهيزات، صيانة المعدات في القطاعات المتجهة نحو التصدير بدأت تقوم. كان من الممكن التفكير بأن هذا التصنيع سوف يمتد شيئاً فشيئاً إلى الفروع المصدرة للمنتجات الصناعية، ويضمن صناعة المعدات الضرورية للصناعة وللزراعة. في نهاية العشرينيات بعض المناطق في الصين، وفي الهند وكذلك في منشوريا وكذلك في بعض المناطق العمرانية في أمريكا اللاتينية وصلت هذه الدرجة أو قريبة منها، عدد من خبراء «جمعية الأمم» نددوا بأوهام التقسيم الدولي للعمل، وأكدوا أن التطور التاريخي والتحليل الاقتصادي يبرهن على أن أفضل زبون لبلد صناعي ليس إلا بلد صناعي آخر.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

أزمة عام 1929 دمرت معظم الصناعات الناشئة، المراكز الكبرى الصناعية، مع عودة نظام الحماية، تقوت هيمنتها الاقتصادية، اليابان وحده انطلق في سياسة تصنيع مستعمراته. القوى الكبرى الأخرى الاستعمارية انتهزت ذلك بالعكس من أجل تضييق (الحلف الاستعماري) يجب أن تكون المستعمرات. قبل كل شيء، مخزناً للمواد الخام ومجال توسع للمنتوجات الصناعية. في نهاية المطاف، في معظم مناطق الجنوب، خارج استغلال المناجم، الرأسمالية فيها لم تتجاوز مرحلة رأسمالية تجارية ومالية، يحميها تدخل سلطة عامة غالباً عسكرية، لقد قام فيها اقتصاد خدمات أكثر منه اقتصاد سوق.

انهيار الامبراطوريات الاستعمارية:

الحرب العالمية الثانية هزت مجموع الامبراطوريات الاستعمارية بعض مراكزها ـ فرنسا، بلجيكا ، هولندا ـ وقعت هي نفسها تحت الاحتلال، الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية تمزقت ما بين حكومة فيشي وفرنسا الحرة، في آسيا اليابان يطرد الانجليز والفرنسيين والهولنديين من جزء من أملاكهم، ويؤسس في بعض منها حكومات مستقلة ولكنها وضعت لصالح اليابان، ولتفادي الاسوأ فإن بريطانيا تعهدت للحركات الوطنية بالاستقلال.

منذ عام 1941، وثيقة الاطلنطي، التي أملتها الولايات المتحدة، تؤكد حق كل شعب «أن يختار شكل الحكومة التي يريد الحياة في ظلها» وأكثر من ذلك أنها تطلب بالحاح أن يعود سادة واصراراً في ممارسة حكومتهم كل أولئك الذين حرموا من ذلك بالقوة.

بعد عام 1945، سواء عن طيب خاطر أو نتيجة حرب استقلال، اضطرت المراكز الاستعمارية إلى قطع علاقات التبعية السياسية التي تربط مستعمراتها بها. وفي أقل من ثلاثين سنة انهارت الامبراطوريات الاستعمارية، لكن الاستقلال السياسي لا يقدم في نفس الوقت الثقة في التطور ولا في الاستقلال الاقتصادي. تاريخ أمريكا الجنوبية والصين يذكرنا بهذا، رغم أنها أما تحررت مبكراً أو أنها لم تمر بحالة مستعمرة، هذه المناطق الواسعة تكبدت مع ذلك هيمنة الاقتصاديات الصناعية الرأسمالية.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

وفي الوقت نفسه الذي يتكون فيه فلك من البلدان التابعة له في أوربا، لعب الاتحاد السوفييتي لعبة «الضد استعمار» في الصراع ضد الظلم الخارجي. انتشار التأثير الشيوعي كان مهماً وسريعاً حتى أنه عام 1949 صارت الصين شيوعية، الحكومة الوطنية بزعامة تشانج كاى شك، مع أنها مدعومة بالمساعدات الأمريكية انهارت أمام الجيش الشعبي بقيادة ماوتس تونق الذي عرف كيف يكتشف ويستقطب الامكانات الثورية في أرياف الصين، بفضل الصين لم تعد الشيوعية تظهر على أنها مجرد حرق مراحل نحو التصنيع، لقد صارت أسلوباً لتعبئة السكان الريفيين، أننا نفهم، ولو متأخرة، أنه في الحالتين تعلق الأمر، ولو جزئياً، بوهم غالي التكاليف، الأهمية المعطاة لجماهير الفرحين صارت عنصر مواجهة صينية ـ سوفيتية. في انتظار هذا الفهم، التفسير الماركسي للاستعمار، وقدرة النظام الستاليني على تأسيس قثاعدة صناعة ثقيلة، وقدرة الصين على تحريك الريف اغرت العديد من حكومات العالم الثالث للنسيج على نفس المنوال.

حقيقة مؤتمر باندونج عام 1955 اعلن وحدة العالم الثالث ولم توجه دعوة إلى الاتحاد السوفييتي، وأكد الاستقلاله في وجه المعسكرين، ولكن الصين كانت حاضرة، وشوين لاي أثار إعجاب عدد كبير من الوفود. إلى جانب الأنظمة التي تأخذ بالشيوعية الخالصة، فاننا نرى البلدان التيَ تبحث عن طريق وسط تتعدد، راغبة في تشجيع اشتراكية عالم. ثالثية، وهذا ما مثلته الحالة الحالة الجزائرية.

عند وفاة ستالين عام 1953، الأنظمة الشيوعية كانت قائمة في مجموع أورواسيوي هائل، الحرب الفرنسية الجزائرية، مشكلة قناة السويس عام 1956 سهلت تغلغل الاتحاد السوفييتي في إفريقيا وفي الشرق الأوسط. عام 1959 بوصول كاسترو إلى السلطة في كوبا حصلت الشيوعية على موقع قدم في نصف الكرة الغربي. خلال هذه الحقبة لم يشهد التوسع الشيوعي غير اخفاق واحد: عدم الاستخواذ على كوريا الجنوبية عام 1950.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

من دولة العناية إلى الرأسمالية الجديدة
1945 ـ 1973

عام 1939 أخرجت الحرب الرأسمالية من كسادها العظيم. إلا أنه غذاة الحرب الثانية، وفي الوقت الذي يقيم فيه الاتحاد السوفييتي فلكه في أوربا من بلدان تابعة، فإن الوضع في أوربا يجعلنا نخشى الاسوأ، صحيح الولايات المتحدة استفادت كثيراً من الحرب، ولكن الازدهار فيها كان استثناء.

بالمفارقة، في الوقت الذي بدأ فيه التوسع الشيوعي على أنه لا يمكن مقاومته، فإن عام 1945 كان نقطة نهوض ملفت للنظر ولتحولات رأسمالية محسوسة. في البداية المساعدات الأمريكية لاوربا ـ خطة مارشال ـ هي العنصر الحاسم في إعادة بناء أوربا الذي تحقق، عدة متكهنين توقعوا إبطاء النمو، ولكن هذا لم يحدث، لأن الأنظمة الرأسمالية عثرت على عوامل قوية لتوسيع الطلب وإنسجام داخلي جديد.

1 ـ الرأسمالية تعثر على عوامل قوية لتوسيع الطلب:

خلال الحرب، إنتاج الجملة عرف في الولايات المتحدة رقماً قياسياً لم يحلم به حتى خبراء الدراسات المستقبلية، 248 ألف طائرة ثم بناءها، 720 مليون قنبلة تم إنتاجها إنتاج المطاط الصناعي وصل من 16000 طن عام 1939م إلى 730 ألف طن عام 1944، اللذائن أخذت في الظهور كما تم توليد الطاقة الذرية.

التقدم الثقني انتشر أولاً بواسطة جهود البلدان الأوربية من أجل تبني المنهج الأمريكي، والمساعدات المتمثلة في خطة مارشال سهلت هذا الانتقال بواسطة الاستيراد الهائل للمعدات الأمريكية الوف رجال الأعمال، والمهندسين والنقابيين وجهت لهم دعوات لزيارة الولايات المتحدة للاطلاع. في فرنسا، هذا العمل ثم تنظيمه بواسطة تأسيس «مفوضية تحسين الإنتاجية.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

وبعد ذلك الشركات الأمريكية، من خلال استثماراتها المباشرة صارت العامل الأساسي في هذا الانتشار.

ـ نمو ودعم الطلب الداخلي:

رويداً رويداً مجموع البلدان الرأسمالية تعلمت الإنتاج الكبير، أيضاً توجب الأمر أن يكون الاستهلاك كبيراً يستجيب في كل لحظة لهذا الإنتاج. تحالف اقتصاد الحرب، وحالة الرخاء اعطتا لتدخلات السلطة العامة وسائل ضمان استهلاك جماهيري.

ـ تأثير اقتصاد الحرب في زمن السلم:

من عام 1954، وبمعنى آخر من نهاية حرب كوريا إلى حرب الهند الصينية الثانية، انفقت الولايات المتحدة 450 مليار دولار لاهداف عسكرية* ثم شهدت الولايات المتحدة من جديد ظهور اقتصاد حرب حقيقي، أطنان القنابل الملقاة فوق فيتنام تساوي أطنان القنابل التي القيت على المانيا ما بين 1939 ـ 1945. زما يزيد عن 10٪ من السكان النشطين يعملون بصورة دائمة، سواء مباشرة أو بطريق غير مباشر، في الدفاع الوطني، الدولة الأمريكية تشتري 93٪ من إنتاج الطائرات والصواريخ، 60٪ من الإنتاج البحري (سفن غواصات .. الخ) و 48٪ من إنتاج أجهزة الاتصالات 21٪ من الإنتاج الاليكتروني.

لقد اخذنا كنموذج أو مثال الحالة الأمريكية، أهمية الانفاق العسكري، في الواقع، مست كل البلدان الرأسمالية المصنعة ما عدا اليابان، إلا أن هذا الأخير استفاد فائدة كبيرة من حرب فيتنام وحرب كوريا. الانفاق العسكري صار حافزاً هائلاً للتوسع الصناعي، وبالاشتراك مع حالة الرخاء، أعطى للانفاق العام وزناً لم يعرف مثيله حتى ذلك الحين في النشاط الاقتصادي. أن العمل بواسطة الانفاق العام لتنظيم وللحفاظ على الطلب كان سهلاً عندما يقارب الانفاق العام 40٪ من الناتج الوطني الخام أكثر منه في حالة أن الانفاق العام لم يتجاوز قبل ذلك 10٪.

---

* عام 1969 الناتج الوطني الخام في فرنسا لم يتجاوز 160 مليار دولار.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ـ دولة العناية (حالة الرفاهية):

صعود دولة العناية مرتبط بعدة صراعات اجتماعية وبتطور اديولوجي طويل الامد، ووراء إقامة أنظمة التأمين الاجتماعي نجد تحولات عميقة في المجتمع والاقتصاد.. العناية الصحية أفضل ولكن أغلى، العمراني يطرح مشكلات السكن والتي لا يمكن لأحد حلها غير السلطة العامة، العائلة لم تعد العائلة الكبيرة كما كانت في السابق، لقد اختزلت في زوجين واطفالهما الصغار، العائلة لم يعد في مقدورها اعالة أعضائها ممن يتعرضون لصعوبات وغالباً بعيداً عنها، التعليم صار عامل نمو والذي لا يمكن للدولة إهماله. أما بالنسبة للشيخوخة فإن مستوى تطور الحياة افترض تقاعداً ليس في مقدور رأسمالية فردية.

ولكن هناك أكثر من هذا، منذ تأسيسه، الضمان الاجتماعي يراه البعض وسيلة استقرار الدخول، فاصلة الدخول عن الإنتاج، متيحة الحفاظ على الاستهلاك عندما يتباطأ الإنتاج، وبهذا يكون النضال ضد الانكماش.

هذا هو مشروع خطة بيفردج التي تم تبنيها خلال الحرب من قبل الوزارة البريطانية للوحدة الوطنية، والتي وضعت قيد التنفيد من قبل الحكومة العمالية فيما بعد الحرب.

ولكن مع ذلك يمكن أن نخشى أن هذا التوسع في الدخول يمكن أن يثير توسعاً في الادخار، وبعض الاقتصاديين توقعوا ـــ على كل حال ـــ تشبع الحاجات.

لكن لم يحدث شيء من هذا، الأمريكيون الذين لم يستطيعوا خلال الحرب تجديد مخزونهم من الخيرات المعمرة ـ سيارات ثلاجات ـــ أفران راديوات.. ـ اسرعوا إلى المتاجر ينفقون مدخراتهم، بل ويستدينون. بعد ذلك الدعاية والاستراتيجيات المعدة جيداً في موضوع التسويق، حافضت على الشراء في مستوى عالٍ. وفي كل مكان أخذ الأسلوب الحياة الأمريكية في الانتشار.

إلا أن هذه الأساليب ما كان لها أن تمنع الركود في الطلب لو لم يصبح الاستهلاك الفردي قيمة عليا في المجتمعات الرأسمالية.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
بالنسبة للمجتمعات الصناعية الموسومة بالتنظيم، زمن الاستهلاك ظهر على أنه الزمن الخاص بالفرد، ذلك لأنه يتيح له تأكيد هويته، ومن الغريب أن المغرمين بمظهر حياة أفضل يحاولون التميز عن الآخرين بالحصول على نفس خيرات الاستهلاك الجماهيري. المجموعات الأقل خطأ كان في صالحها تركيز مشترياتها فيما يمكن إنتاجه بكميات واسعة وبتكاليف متناقصة.. التوسع في إنتاج السيارات والمعدات المنزلية من وجهة النظر هذه يعلمنا الكثير، نشتري الخيرات المعمرة لأننا لا نملك الوسائل للعبور إلى تصور آخر للحياة أفضل. المجموعات المحظوظة تفضل بالعكس الخدمات، العناية الجمالية، السياحة الفنادق، المسارح، المتاحف.

هكذا تطور استهلاك جماهيري، والذي سهل أولاً تحول الإنتاج إلى جماهيري والذي قام في الولايات المتحدة خلال الحرب، تم تطوره في كل البلاد الرأسمالية. لقد صار يؤطر قطاعات واسعة من الاقتصاد وسهل ظهور النمطية في الإنتاج. إنتاجية، استهلاك حوافز، وضع اجتماعي صارت تدعم بعضها بعضاً. المظاهر السلبية للنمو، والاختيار الثقني والاقتصادي الذي تتيحه قللت من أهميتها نفسياً واجتماعياً.

ـ معنى دولة العناية:

دولة العناية هي نتاج محض للتوازن غير المستقر الذي قام في البلدان الرأسمالية عندما تسجل الديمقراطية نقاطاً ضد الرأسمالية.

الرأسمالية هي نظام اقتصادي، والذي إذا ترك لحال سبيله يتجه نحو مضاعفة اللامساواة. إلا أنه تاريخياً، قيام هذا النظام تواكب مع تطور الاديولوجيا الديمقراطية، هناك روابط بين الليبرالية الاقتصادية والليبرالية السياسية، مع ذلك، لقد رأينا أنه خلال السنوات السوداء للرأسمالية أن التوتاليتارية والرأسمالية أمكنهما أن يتعايشا.

ابتداء من 1945، وفي كل البلدان الرأسمالية الصناعية صارت الديمقراطية من جديد في موقع الشرف، ولكن الديمقراطية السياسية هي نظام سياسي والذي فرض شيئاً فشيئاً المساواة الأساسية بين المواطنين أمام القانون، من حيث المبدأ «إنسان واحد صوت واحد» مما جعل التناقض ممكناً مع توجه الأنظمة الرأسمالية إلى مضاعفة اللا مساواة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

منذ القرن التاسع عشر، مع رفضهم للاشتراكية التي يدركون خطر التوتاليتارية التي تقود إليها، برر كتّاب اقتصادياً اعادة توزيع الدخول التي تتجه إلى خلقها تلقائياً الرأسمالية. الأكثر شهرة من بين هؤلاء الكتاب جون ستيوارت ميل 1806 ــ 1873. آخر كبار الكتاب الكلاسيك، من وجهة نظره، يجب أن يطيع الاقتصاد القوانين الصارمة التي يفرضها السوق، ولكن توزيع الدخول يكون حراً. في كلمة «لكن» عند ميل نجد كل التبرير للأصلاحية ولسياسة الرفاهية، ستيوارت ميل، على كل حال صار أحد منظري العمالية الناشئة، كما ناضل من أجل حق النساء في التصويت وتطوير الحد من النسل.

شيئاً فشيئاً، الأنظمة الرأسمالية اقامت توازناً غير مستقر والذي، مخففاً من الأزمات الاجتماعية، ومنظماً الطلب، اعطاها القدرة على البقاء والتعديل لا مثيل لها.

لم تجد في الرأسمالية الليبرالية بعد عام 1945 نفساً جديداً بل وجدت الأنظمة الرأسمالية نفسها الثاني فيما يمكن تسميته رأسمالية ديمقراطية وسوف نرى أن هذه الرأسمالية الديمقراطية ليست بدون غموض وليست خالية من التناقضات، لكنها مع ذلك تملك إمكانيات حلول التناقضات السياسية والاجتماعية التي ضربت من الداخل الأنظمة الرأسمالية وصدمت محاولات استيعابها.

ـ تطبيق سياسة الضد دورية:

عام 1945 لا أحد يعلم أن كان بالإمكان التوصل إلى تفادي العودة إلى الركود.

في مرحلة أولى كان يتوجب تحويل قدرة إنتاجية حربية هائلة إلى الاستعمال المدني. وضع برنامج تحويل فعال جداً، عاونه جنون الشراء في الأسر الأمريكية وخطة مارشال، مما أمكن إنجاز ذلك. عام 1948 مرحلة التحويل وقد انجزت فإن الإنتاج الصناعي عثر من جديد على توجه متصاعد، إلا أنه عام 1949 صار الاتجاه مقلوباً، واخذ الانكماش يقوى.

للمرة الأولى منذ الحرب توجب على الدولة التدخل لأعادة تنشيط الطلب، الانعاش بدأ عندما انفجرت الحرب الكورية منذ ذلك الحين، ولمدة عشرين عاماً فإن سياسة الضد دورات من أجل انتظام الطلب، أعطت نتائج مرضية خطط

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

انعاش مع عجز في الموازنة، أعمال عمـومية ضخمة تخفيض الضرائب، وتسهيل الاقراض عنـدما يهبط الطلب، يقابلهـا في كل البلدان خطط استقـرار، القروض غالية، العجز في الموازنة قضى عليه أو خُفض، الادخار جرى تحفيزه. جزئياً كل البلدان جهزت نفسها بادوات تحليل وتوقع اقتصادي متيحة التصرف في أفضل الظروف.

اجراءات الدولـة هذه تكون فعالة بقـدر ما يكون الانفاق العام عـالياً، انه انتصار سياسة كينز.

2 ـ استعادة التوسع التجاري العالمي:

ما بين الحربين رأينـا شيئاً فشيئاً تمزق المجال الاقتصـادي العالمي. فمن ناحية القوى الكبرى تحتفظ لنفسها بالانفـراد بالتجارة مع عدد من البلدان غير الصناعية والتي تستعملهـا كمجال توسع لمنتجاتها الصناعيـة. كمخزن للمواد الخام، المجال الكبير الـذي كان هتلر يـأمل إقامتـه، أو الامبراطورية الفـرنسية، المنطقة الفـرنسية مستقبلاً، تقـوم على هذا الأساس. مـن ناحية أخـرى، الأزمة الكبرى لعام 1929 جرَّت سلسلة من ردود الأفعال من تعويم واجراءات حماية، والتي اثارت كما شاهدنا، انهيار حقيقياً في التجارة الدولية، فمن عام 1929 إلى عام 1934 انخفضت بنسبة 61٪.

في نهاية الحرب العالمية الثانية، بـدا أن التوسع في التبادل التجاري الدولي صعب أيضاً، أوروبا مدمرة، وصناعتها في جزء منها محطمة، بدت غير قادرة على جعلها تستعيد مكانتها في التجارة الدولية تحت سيطرة الولايات المتحدة.

الخوف من التوسع الشيوعي أتاح قلب هذه الوضعية عام 1947 أطلقت الولايـات المتحدة برنامـج مساعدات اقتصاديـة واسع لأوربا. خطة مـارشال، باسم سكرتير الدولة الأمريكي الذي اعلنها، من 1949 إلى 1952 استلمت أوربا 13,7 مليـار دولار، والتي جـاءت لتضـاف إلى 10,4 مليـار دولار من فـائض مساعدات مستعجلة قُدمت فيما بعد الحرب مباشرة. برنامج المساعدات هذا أتاح لأوربا الغـربية، ليس فقط استعـادة إمكانياتها الإنتـاجية لما قبل الحرب، وإنما أيضاً امدادها بالدولارات التي شجَّعت انتعاشاً عاماً للتجارة الدولية.

من 1950 إلى 1968 تضاعفت قيمة الصـادرات بمقدار 3,6، لقد انتقلت من 61 إلى 238 مليار دولار، هذا الارتفاع استفـادت منه بشكل رئيسي البلدان

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
الرأسمالية المتطورة فقد تضاعفت قيمة صادراتها 4,5 مرة، بينما صادرات الدول غير المتطورة لم تتجاوز 2,3 مرة. واقعة أخرى مهمة: رويداً رويداً التبادل بين البلدان المتطورة صار متفوقاً، من عام 1950 إلى 1970، حصة التبادل في التجارة الدولية بين بلدان رأسمالية متطورة انتقلت من 37٪ إلى 52٪ بينما بين البلدان الرأسمالية المتطورة والبلدان غير المتطورة انخفضت، من 40٪ إلى 25٪.

خلف هذه الأرقام نجد نمطين من التطور: تطور ثقني، المواد المصنعة حلت محل المواد الأولية الطبيعية، وتطور سياسي: البلدان الرأسمالية تبحث عن تكوين مجموعة اقتصادية واسعة والتي فيها التعاضد بين البلدان الصناعية يحل محل التقسيم القديم للعمل بين البلدان الصناعية والبلدان المصدرة للمواد الخام.

الجماعة الاقتصادية الأوربية هي بدون أدنى شك، العنصر الأكثر تقدماً في هذا التحول: أنها تهدف إلى التوحيد الاقتصادي لست بلدان: ألمانيا، فرنسا، إيطاليا، هولندا بلجيكا، لوكسمبرج. في أساس هذه الجماعة نجد ثلاث أفكار رئيسية:

1 ـ وحدة أوربا لا يمكن أن تكون مباشرة في المستوى السياسي، يجب ادماج الاقتصاديات باطراد، وأن يخلق هكذا دينامية أوربية.

2 ـ لمواجهة الهيمنة الأمريكية فإن الصناعات الأوربية يجب أن تتمكن من الحصول على سوق واسع، البلدان الأعضاء أسست فيما بينها مجالاً حيث تنتقل السلع بحرية وكذلك الأشخاص والرساميل.

3 ـ التبادل الحر لا يكفي من أجل ادماج الاقتصاديات في كل واحد. تدخلات الدولة، تنوع السياسات النقدية والضريبية و الاجتماعية، والتنظيم الخاص للاقتصاد بواسطة المجموعات الصناعية الكبرى يمنع إنسجاماً تلقائياً للاقتصاد. يجب إذن إقامة مؤسسات مهمتها تشجيع سياسة الانسجام في البنى السوق المشترك يقبل مبدأ دعه يعمل وليس مبدأ دعه يمر. من عام 1950 إلى 1973، صارت التجارة الدولية، كما كانت في القرن التاسع عشر، عامل نمو مهماً . التنافس الدولي حفّز الشركات الصناعية والتي في ظل حماية جمركية تخاطر بأن تفقد جزءاً من حيويتها. من ناحية أخرى توسيع الأسواق الذي جرّ تحرير التبادل، سهل إقامة وحدات إنتاجية كبرى قادرة على أن تضع موضع العمل وسائل ومناهج أكثر فعالية.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

خلال هذه الفترة، الخاسر الكبير كان البلدان غير المتطورة إنتاجها الذي أخذت البلدان الغنية تستغني عنه فقد من قيمته، وبسبب انخفاض قوتها الناتجة عما تصدره فإنها تصدر دائماً كميات أكبر من المواد الخام لكي تحصل على نفس الكمية من الإنتاج المصنع، وهذا ما يزيد بالتالي في اثراء البلدان المتطورة.

ولكي تستطيع الدول غير المتطورة، رغم كل شيء، التطور فإنها تقترض، وتحاول جذب الرساميل الخاصة، لكن فوائد ـ خدمات ـ الديون، والأرباح المحولة نحو البلدان الغنية تزداد ارتفاعاً. أرقام عام 1967 بليغة التعبير، والمساعدة العمومية لم تعد تعوض الخسائر، أنها مجرد تخفيف جزئي من الاضرار الملحقة بالعالم الثالث بسبب استغلاله لصالح البلدان المتطورة. أنها شكل من الترضية ضد توجيه الاتهام العنيف للهيمنة، والاسوأ أن الحرب الباردة بين البلدان الرأسمالية والبلدان الاشتراكية، جعلت من «المساعدة العمومية» عنصراً استراتيجياً ليست له علاقة بالتطور.

وإلى يومنا هذا التناقض شمال جنوب لم يحل، وسوف نحلل نتائج هذا التناقض خاصة في الفصل الأخير.

ـ تخفيف حدة الأزمات الاجتماعية:

بقدر ما يتأكد النمو الاقتصادي فإن الوضع الاجتماعي يتحسن باطراد الاجراء بما في ذلك العمال حققوا اندماجاً أفضل في المجتمع الرأسمالي. هذا الاندماج كان سريعاً حتى أن النقابات صارت مؤسسات حقيقية تلعب دوراً حاسماً في الانتظام الاجتماعي.

ـ الأنماط الجديدة لادماج الفرد في المجتمع:

نحن بعيدون جداً عن وضع العمال في القرن التاسع عشر، حيث كان العمال قوة عمل والتي لا تستطيع، إلا بصعوبة المشاركة في الحياة الوطنية. الأساطير الجمهورية فقط أو الوطنية تجرهم عرضاً إلى مغامرة ما سياسية أو حربية حيث تربطهم بالجماعات الأخرى من الأمة، من حيث الأساس كان العمال مستبعدين من المجتمع الصناعي.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

هذه العزلة العمالية كانت كبيرة، حتى أن الثقافة الشعبية والثقافة العليا فخر البورجوازية كانتا تشكلان مجموعتين مستقلتين ليس لهما علاقة ببعضهما إلا قليلا. يجب انتظار التعليم وتعميمه في المستوى الابتدائي في نهاية القرن التاسع عشر لكي تظهر بوادر أول وحدة ثقافية، لكنها كانت بداية خجولة جداً. وفي الواقع المعاش، المعابر الهشة التي اقامها التعليم الابتدائي بين الثقافة الشعبية والثقافة العليا انهارت. هذا الوضع تغير بشكل محسوس.

ادماج العامل في مستوى المشروع ـ الشركة ـ : المشاريع الحديثة اضطرت إلى دمج العامل بطريقة جديدة، لم يعد الأمر يتعلق بمجرد نزعة أبوية، ولكن بضرورة اعطاء الاجراء وضعاً قانونياً جديداً.

أولاً التركيز جر إلى إقامة تنظيم بيروقراطي، المشروع صار هرمية من الوظائف المجردة ـــ اللا شخصية ـ وهذا هو السبيل الوحيد للسيطرة على المجموع الاجتماعي الضخم الذي صاره المشروع. ولكن الهرمية لا يمكن أن توجد إلا إذا أقر بها كل عضو فيها، وانظم إلى جهازها. إذا ظل خارجاً عنها، فإن العامل يخاطر ليس فقط بالانغلاق في حياة موازية، والتي تحطم الإنتاجية، ولكن سلبيته يمكن أن تؤدي إلى افشال كل تنظيم المشروع. حاولت المشاريع إذن إدماج العامل بفضل تنظيم بسيكولوجي للعمل، معداً حسب الاتصال. الإنسان كُيِّف مع مركز عمله، الاطارات تحولوا إلى قيادات، كل شيء سُخِّر لكي يشعر العامل أنع عضو في كل وأنه ينتمي إليه.

إلا أنه وحتى منتصف السبعينيات، تقسم العمل والمهام الحاد الذي فضله تايلور ظل العنصر المهمين في تنظيم العمل.

إدماج الأفراد بواسطة الاستهلاك:

دمج الأفراد في المجتمع بواسطة الاستهلاك ساهم أحياناً بنفس الروح، إلا أنه مع ذلك لا يمكن انكار أن هذا الدمج أدى إلى ارتفاع محسوس في مستوى الحياة عند العمال، لقد صار العامل يستفيد أكثر مما هو في السابق من الخيرات التي يخلقها بعمله.

الفقر المطلق، الذي كان سيجعل التناقض الرأسمالي حاداً بسبب ضعف الاستهلاك، ويدعم بالتالي المعارضة العمالية، بدا أنه نظرية صعب القبول بها،

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

وبدت نظريـة الفقر النسبي أكثر صـلاحية. في الواقع دخول بعـض المجموعات الهامشية، كبار السن، الأجانب ، المزارعين الصغار، النساء الوحيدات، لم تشهد ارتفاعاً يمكن مقارنته مع ارتفاع الأرتفـاع الحاصل في الدخول الأخرى، خاصة وأن الحاجات تـزيد أسرع من زيادة الأجـور. إلا أن هذا الفقر النسبي كـانت له نتائج بسيكولوجية مختلفة كثيراً عن نتائج الفقر المطلق، اتساع مجال الحاجات يتحقق من خلال انتشار اسطورة الرفاهية المادية، والتي تعيق الوعي بالحاجات التي لم يشبعهـا المجتمع الـرأسمالي تلقائيـاً، خصوصـاً في المجال الاقتصـادي والاجتماعي.

البحث عن استهلاك أكثر يجعل مقبولاً الارغـامات الناتجة عن الإنتاجية، الإنتاجية تسمح بالاستجابة للمطالب الخاصة باللأجور وتسهل زيادة الأجور. نظريـة تايلور لم تلغ لقـد صارت مقبولـة بفضل زيادة الأجور. لقـد منح اسم فوردية «نسبة إلى فورد» لذلك التحالف الذي تم بين التايلورية والأجور العالية. رجل الأعمال الشهير، هنـري فورد كان الأول في تبريـر الأجور العـالية كعنصر محرك في الإنتاج الجماهيري. أنه الماركس الإيطالي ـ المنشق ـــ انطونيو قراماس 1891 ـــ 1937 الذي أول مـن استخدام مصطلح «الفـورديـة» لكي يبرز دور زيادة الأجور في قبول فقدان الاهتمام بالعمل.

ـ توحيد الثقافة:

بالتوازي، كل الآلة الضخمة للصنـاعة الثقافية اتجهت إلى صنع الإنسان النمطي، مهما كان الواقع المعاش من قبل الفرد يجد نفس الافلام، نفس المجلات الكبرى، نفس برامج التلفـزيون أو الإذاعة مكونة الاسـاس في التراكم الثقافي. في الماضي 1 مايو يطبع حياة العمال، اجتماع سنوي يطبع حياة البورجوازية، اليوم نقل مباراة فـرنسا ـ بـلاد الغال من بطولـة الخمس أمم يكون ذكـرى مشتركة للعمال والبـورجوازيـة الاختلاف الثقـافي لازال قـائماً، لكنه يغـرق في طوفـان الصور والمواد التي تبثها وسائل الاتصال الجماهيري.

ـ تأسيس النقابات وتحولها إلى مؤسسات:

منذ عام 1935، روز فلت في سياسة لمكافحة الأنكماش، اراد اعطاء وزناً أكبر للنقابات العمالية بواسطة القـانون. الأجور المنخفضة وضعف الاستهلاك

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

العمالي بدا له على أنه العامل الأول في الأزمة ، وخلال الحرب مشاركة العمال في «الجهد الحربي الوطني» حدد سياسة الأجور وبرر ادماج الامتيازات الاجتماعية في الاتفاقات الجماعية، وقنن اجراءات المطالب في حالة المشاكل، وقوى من سلطة الهرمية النقابية على قواعدها في المشاريع وزاد في هذا التوجه المؤسساتي حتى وصل إلى حد السيطرة على التشغيل للعمال الجدد في عدة مشاريع كبرى.

بعد الحرب، هذا التوجه المؤسساتي للنقابات. تدعم من خلال المفاوضات والاتفاقات الاجتماعية. بالنسبة لأدارات المشاريع الكبيرة هذا يتيح ضبط، وربما أيضاً برمجة الصراع لقد صارت النقابات وسيلة اتصال بين المشروع وعماله يسهل بفضل الاتفاقات الجماعية تنظيم سوق العمل الداخلي في المشاريع والحفاظ عليه خارج المنافسة منسجماً.

لقد نتج عن هذا دائرة حقيقية خيرّة. ارتفاع الأجور يثير زيادة في الطلب الذي يحفز الاستثمار، والذي بدوره يسهل زيادة الإنتاجية والتي تبرر مطالب عمالية جديدة..

النقابية على هذا النحو جماعة ضغط داخل الرأسمالية والتي تسرع في تطور دولة العناية.

صحيح الصراعات ظلت باقية خلال هذه الفترة، النقابات الأمريكية لم تتردد في القيام باضرابات طويلة الأمد في جنرال موتور في عام 1945 استغرق 113 يوماً، واضراب عمال صناعة الحديد عام 1953 استغرق 116 يوماً وعام 1947 اضراب عمال مصانع فورد استغرق 45 يوماً، إلا أن هذه الحركات ليست ضد الرأسمالية، النقابات هي عنصر التوازن الاقتصادي والاجتماعي، وبدوام ضغطها تجبر المشاريع على التوجه إلى الامام.

في فرنسا، النقابية، حتى في فترات مجدها لم يكن لها ابداً نفس القوة، إلا أنه بفضل اندماجها في مجموع المؤسسات العامة، وتطور المطالب الجماعية، الحد الأدنى للأجور، الأربعين ساعة، التقاعد في سن الستين عاماً، توصلت إلى نتائج تقريباً مماثلة. إلا أن الحالة الفرنسية ضلت أصيلة.

النقابية تصدر عن تقليد ثوري، حتى عام 1914 النقابية تمسكر خارج

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الأمة، اليوم تحولها إلى مؤسسة تحقق كما تحقق في أي مكان آخر، ويبدو أنها انخرطت في مسار لا يمكن عسكه. إلا أنه من ناحية أخرى، التقليد المضاد للنقابية عند أرباب العمل الفرنسيين لازال قوياً: لحظة اضرابات مايو 1968 لاحظنا أن إدارة أحد المشاريع الكبيرة جداً لم تلتق بالنقابات منذ واحد وعشرين عاماً. ومن ناحية أخرى الأساس القديم للامبيريالية النقابية لازال قائماً، النقابية الفرنسية تندمج على كره في مجموع الاقتصاد والمجتمع. كما أنه من ناحية أخرى تغليب الاديولوجية الذي ترجم في تشتت نقابي حقيقي يكبح هذا الاندماج.

في بداية السبعينيات، قبل الانخفاض الكبير الذي حدث في النمو الاقتصادي، هذا التشتت واكب أزمة استراتيجية.

في الواقع، حتى النقابية العامة للعمل C.G.T التي لا تعتقد أن تحسناً دائماً يمكن الوصول إليه في مجتمع رأسمالي، فأنها تعمل كجماعة ضغط، هذه الاستراتيجية تبدو أحياناً أقرب إلى النقابات الأمريكية منها إلى C.F.D.T (نقابة عمالية فرنسية).

موقف مبدئي صلب جداً، يتحالف في الفعل الواقعي مع مرونة كبيرة الرأسمالية مندد بها، عندئذ فإن قبول هذه الميزة أو تلك ليس له في النهاية أهمية كبيرة. من ناحية أخرى، حين ترفض أن تأخذ في الاعتبار المشاكل التي تطرح نفسها على المشروع والضرورات الاقتصادية عموماً فإن C.G.T تقترب كثيراً من وضع النقابات الأمريكية. «فليقم رب العمل بمهامه، نحن نقوم بمهامنا : نحن نطالب» صحيح تماثلات خادعة تكون في غير محلها، مع ذلك من الملاحظ أن سياسة نقابة تريد لنفسها أن تكون جماعة ضغط داخل الرأسمالية، ونقابة أخرى تعترض في النهاية على الرأسمالية يعتمدان على نظرية غير متكيفة مع الوقائع الحاضرة، يكونان موضوعياً قريبتين من بعضهما جداً. النقابة العامة للعمل C.G.T تعدل نفسها في الواقع وفق النظام الذي تعترض عليه من حيث العموم. احداث عام 1968 أكدت هذه الرؤية، لقد ركزت النقابة العامة للعمل على الامتيازات المادية أكثر من تركيزها على التحولات البنيوية، أكثر من هذا لقد أعاقت احتمال قلب النظام.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

في المانيا، وفي انجلترا، وفي بلجيكا، دائماً مع تنوعات وخصوصيات، نجد نفس الغلبة للمفاوضات الجماعية، مؤسساتية العمل النقابي، والمطالب المتعلقة بالأجور أدت إلى نفس الحلقة، وفق التحليل الكنزي مجموع سوق العمل صار شبه سوق عمل، خارج العرض والطلب على العمل صارت علاقات القوة هي التي تحدد عمل السوق.

ـ التغيرات في جماعة أرباب العمل:

التركيز والحاجة إلى التنظيم أظهرت وجود جماعة اجتماعية جديدة لإدارة المشاريع: أنها الأطر المديرة للصناعة والتجارة. هذه الجماعة التي تتكون من اجراء أساساً حلت محل إدارة أرباب العمل القديمة.

ـ ظهور بنية تكنوقراطية:

في صميم هذا التحول نجد متطلبات التقنية الحديثة، من الآن فصاعداً القرارات الاقتصادية التي يتوجب على الأدارة أخذها في مشروع كبير تفترض تعاون العديد من الاخصائيين، مع ذلك أيضاً ضرورة توقع المستقبل في المدى الطويل، حتى يمكن دعم الاستثمارات وتخطيط البحث جر إلى إقامة جهاز لا يمكن السيطرة عليه إلا بواسطة جماعة من الاختصاصيين، على رأس كل مشروع حديث كبير نجد جسم إدارة من الأطر العليا، والذين قرارهم يكون جماعياً والذي يعمق سلطتها في جهاز المشروع ـ نفسه، الاقتصادي الأمريكي كالبرايت يتحدث في هذا الخصوص عن بنية تكنواقراطية، لم تعد السلطة لشخص واحد في المشروع ولكن السلطة فيه للجهاز. في نفس الوقت جماعة أرباب العمل القديمة بسبب ما ذكرنا تغيرت في عمقها، أرباب العمل الذين لهم حق مقدس والذين سلطتهم مرتبطة جداً بالملكية صاروا موضع سؤال من قبل أرباب العمل بالوظيفة والذين سلطتهم ترتبط بقدراتهم وكفاءتهم.

في كل البلدان، هذا التحول سهلة إمتحاء الملكية والذي سوف نتحدث عنه، في فرنسا بعض الاحداث التاريخية، وبعض خصوصيات المجتمع الفرنسي أسرعت بهذا الاجراء، أولا خلال الاحتلال الالماني مجالس الإدارة ـ من الملاك ـ والتي لا ترغب في التعاون مع الالمان، تركت المسئولية الكاملة على عاتق الإدارة والأطر المديرة من الاجراء. هذه الاستقلالية استمرت بعد التحرير لعدة أسباب:

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

أولاً موجة التشريك أجبرت رب العمل القديم على الاختفاء، ومن ناحية أخرى زيادة تدخلات الدولة وضعت في المرتبة الأولى كفاءات الأطر المديرة وعلاقتها مع الإدارة العليا. تدخل الدولة قوي هيمنة كبار المفوضين (البوليتيكنيك، مفتشي المالية، العلوم السياسية، وقريباً المدرسة الوطنية للإدارة) وسهل الاستيلاء على السلطة من قبل أعضائها: أطر المديرين الاجراء.

ـ الاطر القيادية تبحث عن الشرعية:

صحيح هؤلاء السادة الجدد للمشروع هم أرباب عمل، وقانونياً سلطتهم تتوقف دائماً على قبول ملاك الرأسمال. في الحقيقة موقفهم مختلف تماماً عن موقف أرباب العمل القدامى، لم يعد رب العمل كما كان في الماضي السيد بعد الله، منفرداً في مواجهة السوق، متأكداً من شرعية سلطته المستمدة من شرعية الملكية، لقد صار عضو فريق لا يوجد إلا بواسطة تنظيم المشروع. حق الملكية لم يعد بالنسبة له إلا عذر أكثر من أي آخر، الأطر المديرة تشعر تماماً أن «الملكية حق على الأشياء» لا يمكن أن تعطي حقاً على الناس (أي السيطرة). خاصة عندما العلاقة بين الملكية والسلطة تنتج عن شكلية عديمة الجدوى هي الجمعيات العمومية. الأطر المديرة أخذت تؤسس سلطتها على قدراتها وكفاءتها ودورها في فريق العمل (الإدارة) وعلى انسجام المشروع، وهذا يتضمن بالنسبة للأكثر تقدمية منها الاتفاق مع الجماعات الأخرى في المشروع.

موقف الأطر المديرة يتنوع غالباً حسب الفرع الذي فيه يوجدون وحسب تقاليد المشروع أو المشاريع التي تتولى إدارتها. من ناحية أخرى ليس هناك في الصناعة والتجارة أطر مديرة فقط، بالعكس أن كانوا يمثلون رقم أعمال معتبراً إلا أنهم غارقين في محيط جمهرة من أرباب العمل الصغار والمتوسطين، مع ذلك داخل المشاريع الصغيرة والمتوسطة نفسها اخذت تتميز باطراد أقليات هي الأخرى تبحث عن وضع اقتصادي واجتماعي جديد. منذئذ فصاعداً أرباب العمل ليسوا كتلة موحَّدة، بعض أعضائها اجراء أولاً مثل أولئك الاوستقراط الليبراليين الذين شاركوا في ثورة 1789، يبحثون جدياً عن اقتصاد يجمع معاً الفعالية والعدالة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ـ تشتت الأطر القيادية:

تشتت الجماعات المديرة كان كبيراً لدرجة أن تدخل الدولة واستقلالات بعض المسئولين السياسيين ضمنت السلطة لجماعة ذات خصوصية: أنهم الموظفون الساميون، والذين يطلق عليهم أحياناً مصطلح تكنوقراط، في الواقع هذا المصطلح ليس في محله. ذلك لأن هؤلاء الرجال يفكرون نادراً إنطلاقاً من مواصفات محض تقنية أو اقتصادية خالصة، هؤلاء المختصون في التنسيق وفي التأليف (التركيب) يسترشدون ببعض القيم وبتصور معين عن الصالح العام الذي يحاولون خدمته من خلال صراع المجموعات على السلطة، أنهم بشكل من الأشكال يمثلون جماعة ضغط في خدمة الصالح العام[1] بدون قاعدة اجتماعية حقيقية حتى وأن كانوا في معظمهم منحدرين من الطبقة المديرة، فأنهم يبحثون عن دعم فعلهم بواسطة لعبة ذكية تقوم على التوازن والتشاور. وهكذا يدخلون في صراع مع الجماعات الأخرى بما فيها جماعة أرباب العمل. في فرنسا، وفي بلدان أخرى الوضع معقد جداً، لدرجة أن مجموعة الموظفين الساميين، رغم وحدة سلوكهم لا يشكلون هم أيضاً كتلة موحدة، هناك اختلافات أن لم يكن تعارض محسوس جداً بين الإدارة الاختصاصية الرأسية ـ وزارة الزراعة.. الصناعة.. ـ والإدارة الأفقية ـ وزارة المالية مفوضية التخطيط.. ـ والتي لها اختصاصات عامة، حركية وتوجهات بعض الإدارات، أن لم تكن وزارات بأكملها تتوقف أيضاً وبشكل كبير على الأوساط الوصية عليها، هكذا وزارة الزراعة تحولت باطراد من موقف محافظ إلى موقف تقدمي وفق التغيرات التي حدثت في سلوك مديري الزراعة. ومن ناحية أخرى، تنوع تكوين الموظفين الساميين، والذي خفَّ دون أن يختفي منذ انشاء المدرسة الوطنية للإدارة E.N.A، وإمكانيات الانتقال من القطاع العام إلى القطاع الخاص جعل الموظفين الساميين يختلفون في تصورهم للصالح العام، وفي قدراتهم على مقاومة جماعات الضغط.

---

(1) هذا موقف متجدد منذ القدم في التقاليد الفرنسية، الإدارة الفرنسية لم تتخل عن موقف وصاية على الاقتصاد وعلى المجتمع، أكثر من ذلك منذ تشريعات الملك التي ظهرت في العصور الوسطى اعتبرت الإدارة الفرنسية نفسها دائماً المسئولة عن الصالح العام. وسوف تقابلنا هذه الخصوصية فيما بعد.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

3 ـ تنفيذ الرأسمالية الجديدة:

في الرأسمالية الليبرالية، مشاريع مستقلة تتنافس كل شيء ليس نظرياً إلا أوتوماتيكي، التوجيه الاقتصادي الإرادي خاص أو عام لا يمكن أن يكون إلا مضراً به.

في الرأسمالية الجديدة هذا لم يعد كما كان، مراكز قرار خاصة أو عمومية أخذت تتجه إلى تنسيق الأنشطة الآلية أولاتوماتيكية التي كانت تسم الرأسمالية الليبرالية تخلت عن مكانها لأهداف عامة، أحياناً وطنية ودولية تم اختيارها وطلبها إرادياً.

في المرحلة العالمية، الشركات الكبرى المتعددة الجنسية أو (العبرجنسيات) صناعية وتجارية صارت تدير مجموعات اقتصادية واسعة، أنها تدخل تغيراً في العلاقات بين الدول الوطنية لتجعلها علاقات داخلية في نفس الشركة.

هذا لا يعني أن المنافسة غير موجودة، أنها تأخذ أحياناً أشكالاً أخرى، مشروعات صغيرة لازالت قائمة وتتطور، ولكن شيئاً فشيئاً بدت الشركات الصناعية في البلدان الرأسمالية كاقتصاد مزدوج القطاع.

وزن المجموعات الاقتصادية الكبيرة، أو القرارات العمومية في توجيه الاقتصاد ظل متفوقاً، والاقتصاد حصر هكذا في سلسلة من شبكات القوة، المعلومات، التنسيق، بعضها تابع للسلطات الاقتصادية عادة خاصة، والآخر تابع للسلطات العمومية.

ـ التنظيم الخاص للاقتصاد:

التنظيم الخاص للاقتصاد ــ أي القائم على الملكية الخاصة ــ يكمن في منطق تركيز السلطة الاقتصادية، والذي منذ القرن التاسع عشر صار أحد الخصائص الأساسية في الأنظمة الاقتصادية، ولكن التركيز في تبلوره صار يأخذ معنا خاصاً.

ـ أسباب التركيز والتضامن:

التركيز والتضامن يستجيبان لضرورات ثقنية واقتصادية معاً.

أهمية الاستثمارات: الصناعة الحديثة تتطلب أحياناً استثمارات والتي

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ليس لمشروع صغير إمكانية توفيرها، الأهمية المتعاظمة للرأسمال الثقني التي تسم الاقتصاد المعاصر تتضمن الحفاظ على الإنتاج كحد أعلى مرتفع بما فيه الكفاية. في الواقع مالياً ابدال الاهلاك في التجهيزات الصناعية من كل الأنواع لا يمكن القيام به في عدد محدود من الوحدات.

البحث: لقد صار البحث باطراد مفتاح النمو الصناعي، وأهمية تكاليف البحث يفسرها البطء وعدم اليقين في مجرى التجارب، أننا لا نتوصل كل يوم إلى نموذج يمكننا من التصنيع التجاري، في هذا المجال التركيز هو وسيلة مثلى لتفادي ازدواجية الاستخدام والتبذير.

اخطار المنافسة: اليوم أهمية الوسائل التقنية الموضوعة في العمل تزيد من الفترة اللازمة لأقامتها، عدة سنوات تمر أحياناً بين قرار الاستثمار واللحظة التي تبدأ فيها التجهيزات الجديدة الإنتاج. المخترعات، الدعاية، والموضة تجعلها تهرم قبل الآوان. فتح الحدود بواسطة تحرير التبادل، في الوقت الذي أتاح فيه أسواقاً أكثر أهمية زاد في عدم اليقين.

الشركات الكبيرة جداً فقط تملك الوسائل لمواجهة هذه الأخطار وهذه المتطلبات: القدرة المالية، القوة الضرورية لجعل المستقبل يستجيب لمشروعاتها وقدرتها على تخطيط المستقبل.

ـ معنى التركيز والتضامن:

مع التركيز والتضامن، وحدة القاعدة في الاقتصاد الرأسمالي لم تعد في كثير من الفروع المشروع، ولكن صارت المجموعة، إلا أنه من الصعب القول أين تبدأ وأين تقف سلطة المجموعة، ذلك لأن الاتصال بين المشاريع والمجموعات نفسها معقد، قطاعات واسعة تحكم هكذا (يجب أن نقول أيضاً يخطط لها) بواسطة بعض مراكز القرار عبر تدخلات متعددة.

تكييف البنى الصناعية: التوسع المستمر لهذه المجموعات ليس بدون خطر، ذلك لأنه يفترض إقامة جهاز بيروقراطي ثقيلاً جداً، والذي يهدد بزيادة صعوبات الاتصال وزيادة التكاليف العامة ويحول دون تحديد استراتيجية فعالة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
سنـرى فيما بعد أن هـذه السلبيات جـرت ردود أفعال وأدت إلى تطـور أشكال جديدة لتسيير المشاريع.

لقد تحدث كثيرون في هـذا الخصوص عن «الحجـم المثالي» للمشروع، في الـواقع لا يبدو أن هنـاك حجم مثـالي، ما يجري البحث عنـه، قبل كل شيء، هـو القوة، والعظمة هي أحد عناصر القوة، بـالعكس هناك بدون شك بناء مثالي « أو الحد الأقصى» وخطأ العديد من المشاريع الفرنسية أنها تتجه نحو التركيز دون أن تغير بنيتها.

من ناحية، لكـي تكون قادرة على الحياة، مجموعـة اقتصادية ذات حجم دولي لا يجب أن تحفظ في داخلهـا إلا مـا لا يمكـن الحصـول عليـه عنـد غيرهـا بإنتاجية أفضل. شركة جنرال موتورز فهمت هذا جيداً، أنها تتعامل مع 45000 متعاملين بالباطن وموردين. أنها ليست في أقصـى حد إلى منظمة تجارية ومالية واسعة وتملك مـراكز بحوث وورش تركيب، لا تصنع هـي نفسها إلا العناصر التي يمكن إنتاجها في مصانع آلية.

إننا هنا بعيدين جداً عن التوجـه الفرنسي الراغب في صناعة كل شيء، وإلا يعهد بالباطن إلا في فترات الازدهار. في الحقيقة التركيز يستلزم أن تواكبه إعادة توزيع للعمل في داخل الفـرع، لا يجب أن يؤدي إلي تصفية المشروعات الصغيرة والمتوسطة بل إلى تخصصها في الإنتاج الذي يتطلب مرونة أكبر.

من نـاحيـة أخرى، المجمـوعـة الصناعيـة لا يجب أن تبقى على صفتهـا الاحاديـة، بل يجب أن تنقسم إلى أقسـام وربما إلى مشاريع لها استقـلال كاف بالنسبة لمركز القرار في المجموعة.

ـ طبيعة المجموعة الصناعية:

حجم المجمـوعات الصناعيـة والمالية الحالي، والدور الـذي تحاول زعمه لنفسهـا في تنظيم قطـاعـات واسعة مـن الاقتصاد، أحـدث تحولات في طبيعـة سلطاتها. هـذا الوضـع ليـس دائماً مطلوبـاً إرادياً، يتعلق الأمـر في أحيان كثيرة بنتـائج تـرتبت على التطـور الاقتصـادي والاجتماعي ولتغير حجم الـوحـدات الاقتصاديـة. هكذا اتفـاقية يتم التـوصل إليها بين الإدارة والعمال في مجمـوعة صناعية لـه من الصدى الاجتماعي ما ليس للاتفـاق المعقود ضمنياً بين العمال

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
ورب العمل في مشروع صغير. القرار المتخذ من مجموعة صناعية بتأسيس مجموعة صناعية في منطقة ما يمكنه أن يقود إلى اضطراب كل البنى في تلك المنطقة، أو أن يجعل اقتصاداً وطنياً برمته يتوازن أو يختل. إننا هنا نلمس سلطة اجبار وتوجيه اقتصادي والذي يتجاوز كثيراً السبب الاجتماعي للمشاريع أو مجموعات المشاريع أو أيضاً الاحتكار، دائماً غير المؤكد، لسوق ما. منئذ وحدات الإنتاج تكون الوحدات التي تأخذ في الواقع القرارات السياسية والتيً يتوقف عليها مصير المجتمع.

اقتصاد الحرب قوي هذا الاتجاه. أن شركة تنتج أسلحة حديثة تكون أحياناً في وضعية أفضل، من دولة ذات حجم متوسط، لكي تحدد نمط استخدامها، وسيكون لها دور المستشار في تحديد الاستراتيجية. صحيح توجد أنظمة تسليح متنافسة يمكن الاختيار ما بينها، وتحديد العقيدة الحكومية في موضوع الدفاع الوطني ليس من شأن مشروع خاص، إلا أنه عندما يتم تحديد الاختيارات الأساسية، فإننا نشاهد انسجاماً بين الدولة والشركات الكبرى.

اقتصاد الرفاهية أدى هو أيضاً إلى أتساع السلطة السياسية للشركات ، تضاعف الرغبة المرتبطة بالرفاهية يفترض تغيير مطرد لمواصفات السلوك، وحتى قواعد أخلاقية، الدعاية المدفوعة من قبل الشركات الكبرى، لها كمهمة أساسية تسهيل هذا التغيير، من أجل تصريف منتجاتها، فإن الشركة تؤثر في سلوك المواطنين وترشدهم إلى كيف يكون الرجل والمرأة في القرن العشرين: وتحدد لهم معايير جديدة للجمال، للخير، وللشر. وما يزيد في أهمية دور الشركات أن سلطة القوى الدينية والأخلاقية أخذة في الانهيار، وموضع اعتراض، لأنها لم تعرف كيف تتكيف مع شروط المجتمع الحديث.

ما وراء التنظيم الوطني الخاص، يأتي التنظيم الدولي الخاص: اليوم التركيز يتجاوز حدود الوطن، شركات تنظم قطاعات واسعة من الاقتصاد الدولي، هذه الشركات التي تسمى أحياناً متعددة الجنسية، صارت باطراد أحد العناصر الرئيسية في الحياة الاقتصادية. في نهاية عقد التسعينيات تكون الأرقام بليغة ، من خمسين أكبر كيان اقتصادي كبير نجد 13 مشروع و 37 أمة ومن مائة كيان اقتصادي هناك 51 مشروع (منها 39 أمريكي) و49 أمة. استثمارات الشركات الأمريكية في الخارج تمثل وحدها كمية مساوية لاقتصاديات الاتحاد السوفييتي، المانيا واليابان معاً.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

هـذا البزوغ للشركـات المتعددة الجنسيـة يتجـدر بعمق في تطـور البنى الاقتصـاديـة العالميـة. في مـرحلـة أولى الثورة الصنـاعيـة ضـاعفت التبـادل، والاقتصاديـات صارت تعتمـد على بعضها البعـض بواسطـة توسع التجـارة الدولية. من ناحية أخـرى، في المجالات التي فيها استغلال المواد الأولية يفترض نقل واسـع للمعرفة وللـرساميل وللتقنية إلى بلدان متخلفة جداً فـإننا نشاهد أن شركات متعـددة الجنسية تتطـور: الجلود والنفط كـانا على هـذا النحو قـاعدة البداية لموجة مهمة جداً من الشركـات المتعددة الجنسية. يقدر اليوم أن 60٪ من المنتوجـات الأساسية المستـوردة في الولايـات المتحدة هي في الواقـع نقل داخل نفس المشروع. موجة جديدة من الشركات متعددة الجنسية كانت نتيجة السوق المشتركة، منطقة جذب ودعوة بالنسبة للشركات الأمريكية، لقد صار إذن مفيداً أن يُنتج في أوربـا الخيرات القابلة للبيـع في السوق الأوربي، أكثـر من 50٪ من السيـارات المستوردة من الـولايـات المتحدة هي في الـواقع سيـارات أمريكيـة مصنوعة في الخارج، وبالتوازي الشركات الأوربيـة ترى في اندماجها في شركات متعددة الجنسيـة ذات أصل أمـريكي وسيلة لتعـويض التأخـر الثقني، أو بإن تجعل مدفوعاً بسعر أعلى رأسمالها التجاري. اليوم جاء دور الشركات الأوربية واليابانية للاستثمار في الولايات المتحدة والتي تظل المركز الكبير للتقدم الثقني.

ـ ازدياد تدخل السلطة العمومية:

حتى لو أن الدولة بدت واقعـة تحت هيمنة المجموعات الرأسمالية، إلا أن هذا لا يعني أنها غير مـوجودة، في قلب الـرأسمالية المعاصرة شبكـات من خلال ينتشر فعل الدولة وتأثيرها.

الدولة ليست فقط أحد العوامل الـرئيسية في النمو، ولكنها أيضاً في قاعدة انتظام الطلب، وهي تقيم تخطيطـاً عاماً للاقتصاد، وتنسيق بـواسطة اجراءات خارج السوق، بين مراكز القرار الرئيسية.

ـ الدولة عامل نمو:

بفضل مراكز بحوثها العلمية صارت الدولة المخترع الكبير المشجع لعديد من فـرص الاستثمار، هكذا الطاقـة الذرية، أو الصـواريخ عابـرة القارات، أنها توجه على المدى الطويل وتسرع في القتدم الثقني.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

سيطرة التقدم العلمي يقوى من هيمنة الدولة على الإنتاج، شيئاً فشيئاً قطاعات واسعة صارت تتبع مباشرة الدولة، وفي حالات أخرى تضاعف عدد شركات الاقتصاد المختلط حيث ظهر تنسيق بين النشاط العام والخاص.

وأكثر من هذا الدولة صارت تتدخل في التنظيم المهني، وتُنشىء، أن لم يكن موجوداً. أنماطاً جديدة من العلاقات بين المجموعات الاجتماعية الدولة إذن لها أثر مهم في تغيير الأبنية الاقتصادية والاجتماعية وكذلك في النمو.

ـ انتظام الطلب:

التأثير الحاسم للدولة على الاقتصاد لا يمارس مع ذلك على الإنتاج ولكن على تدفق النقود، منذ بداية الستينات، موازنات الدولة تمثل في أغلب البلدان المتطورة أكثر من ربع الدخل الوطني، لقد صارت الدولة القاعدة الدائرة لتقسيم وتوزيع العوائد النقدية يمكنها بوسائل مختلفة أن تنقص أو تزيد من موارد هذه المجموعة أو تلك المجموعة الاجتماعية. وأكثر من هذا، الدولة، وقد تخلصت من «تابو» الغطاء الذهبي، فإنها صارت تتحكم في خلق النقود وفي قيمتها، أخيراً تستطيع الدولة التدخل في توزيع وتقسيم التدفق النقدي من وصفيه مهيمنة.

[illegible] بواسطة الاقتراض، بواسطة استقطاعات الدولة بواسطة [illegible] بواسطة إعادة توزيع الدخل [illegible] الطلب

[illegible] الشركات [illegible] تكون

غالباً نقاط دعم طبيعي مؤسسات مالية هي تعبيء الموارد. المكافآت والدعم يلعبان دور تحفيزي، مفوضية التخطيط حلت محل هذه البرامج في اطار تصور متوسط المدى للاقتصاد الفرنسي.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

في البداية الزامية جداً، وخلال السنين صـارت الخطة ارشادية أكثر منها الزامية، ولكن لها دائماً ميزة أنها تقدم للسلطات العامة انسجاماً عاماً لافعالها.

إلا أنه، وعبر السنين، هذا النظـام صار أكثر ثقلاً مـن القدرة على إدارته : المكافآت والدعـم سـهلاً البقاء على قيد الحياة وتعدد مشاريع أقـل اتقاناً وكفاءة. البرامج الكبرى دفعت أحياناً المشاريع إلى توجيه إنتاجها نحو جزء السوق الذي تحميه الدولة.

لا يجب أن ننسى مع ذلـك، أن النموذج اليابـاني والذي نجاحـه كثيراً ما يثار عنـد الكثيرين، بما في ذلك المنظـرين الليبراليين، أنه يـرتبط بـالاستراتيجية الإرادية أكثر من ارتباطه بالاستراتيجية الليبراليـة، أننا نجد فيه أهمية المشاريع الكبرى، إقامـة البرامج العمومية الكبيرة، وأهميـة السوق العمومي، بـاختصار السلطة العمومية.

بالمقـارنة بالنمـوذج الفرنسي، الاختلافـات بالطبع مهمة أولا، المشـاريع اليابانية الكبيرة مسمحة تماماً، وفروعها المتجهة نحو الاستهلاك تمثل في الواقع أسواقاً أسيرة إنتـاجها من المعدات والتجهيزات، أنها من ناحيـة أخرى مارست مبكراً تقسيم عضـوياً للعمـل فيمـا بينهـا وبين عـدد كبير جداً مـن المشـاريع صغيرة والمتوسطة ـ المشغلة ـ القدرة على تقليد نماذج معينة

[illegible]

أسواق جديدة في الخارج فـإنه ينطلق مـن الأسواق الـداخلية التي تسهـل هذا الانتقال.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
اليابـانيون استخدمـوا حتى الآن استراتيجية إرادية، يلخصـونها في هذا المثل «من الأفضل أن نجعل مستقيماً المسمار الذي نريد دقه» .

وعلى خلاف الممارسات الفرنسية واليابـانية فإن الأمريكان طوروا نمط من التدخل «الليبرالي». خـارج الزراعة والانفاق العسكري وغـزو الفضاء، فإن الدولة تتدخـل أقل بواسطة الدعم والاقراض أو الطلب المبـاشر، وأكثر بواسطة الاعفاء الضريبي للأرباح.

إن الـدولة تحدد قـواعـد اللعبة والتـي أكثـرها شهـرة التشريع المضـاد للاحتكـار، لكنها لا تقـول ما يجب عملـه. أخيراً الدولـة تصنع الشروط التي في صالح تطور الاقتصاد وفي صـالح روح المشروع والتقدم التقني من الحماية إلى برامج الفضاء الكبرى، يتعلق الأمر بخلق محيط أو بيئة صالحة للاختراع التقني في المشـاريع. عكس اليـابانيين الـذين يـريدون «دق المسمار» فـإن الأمريكـان يريدون أن «يتركـوا تزدهر زهرة الأقحوان» من سـوء الحظ بدور الأقحوان لم تنجح دائماً.

4 ـ الرأسمالية الجديدة هل هي رأسمالية؟

عندمـا حاولنا، فيما يتعلـق بالرأسماليـة، تحديد خصائص هـذا النظام ركزنا على سماتها المتمثلة في : المبادرة الخاصـة، الربح، الملكية الخاصة لخيرات الإنتاج، عدم تدخل الدولة، ودور السوق.

بالمقارنـة مع الاشتراكية، تكون الرأسمالية إذن نظـام فيه بفضل السوق والملكية الخاصـة لخيرات الإنتاج تكـون القرارات لا مـركزيـة ومتناسقـة معاً. وصف الـرأسمالية الـذي قدمنـاه وما يجعلهـا تبدو جـديدة، يبتعـد كثيراً عن خصائصـها الأسـاسية: الدولة صـارت عنصراً أساسياً في الرأسماليـة، صعود تدخلات الـدولة أو السلطة العمومية يـواكبها تهميش الملاك أن لم يكن تهميش الملكية أيضـاً، الربـح لم يعد الحافـز الوحيـد للإنتـاج، والسوق لم يعـد المنظم الأساسي للرأسمالية.

مع ذلك الرأسمالية الجديدة هي دائماً نظام رأسمالي:

1 ـ إذا كان السوق لم يعد يعلب دوره السابق، إلا أنه لا يزال في قلب عمل

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الرأسمالية الجديدة، أولاً السوق يلعب دوراً ترشيدياً ومؤشراً عن الاختلال. وإذا لم يعد صفة خاصة بالرأسمالية إلا أنه على كل حال عنصر نجده في كل الأنظمة الرأسمالية التي تعمل بصورة جيدة. السوق، رأينا ذلك، يتيح تكيفاً يومياً للعرض والطلب في مستوى الاقتصاد الجزئي.

بعد ذلك، إذا لم يعد للمنافسة دورها الأسطوري الذي يعزوه لها المنظرون الليبراليون، إلا أنها موجودة دائماً، وتأخذ في بعض الأحيان سمات حادة، أن يقع الملاحظ في الخطأ أحياناً فإن هذا تفسره واقعة أن المنافسة تأخذ اليوم أشكالاً جديدة والتي تبعدها عن المنافسة بواسطة الثمن.

هكذا يمكن للشركات أن تتنافس

ـ بواسطة حملات الدعاية والتي تسمح ليس فقط بانتزاع الزبائن من المنافسين ولكنها تمنع أيضاً ظهور قادمين جدد إلى السوق. عندما الانفاق على الدعاية يكون مهماً في قطاع ما، فإن القادم الجديد يتوجب عليه اقناع كتلة ضخمة وهذا ينهك كثيراً ميزانيته.

ـ بواسطة المخترعات التقنية والتي سرعتها تزداد حتى تنهك الشركات الكبرى نفسها. في الحقيقة الأبحاث العسكرية هي أساس عدد كبير من المخترعات. محصورة بين ضرورات السباق والنموفإن الشركات الخاصة تضطر إلى إشاعة مخترعاتها حتى قبل أن يكون السوق قادراً على استيعابها.

ـ بواسطة المخترعات التجارية والتي تحفز الشركات على أن تغير باستمرار الشكل، والعرض وتعليب منتجاتها. معرض السيارات يوضح كل سنة هذا النمط من الاختراع، ملحق الخدمات (خدمات بعد البيع، محطات الوقوف في المحلات الكبيرة، ضمان شامل..) يمكن أن نرجعها إلى هذا النمط من التجديد.

ـ بواسطة الاستثمار الزائد عن الحد: كل مشروع يتجه إلى الحفاظ على وضعه باستثماره أكثر مما هو ضروري حتى يردع أي هجوم من جانب منافسيه. إلا أنه يجب أن نشير إلى أن هذه الممارسة ليست ممكنة إلا إذا كان ابدال الاهلاك يمكن أن يتحقق باستخدام جزء فقط من القدرة الإنتاجية.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ـ بواسطة الميزات الاجتماعية: الشركات الأكثر قوة تعطي لأجرائها ميزات لا يستطيع منافسيها تقديمها، الأجر السنوي المضمون كذا هكذا بالنسبة لجنرال موتورز وبالنسبة لفورد، وسيلة تصفية شركات سيارات ثانوية أو على الأقل منع نموها.

لنلاحظ أن هذه الأشكال الجديدة للمنافسه في كل الأحوال تقود إلى زيادة في التكاليف وأحياناً كثيرة إلى زيادة الأسعار بينما المنافسة القديمة تؤدي عموماً إلى خفض الأسعار.

أخيراً إذا كان السوق والمنافسة لم يعد لهما نفس المعنى السابق فإن السوق يبقى ايديولوجيا. اقتصاد السوق يعتبر على أنه الوحيد المنتج، الاقتصاد خارج السوق والذي يختص بالتجهيزات العمومية للاقتصاد الإداري والمحلية اعتبر غير منتج. أنه مقبول في أحسن الأحوال على أنه تكاليف ضرورية. هذا الموقف مؤسس على الدور الذي لعبه السوق تاريخياً في انتصار الدول الرأسمالية على الغرب، أنه يسرع تطور المجتمعات الرأسمالية نحو اشباع الحاجات بواسطة الشراء من الدكان.

2 ـ الربح لم يعد الحافز الأساسي للنشاط الاقتصادي، والملكية لم تعد العنصر الأساسي في السلطة. ولكن هل نحن بعيدون عن وضع الرأسمالية الليبرالية؟.

الربح لازال يجري البحث عنه، فهو الوسيلة الأساسية لنمو المشروع، وهو أيضاً صفة تقييم ـ بين أخريات ـ من أجل الفوز بين المشروعات المتنافسة، وإذا كان كبار التكنوقراط الخواص لا يبحثون عن الربح لذاته إلا أنهم يحتاجون إليه لكي يضمنوا قوتهم، البحث عن الربح الأقصى والسريع اختفى ولكن المدير الأجير يحتاج لربح منتظم وعلى مدى طويل حتى يضمن نمو مشروعه ويؤكد قوته. الربح ليس مجرد مؤشر للإدارة الجيدة، أنه الوسيلة الأساسية لتمويل الاستثمار بالنسبة للشركات الكبرى، الأشكال الأخرى من التمويل ليس لها إلا دور مساعد.

3 ـ ملكية خيرات الإنتاج لم تعد تلعب نفس الدور الذي كان لها في الماضي: الملكية الخاصة تخلت عن مكانها للملكية التشاركية والملاك، أشخاص طبيعيين،

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

جرى استبعادهم بأطراد من مراكز القرار في السلطة مع ذلك بقي في حوزة الدولة والتي استحوذت عليها مجموعة صغيرة الملكية.

المالك لا يزال عنصراً أساسياً في السلطة. قادة مشروع ما يتوجب عليهم أن يضعوا من بين أهدافهم الحفاظ على «قيمة المشروع ونموه» وإذا لم يفعلوا فإنهم يثيرون انخفاض القيمة في البورصة أو سهم مشروعهم. والذي لن يدعن خطر عليهم، من ناحية المدخرين يمكن أن يخلعوا عنهم عندما يحتاجون إليهم. إن التمويل الذاتي لا يستطيع الاوفاء بكل شيء. ومن ناحية أخرى الأسهم ذات الأسعار الرخيصة يمكن أن تغري مجموعات مالية أو منافسين والذين يرحبون بابعاد الطقم القيادي في المشروع. سوف نتناول هذا فيما بعد.

4 ـ الدولة تتدخل. ولكن السلطة الاقتصادية تبحث دائماً عن الهيمنة على السلطة السياسية، الرأسمالية الجديدة تحتفظ في مواجهة السلطة السياسية بحذرها القديم والذي كان في أساس الليبرالية البدائية، في الماضي علية السلطة الاقتصادية مورست إنطلاقاً من الصفة المطلقة لملكية خيرات الإنتاج. ومبدأ دعه يعمل دعه يمر، وآليات المنافسة. اليوم الدولة لم يعد دورها يحتزل في دور شرطي أو مجرد إدارة المنجزات لقد صارت تعرف كيف تفرض قراراتها. ولكن القوى الاقتصادية لا تقبل غالباً إلا على مضض هذا الوضع الجديد، وتحاول جذب السلطة السياسية لصالحها.

جماعات الضغط تحاول وتحاصر باستمرار كبار الموظفين بواسطة ممثلين عن المشاريع الخاصة الكبرى أو العامة المؤممة: اغراقت البرلمان، إعداد الرأي العام بواسطة وسائل إعلام في يد السلطة الاقتصادية، توجيه الحاجات وإنماط الحياة بواسطة الدعاية ، والعلاقات التي تسهل الخلط بين مصالح الشركة والصالح العام، تتجه إلى الحفاظ على غلبة القوى الاقتصادية. هذه الاجراءات تنجح في أهدافها كثيراً أو قليلاً. في بعض الحالات تقاتل الرأسمالية في الخطوط الخلفية. ولكن من حيث الأساس لازالت القوة الاقتصادية الخاصة غالبة. عند كثير من المفكرين هذه الغلبة تبدو ضماناً للحرية، يبدو أن نشكل الناس بواسطة الدعاية يصدم أقل من أن نؤثر عليهم باعطائهم تجهيزات عمومية وتكوين عمومي. وأن تطفل السياسة يخشى أكثر من أفعال المجموعة الاقتصادية الخاصة!.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الأنظمة الاشتراكيـة اقامت سلسلـة من المؤسسات والتـي كان يجب أن تتيح للسياسة الخروج منتصرة من هذه المواجهة.

هنا ربما اختـلاف أساسي بين نظـام رأسمالي ونظام اشتـرامـي. يبقى أن نتسـاءل : كيف لهذه الغلبـة للسيـاسـة يمكن أن تقـود إلى شيء آخـر في مجتمع تـوتاليتـاري، وظهور طبقـة جـديدة مسيطـرة، الاصلاح المستحيـل للأنظمـة الاشتراكية بين أن هذا لم يكن عملياً.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الباب الثالث

الاصلاح المستحيل للأنظمة الاشتراكية

1953 ـ 1990

من 1917 إلى 1953، تغيرات طالب بها اشتراكيو القرن التاسع عشر. خاصة ماركس، وضعت موضع التنفيذ: أولوية السياسة ، ملكية جماعية لخيرات الإنتاج، دكتاتورية البروليتاريا. سهلت كل بطريقتها النضال ضد التخلف، لكنها لم تعط النتائج المنتظرة من قبل المناضلين الاشتراكيين في القرن التاسع عشر: الموارد الوطنية أمكن حشدها لصالح دولة قوية، امبيريالية، توتاليتارية، منافسة الولايات المتحدة في زعامة العالم.

اقتصادياً هذه الانتصارات سريعاً ما وصلت حدودها، البنى المؤسساتية في روسيا الستالينية تسهل متابعة أهداف بسيطة: أولوية الصناعة الثقيلة، وخيرات الإنتاج والتجهيزات والسلاح. انسجام الإنتاج، الاستجابة لطلب متنوع على خيرات الاستهلاك، الإدارة المثلى للموارد لم تكن هذه في متناولها. التكاليف الاقتصادية والاجتماعية لهذا النمط من التنظيم كانت هائلة..

بعد موت ستالين، الاتحاد السوفييتي، وبلدان أوربا الشرقية حيث فرض الجيش الأحمر الاشتراكية، دخلت بالتأكيد مرحلة محاولات الاصلاح المتوالية، وأحياناً متناقضة، والتي لم تتوصل إلى شيء.

الأنظمة الاشتراكية لم تتمكن من اصلاح نفسها، ولم تتمكن من استيعابها تناقضاتها، وفي عام 1989 بدا أن العودة إلى اقتصاد السوق صارت الهدف الذي له الأولوية في البلدان الشرقية. الاشتراكية الواقعية المعاشة لم تعد أمل ورجاء ولكن أحباط ويأس تناقضات اقتصادية، وتناقضات اجتماعية تفاعلت وجرت البلدان الاشتراكية (الشيوعية) إلى وضعية أزمة كبرى بل أكثر إلى وضعية انهيار.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الفصل الخامس

البحث عن تخطيط فعال

خلفاء ستالين من خروتشيف وحتى قورباتشيف، غيروا في العمق من التوجهات التي اعطاها ستالين، في اواخر حياته، للاتحاد السوفييتي. بعد إعادة البناء، واللحاق بمستوى ما قبل الحرب (عمل عظيم لأن الإنتاج الصناعي انخفض 42٪) فإن اختياراً فرض نفسه: هل نستمر في اعطاء الأهمية للصناعة الأساسية على حساب صناعات الاستهلاك؟ خطة السبع سنوات المعتمدة عام 1960 من قبل المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعي كرست أول توجه، الصناعة الأساسية لازالت دائماً مفضلة ولكن تحسين مستوى الحياة لم يعد أمراً مهملاً. خطوة جديدة تم عبورها في 30 يوليو 1961 بنشر برنامج العشرين عاماً للحزب الشيوعي السوفييتي: أحد أهدافه الصريحة هو إتاحة الفرصة للمواطن السوفييتي أن يتمتع عام 1980 بمستوى حياة مماثل للمواطن الأمريكي عام 1960.

في نهاية السنوات الثمانينيات لازال الهدف بعيداً، واقتصاديات بلدان أوربا الشرقية، والتي لم تتمكن حتى من تفادي تباطؤ النمو الذي عرفته من 1973 ـ 1985 البلدان المصنعة، تكبدت تراجع في مستوى الحياة. ذلك لم يكن لعدم محاولة اصلاح التخطيط وجعله أكثر فعالية.

1 ـ التغيرات في الإدارة الاقتصادية:

المناهج الستالينية ضد العوز وضد الحلقة المفرغة للتخلف وجدت نفسها محكوماً عليها بانتصارها نفسه.

في الواقع، بقدر ما كان الاقتصاد يتنوع فإن الكشف عن الاخطاء صار أكثر فاكثر صعوبة، المثال الأكثر شهرة كان إنتاج المسامير التاريخ لابد أنه يحتفظ بأمثلة عديدة، ولكن هذا المثال يجعلنا نفهم صعوبات التخطيط

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الستاليني. القوزبلان أعطت أوامرها بإنتاج المسامير بالاطنان، والمصانع المكلفة بهذه المهمة وجدت جميعها أن أفضل طريقة لتنفيذ ذلك هي إنتاج المسامير الأضخم وقبل أن تكتشف القوزبلان هذا الخطأ كانت روسيا عملياً تفتقر أي نوع آخر من المسامير يمكن استعماله. مع تنوع الانتاج تزايد عدد الأخطاء. وعندما في يونيو 1958 أجرت القوزبلان تحقيقاً في 65 مصنع نسيج لتجاوز مستهدفات الخطة، وجدت أن أغلب المصانع حققت هذه «المفخرة» بإنتاج سلع تتطلب مواد مكلفة وعدد عمال قليل. ذلك لأن أهدافها حددت كقيم، وبالعكس مدراء مصانع القرطاسية، والتي أهدافها حددت بالطن كان عندهم توجهاً لصناعة أوراق سميكة

صعوبة أخرى للتخطيط الستاليني: إدارة المشاريع بواسطة الوزارات التقنية الموجودة في موسكو أدى إلى عدة تناقضات المشاريع كانت غارقة في أوراق المراسلات من كل نوع، والحواجز بين الوزارات منع المشاريع المتجاورة التي لا تتبع نفس الوزارة من تنسيق إنتاجها. جهل الظروف المحلية من قبل الوزارات المركزية زاد في سوء الوضع، التبذير صار هائلاً، والتولكاشي أو الوسطاء المختصين بالوساطة والفساد صاروا أقوياء.

ثلاث طرق اتبعت بالتوالي في محاولة اعطاء فعالية أكبر للإدارة: طريقة لا مركزية الإدارة، طريق تركيز الإدارة المخفف باللامركزية الاقتصادية، تم المركزية الإدارية بقدر متنوع، واخيراً مع قورباتشيف محاولة تخفيف عنيفة للبيروقراطية المركزية.

ـ اسلوب خروتشوف في اللامركزية:

اللا مركزية هي الطريق الأول المتبع ابتداء من عام 1957، القوزبلان في اتحاد الجمهوريات تقاسم اختصاصاته مع القوزبلان في الجمهوريات الخطة متوسطة المدى خففت جداً. أنها لم تعد تمس إلا 300 إلى 400 منتوج من 5000 منتوج عام 1954، القوزبلان في الجمهوريات صار لها تحديد الخطة وتنفيذها في مستواها، الترتيبات و التحكيم الضروري وأكثر من ذلك ظهر جهاز جديد: السوفناركوز، له اختصاص اقليمي، عدده 107 ويتوجب أن يحل محل الوزارات التقنية. كان الأمل التغلب على الافراط في البيروقراطية بالاقتراب أكثر

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

من واقع المشاريع. هنا الأسباب السياسية تتجاوز الأسباب الاقتصادية، لقد كان الأمر يتعلق بابعاد التكنوقراط الأقوياء في القوزبلان وفي الوزارات عن موسكو حيث تأثيرهم صار تحت مالينكوف مزعجاً.

من سوء الحظ أن هذا الاصلاح سقط في افراط معاكس الاعتبارات المحلية تفوقت على الصالح العام، وكذلك تبين أن التنسيق بين الأجهزة الأقليمية صعب جداً، لجان من كل نوع تضاعفت، والمسئولية ذابت في شبكات اتصال معقدة جداً.

عام 1963 ثم انشاء إدارة ضخمة جديدة: المجلس الأعلى للاقتصاد الوطني، يشمل القوزبلان والسوفناركوز، اختصاصها يمتد إلى الصناعة الجمهوريات والمناطق الاقتصادية، مع تنسيق قوي على المستوى الوطني، لجان إنتاج حلت محل الوزارات التقنية القديمة في المجالات التي خارج اختصاصات السوفناركوز الأقليمية (نقل ، بريد، وبعض المشاريع الكبيرة).

بالتوازي وزارة الزراعة فقدت كل وظائفها القيادية، وصارت مجرد جهاز تقني. وكالات الشراء وتسليم البضائع تحملت المسئولية الرئيسية في تخطيط الاستغلال الزراعي على المستوى المحلي. في الواقع، الموظفين المحليين يحتقرون غالباً المزارعين، ضاعفوا من سوء استعمال وظائفهم. وقبيل سقوطه، سخط خروتشيف على الإدارة الزراعية ووعد باصلاح جديد.

خلال كل هذه المرحلة برز خطر: اللا مركزية تهدد باضعاف سيطرة الحزب الشيوعي، ولكي يستطيع هذا ضبط تنفيذ تعليمات الحكومة قُسم إلى قسمين، احدهما يهتم بالزراعة والآخر يهتم بالصناعة. هذا التقسيم جرى الغاءه بعد ذهاب خروتشيف.

السلطات الواسعة للحزب وعدد مستخدميه (12,5 مليون) أتاح له أن يمارس رقابة مباشرة على الاقتصاد، جماعات العمل التي كونها في المزارع والمصانع تتضمن كتاباً وربات بيوت وفنانين وكذلك مختصين واعضاء من الكومسومول، ومهمتها الكشف عن الانحراف وسوء استعمال الوظيفة ومنع ذلك.

هكذا تحت إدارة خروتشيف كان يجري البحث عن المزيد من العقلانية

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

والفعالية بواسطة لا مركزيـة إدارية تحت رقابة الحزب. إلا أنه منذ تلك الحقبة قامت بحوث وجـرت نقاشات حول مفاهيم المصلحـة، والاهلاك.. والتي فتحت الطريق إلى الاصلاحات التي قام بها كوسيجين.

الاصلاح الذي قام به خـروتشيف قاد إلى الاقليمية، الحزب لم يتمكن من ضمان انسجام الكل، الـلا مركزيـة أدت إلى قرارات متناقضة وإلى تبـذير خطير للموارد، لأن السـوفناركوز تـركوا أنفسهم أحيانـاً يحملهم توجـه اكتفاء ذاتي محلي. واليـوم عـودة التـوجهـات المطـالبـة بـالاستقـلال الـذاتي، بل وحتـى بالاستقلال، إلى الظهور في الاتحاد السوفييتي يطـرح في كلمات جديدة موضوع اللا مركزية.

ـ المركزية الإدارية المخففة باللا مركزية الاقتصادية:

في سبتمبر 1965 تخلى كوسيجين عـن اللا مركـزية الإداريـة والاقليمية والتي تكشف التنسيق فيها صعباً جداً.

كل بنية اللا مـركزية (سوفناركـوز، مجلس أعلى) الغيت، وزارات تقنية حلت محلهـا على مستوى الجمهـوريـات، هذه الـوزارات تتبع مبـاشرة مجلس الوزارات، وكـذلك عدد معتبر من اللجان، ومـن بينها القوزبـلان والتي صارت مجدداً مسئولة عن الخطـط الوطنية سنوية كانت أو على مـدى طويل. ولم يتبق على المستوى الاقليمي إلا لجان امدادات متيحة التنسيق بين المشاريع المتجاورة.

الوزارات تهتم بتنفيـذ الخطة، وبالامدادات في شكل معـدات ومواد خام، والتمويل، ومشكلات السياسة التقنية.

منـذئذ المشروع لم يعـد لـه إلا سيد واحـد: الـوزارة التقنيـة. القـرارات الأساسية تؤخذ على أساس المصلحة العـامة، ونزاعات الاختصاص تم القضاء عليها.

عـودة المركزيـة المفرطـة هذه، ومحورهـا ضرورية الاسراع في كل فـرع باحداث تقدم تقني ليست مع ذلك مجرد عودة إلى وضع ما قبل 1957.

تقوية سلطة الوزارات خفف منـه استقلال ذاتي أوسع للمشاريع، حرية أكثر لتجارة الجملة، واستقلاليـة أكبر للمشاريع في إدارة شئونها، وهذا الهدف الثاني لاصلاحات كوسيجين يبتعد على هـذا النحو عن النموذج الستاليني قدر ابتعاد اصلاحات خروتشيف عنه.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

من سوء الحظ، كما سنرى، اللا مركزية الاقتصادية لم تثمر نتائجها المنتظرة، العادات البيروقراطية، تناقضات نظام الأسعار، تدنى الإنتاجية تغلبت على بعث المبادرة.

ـ المركزية الإدارية بنسب متنوعة:

منذ عام 1973 اللا مركزية الاقتصادية دمجت مع تركيز المشاريع وانشاء «الاتحاد الصناعي»، في الواقع لقد تمت العودة إلى التخطيط المركزي مع محاولة تكييف عمله مع خصوصية كل إنتاج.

من ناحية نشاهد انخفاضاً عنيفاً للمشروعات كان الهدف منه جعل عددها ينزل من 50000 إلى 5000 هذا التركيز توجب أن يسمح بعقلانية الإنتاج وباقتصاد سلّمي، وبعلاقات أقل تعقيداً بين المشروعات وجهاز التخطيط، يمكن أن تكون نفس العلاقات مع مكتب ضخم ومعمل أحذية، والمطلوب أيضاً تجميع المشروعات في وحدات واسعة بما يكفي لتسهيل إشاعة المخترعات التقنية وتطوير مراكز البحث.

من ناحية أخرى، إلى جانب «اتحادات الإنتاج» تأسست اتحادات إدارية لتحل محل الوزارة بتكفلها بمجموع إنتاج ما، هذه الاتحادات نظمت هرمياً في اتحادات وطنية واتحادات جمهورية وانشئت في بعض الحالات رمثل حالة الكهرباء اتحادات قليمية. الوضع كان معقداً لدرجة أن اتحادات الإنتاج لصناعة [illegible] المشروعات الصغيرة، إلى [illegible]

[illegible] الإنتاج [illegible]

في الواقع [illegible] المسئولون السوفيات [illegible] الأضاع.

لقد [illegible] إدارة مصانع الحديد [illegible] يبدو واضحاً، لكن نظام حشد الموارد النادرة لصنع [illegible] المتوجات أدى إلى نسيان ذلك، لكن جمود البنى القائمة جعل من هذا الاصلاح خدعة بصرية.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ـ البيروستروبكا ومحاولة تخفيف وطأة البيروقراطية:

قـورباتشيـف، راغباً في اعطـاء استقلاليـة أكبر للمشـاريع، وجب عليـه مهاجمة ثقل البيروقراطية التي تؤطرها.

مرة أخرى، وفي الظاهر. كان الاصلاح جذرياً، خمسة عشر وزارة اختفت من الصنـاعة المدنية 2200 جهـاز ضبط إداري تم الغـاؤها، من الآن فصـاعداً صـار المشروع يتبع الجهـاز المركـزي في وزارتـه، وهـذا لا يجب عليـه الضبط الإداري وإنما الاستشارة والتحفيـز للمشاريع. في الـواقع، بحجة أنـه لا يمكن متابعة عشرات المشاريع معاً، رأينا في قلب الوزارة تتضاعف بنى التأطير. وهذه تكوّن في الوزارة الدرجات الوسيطة في الإدارة. والأكثر من ذلك أنها انشأت بنى تأطير أيضاً على مستـوى المقاطعات من أجـل إدارة المشاريع في مقاطعـة معينة، وهكذا تم إعـادة أجهزة الإدارة والتي إنشاء مهام صـناعيـة كان من المفترض أن يلغيها عام 1973.

ومن نـاحيتهـا اتحادات الإنتاج استبـدلت بـواسطـة «اتحادات الدولـة للإنتـاج» واتحادات فيدراليـة. هذه الاتحادات تستجيـب، وهذا حق، لحاجـات وحدات اقتصـادية واسعة ولكنهـا تضـاعف الـدرجات الوسيطـة، وتعقّد دائرة القرار كما تأسست ايضا اتحادات ما بين قطاعات الدولة، والتي تريد لنفسها أن [illegible]

[illegible]

قدراتهم [illegible] حديمة، وأن يكونـوا الـ[illegible] مـع إداراتهم القـديمة قدر ما تقبلهم بإسم مشروع المستعين بهم.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

2 ـ التغيرات في أوضاع المشاريع الصناعية:

منذ عهد ستالين، دور مدير المشروع كان غالباً مختزلاً في تنفيذ أوامر الأجهزة المركزية، صحيح كما رأينا ذلك، لا تنقصهم الحوافز، ولكنهم كانوا مرتبطين بالتنفيذ أو بتجاوز الخطة. دون التحقيق من عقلانية تخصيص الموارد المتوفرة والمقررة وفق الخطة. هكذا تطور فن تجاوز الخطة والذي في نهاية المطاف يبعدها عن تحقيقها الفعلي.

ـ مساويء نظام ستالين الإداري:

منذ عام 1936 ارباح المشروع تتناسب مع تجاوز الخطة وهذا مالا علاقة له بالاختلاف بين التكاليف، بما فيها ابدال الاهلاك، والرقم المتحقق من نشاط المشروع. وأكثر من ذلك فإن الأرباح تحسب وفق كميات الإنتاج وليس وفق البيع، المؤشر الرئيسي إذن هو الإنتاج الخالص والذي يتضمن الاستهلاك الداخلي.

نتائج هذا الوضع، وبقدر ما ينف الإرهاب البوليسي، كانت مأساوية بما فيه الكفاية. هذا المنهج يقود إلى تبذير الرأسمال. لكي يمكن تحقيق الخطة، فإن المدير ينفي القدرة الإنتاجية لمصنعه، ويضخم طلب المعدات، كيف لا يتصرف على هذا النحو وهو ليس له الانشغال بابدال اهلاك المعدات؟!.

ابدال الاهلاك المخطط ليس وفق أهمية المعدات، ولكن، مثل الربح المخطط، وفق الانتاج. هذا التبذير تضاعف بتوجه المدير إلى اهمال أي اعداة تنظيم للمشروع. مربحاً في مدى معين، ولكن يمكن أن يترجم مباشرة في تخفيض الإنتاج إلى ما دون أهداف الخطة.

هذا المنهج يكبح الحافز إلى التجديد، وتحسين نوعية إنتاج ما أو تغيير نمط الإنتاج، يهدد في مرحلة أولى بأن يترجم بانخفاض الإنتاج، المدير يتفادى إذن احداث أي تغيير، مصنع ليكراشيف القريب من موسكو انتج هكذا وخلال خمسة عشر سنة نفس الموديل من الشاحنات. صحيح الاتحاد السوفييتي حقق في بعض الميادين انجازات مدهشة، ولكن في هذه الأحوال توجب عليه إقامة جهاز خاص تحت الرقابة المباشرة لأجهزة مركزية متخصصة والجيش. في ميادين أخرى، رغم المكافآت الخاصة فإن مدراء المشاريع يتمسكون بسلوك

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

روتيني، والأسوأ من ذلك، وفي عدة حالات، فإنهم لا يشجعون إنتاج خيرات أقل تكلفة، يجب قبل كل شيء زيادة الإنتاج الخالص. دمج حد أقصى للاستهلاك الوسيط ليس عيباً، ولكنه ضمان لتنفيذ الخطة.

هذا المنهج يشجع إنتاج خيرات غير مفيدة. بما أن الأمر يتعلق بالإنتاج وليس بالبيع، ليس ثمة كوابح تمنع إنتاج خيرات ليس لها مجالات تصريف بأسعار معقولة، لقد اتيحت لنا الفرصة أن نقابل هذا العيب عندما تناولنا الكشف عن الاخطاء.

قورباتشيف بالكاد استلم السلطة، النضال ضد التبذير كان هدفاً سياسته الأساسي، وأنهم «المسئولين الذين يجرّون البلاد إلى نفقات لا مبرر لها».

ـ اصلاح كوسيجين:

ابتداء من 1962 اطلقت السلطات السوفييتية العنان لنقاش نظري حر حول التحولات اللازمة في قواعد الإدارة ليبرمان، اقتصادي حتى ذلك الحين شبه نكرة، اقترح في سبتمبر 1962 قلباً حقيقياً للقواعد القديمة، بالنسبة له الخطة يجب عليها أن تشير فقط على المشروع بحجم الإنتاج وطبيعته وبرنامج التسليم، بالمقابل تفاصيل ومواصفات ومناهج الإنتاج، وتوزيع مخصصات الأجور يجب أن يحددها المشروع نفسه. الربح المخطط يصير حينئذ وفق عائد الرأسمال محسوباً ابتداء من البيع وليس من الإنتاج المنجز في المشاريع. بالنسبة له، يجب أن يكون الربح المؤشر الأساسي أن لم يكن الوحيد.

بفضل هذه الممارسة الجديدة، يأمل ليبرمان التخلص من مواقف المدراء الضارة، مبدأ الدفع وفق البيع يجب أن يجبر المدراء على تحسين إنتاجهم، وتفادي إنتاج خيرات غير مستعملة ـ لاتباع ـ. وإعادة ادخال عائدية الرأسمال يجب أن تحتهم على خفض التكاليف وتفادي كل استثمار خادع.

ـ من ليبرمان إلى اصلاح عام 1965:

هذه المقترحات استوحى منها اصلاح كوسيجين الكثير، هذا الاصلاح صحيح لازال بعيداً جداً عن التبسيط الجذري عند ليبرمان، عدة مؤشرات لنجاح

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

المشروع ظلت قائمة، ولكن منذئذ لم تعد تُعطي الاستثمارات للمشروع بدون مقابل، بل يجب أن يكون لها عائد كاف، وأن تكون، على الأقل جزئياً، محملة على حساب استغلال المشاريع. وهذه يتوجب عليها في الواقع توقع ابدال اهلاك الرأسمال، وأن ترجع قيمة الاستثمارات للأجهزة المركزية.

مبدأ العائد تم إدخاله في الإدارة الاشتراكية للمشروع.

سمة النجاح صارت العلاقة بين كتلة الارباح ومخصصات الإنتاج في (رأسمال ثابت + رأسمال متداول + مخصصات الأجور) المشروع لم يكن يهمه هذا الربح الذي 60٪ منه تعود إلى الدولة، (8٪ فقط تخص الرأسمال) الباقي أما أنه يوزع على اعضاء المشروع أو أن يخصص للتمويل الذاتي (10٪ من الربح الكلي) إلا أن الربح الاشتراكي المحدد في الاصلاح يظل محدداً مسبقاً في الخطة ولا يمكن ــ حسب الاصلاح ــ أن يحاول المشروع تجاوز المبلغ المحدد له في الخطة. التجديد المهم ليس في إدخال الربح بقدر ما هو في حسابه إنطلاقاً من الإنتاج المباع. في الواقع، وكما توقع ليبرمان، المشاريع التي مسها اصلاح كوسيجين لم يعد يدفع لها حسب الإنتاج، ولكن حسب التسليم وقبول إنتاجها من طرف المشاريع الأخرى.

التنظيم الاقتصادي الجديد، يتوقع على كل حال، وفي حدود معينة أن المشاريع يمكن أن تتفاهم فيما بينها مباشرة دون المرور بأجهزة الامداد. إلا أنه إذا مشروع ما لم يحقق الخطة، حتى لو كان مبيعاته وتكاليف الإنتاج تسمح له بابدال سليم للاهلاك، يعاقب بحزم. المكافآت والربح يمكن أن يلغيا، الخطة تظل متغلبة في المشروع.

هذا لا يمنع أن الاصلاح واكبه خفض عنيف للمواصفات وللاهداف المتوقعة في الخطة، معدلات الربح، محسوباً ابتداء من الإنتاج المباع تستوجب أن تصير في المدى مؤشراً رئيسياً أن لم يكن وحيداً. وإنطلاقاً منها يكافيء المدير. صار إذن من صالح هذا أن يستخدم جيداً الرأسمال المقدم له، وألا يطلب إلا ما هو ضروري، وأن يتفادى الزيادة في الإدارة، وأن يكافح ظاهرة تغيب العمال.

الخطة صار لها دوراً جديداً، الأجهزة المركزية لم تعد تحدد بالتفصيل كل إنتاج مشروع ما، أنها تكتفي، في اطار الاقتصادي، بتحديد أولويات وعلاقات

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الاستهلاك والاستثمار، والاسعار وانتظامها. وفق هذه المؤشرات العامة يحدد المشروع خطة إنتاجه بالاتفاق مع الجهات العليا والتي لا تستطيع ـ إلا استثناء ـ إدخال تغيرات فيها. بالمقابل، المشروع في اطار مخصصاته يمكنه في كل وقت تغييرها.

هذا التنظيم الجديد لم يطبق على كل المشاريع إلا تدريجياً، ابتداء من الفصل الأخير من عام 1965. عام 1968، 25000 مشروع، أي 70٪ من الإنتاج الصناعي السوفييتي أخذ يسير وفق هذا النظام الجديد. عام 1969 كان عام التعميم على كل المشاريع.

ـ صدمات ومآسي اصلاح عام 1965:

في الواقع، منذ عام 1970 النتائج المنتظرة لم تكن في الموعد، أولاً عقليات المدراء والبيروقراطيين وجهاز التخطيط تكشف أن تغييرها أكثر صعوبة مما توقعه واضعوا الاصلاح.

المدير في السابق، كان يجب عليه أن يكون منفذاً امنياً، والذي مبادراته لا ينظر إليها بعين الرضى، وليس من السهل أن يكتسب من جديد روح الاستقلال والتجديد. لكي ينجح، فإن الاصلاح يفترض ظهور رجال أعمال حقيقيين، أما بالنسبة لمسئولي الخطة فإنهم يلحون على ضرورة تنفيذ الخطة أكثر من الحاحهم على تحقيق ربح. طاعة الأوامر كانت أكثر قيمة من اختيار المناهج، أو الاسوأ اختيار إنتاج جديد.

بعد ذلك، الاتصالات المباشرة بين المشروعات قامت بصعوبة كبيرة، الوزارات، وأجهزة الامدادات القائمة يتدخلون في الاتفاقات ما بين المشاريع، ومن ناحيتها، في علاقاتها بعضها ببعض فإن المشاريع تتخلص بصعوبة من الشكلية البيروقراطية الماضية.

اخيراً نظام الأسعار تكشف صعب التغيير، هذا التغيير مع ذلك كان ضرورياً، لأنه من المستحيل حث المشروع على ابدال الاهلاك، وعلى حساب اقتصادي سليم إذا كانت الأسعار اعتباطية. ولكن نحن رأينا فيما سبق أن أسعار خيرات الإنتاج ليس لها إلا معنى محاسبي بدون علاقة مع نذرتها، ومع الطلب النهائي. وجود نوعين من النقود جعل هذا الوضع محتملاً، شريطة أن

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

تكاليف الإنتاج لا تستعمل في حساب سعر الخيرات المباعة للمستهلكين، ولا في قياس عقلانية الحساب الاقتصادي.

كل هذه الصعوبات تسمح لنا بأن نفهم الشلل الذي قاد إليه إصلاح كوسيجين في ربيع 1970 وأن نفهم إعلان بريجينيف عن بطء النمو.

ـ مرسوم عام 1979:

ابتداء من عام 1973، تركيز المشاريع، ثم انشاء الاتحادات الصناعية اشار إلى أول تخلى عن الاستقلال الذاتي الممنوع للمشاريع عام 1963.

الفعالية الاقتصادية كانت انداك مطلوبة أقل بفضل إدخال عامل الربح منها بواسطة عقلنة دوائر القرار والمعلومات وعموماً بواسطة تطبيق التقدم العلمي والتقني على التنظيم الاقتصادي والإداري.

مرسوم عام 1979 يذهب بعيداً، أنه يتخلى عن «الربح» كمؤشر تركيبي عن نجاح المشروع، ومعه المؤشرات الأخرى المعبر عنها بالقيمة.

لقد تمت العودة إلى عدد كبير من المؤشرات المتنوعة تحت رقابة من المخططين، نجد ضمنها أيضاً الكميات المنتجة اقتصاد في المواد الخام، الإنتاجية، العاملين، وإدخال مناهج إنتاج جديدة. وحدود قصوى للاستثمار. إلا أن مؤشر جديد بدأ في الظهور: نمو الإنتاج الخالص، بمعنى آخر القيمة المضافة معبر عنها بالحجم أي بسعر ثابت.

بالتوازي، في داخل المشروع، اصلاح عام 1979 كان يهدف إلى تعبئة العمال بواسطة انشاء فرق العمل (بريقاد) بعقود. هذه الفرق تلتزم باحترام مواصفات الإنتاج وبهذا زيادة الإنتاج، إذا توصلت إلى ذلك فإن أجور أعضائها ترتفع. هذا التنظيم هو خليط أو مركب من الستاكا نوفيزم والتايلورية مع مكافأة ومشاركة العمال في تنظيم عملهم.

بالطبع مرة أخرى قدرة المشاريع على تحقيق الخطة دون تنفيذها تبينت ممتازة، لقد فهم مدراء المشاريع سريعاً أنه يمكنهم الحصول على زيادة بمضاعفة العمليات الوسيطة.

ولكي يكون فعالاً، فإن استخدام مؤشر الإنتاج الخالص يجب أن يتأطر

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

بعـدد كبير من المواصفـات والمراقبين. لكن هـذا لا يسهل ابـداً عمليـة التخفيف وعقلنة الدوائر الإدارية وأكثر من ذلك، بقدر ما تتضاعف المواصفات تتضاعف إمكانيات التحايل التي يعرف المدراء جيداً كيف يستعملونها لصالحهم.

3 ـ البيروسترويكا وتوسيع استقلالية المشاريع 1987 ـ 1990

حاولت البيروسترويكـا تخفيف الضغط البيروقراطي، وامـداد المشاريع بـوسائل سيـاسة أكثـر استقلاليـة معـاً. الأمر يتعلـق هنا قبل كـل شيء بحث المشاريـع على الاستعمال الأمثل لقدراتها الإنتـاجية، والعبور إلى تطـور مكثف، بمعنى آخر الحصول على فوائد إنتاجية.

في المرحلة الراهنة للبيروسترويكـا، المشروع لم يترك وشأنه، هذا سيكون صعباً في اقتصاد لا يعمل فيه السوق، واصلاح الأسعار أجل إلى وقت لاحق.

ـ البحث عن مؤشرات جديدة للنجاح:

بالمقارنة بالاصلاحات السابقة يوجد عدد معين من الاختلافات. اصلاح عـام 1987 الغى المؤشرات الكمية (الحجـم) مصدر اخطـاء وانحراف. أرقـام الرقابة. خصوصاً الإنتاج بالقيمة ليست إلا حد أدنى ولا يجب أن يحد من حرية المشروع. طلبات الوزارات هدفها ببساطة ضمان الحاجات ذات الأولوية، وحالما تشبع هـذه الطلبات فـإن حريـة المشروع تكـون كبيرة، يمكنه منـذئذ فصاعـداً الحصـول على قروض مصرفيـة لكي يشتري وسائل إضـافية وزيـادة قدرتـه الإنتاجية، أو صناعة منتوجات جديدة ولهذا الهدف يمكنه أيضاً أن يعقد بحرية اتفاقات مع مشروعـات أو أجهزة أخرى. صحيح يتوجب عليه التسـديد للدولة وللميزانيات المحلية وللوزارات. لكي هذا التسـديد كان محدداً ووفق مواصفات محددة معدة لخمس سنوات وليست بالنسبة لـلإنتاج أو بالنسبة للدخل. وكلما أنتج المشروع أكثر فإن الاقتطاع على كل وحدة منتجة وعلى الدخل يخفف.

مؤشر النجاح صار هكذا «دخل ممول ذاتيـاً» وهذا يعني الدخل بعد دفع كل النفقات بما في ذلك ابدال الاهلاك والمبالغ المستحقة للمصـارف.

هذا الدخل الممول ذاتياً (ربح صافي؟) حر تحت تصرف جماعي (العمال) سواء من أجل زيادة مخصصـات الأجور في المشروع أو من أجل تحسين القدرة

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
على الإنتاج أكثر وأفضل، بفضل هذه الأموال يستطيع المشروع حتى انشاء مشاريع أخرى، في صورة «تعاونيات».

ـ مدراء أكثر استقلالية ولكن سجناء عادات قديمة:

الجماعة العمالية التي تعين المدير، لها إذن في الوضع القانوني لعام 1987 استقلالية كبيرة من أجل إعداد خطتها الرباعية.

بالطبع في حالة التعاونيات (في الواقع مشاريع خاصة) والتي انشاؤها صار مصرحاً به، حريتها تكون أكبر، أنها حرة تماماً في إنتاجها وأسعارها.

هذه الدرجة العالية من المباذرة الممنوحة قانوناً لرجال الأعمال كانت لسوء الحظ مخنوقة جداً، وأدت سريعاً إلى انحرافات الوزارات، خوفاً من أن ترى أهدافها ذات الأولوية غير متحققة قدمت طلبات أدت في بعض الأحيان إلى حشد 100٪ من طاقة الإنتاج المعروفة للمشروع. والمشاريع لم تعترض إلا ناذراً على هذه الأرقام. في الواقع، في غياب تجارة الجملة فإن طلبات الدولة تمثل «الامان» وتوجب الأمر تدخلات سلطوية من السلطة المركزية من أجل محاولة خفض مستوى الطلبات العمومية، في هذه اللحظات إننا لازلنا بعيدين جداً عن الحساب.

في الواقع المشاريع اهتمت قبل كل شيء بزيادة «الدخل الممول ذاتياً» بواسطة المواصفات المعمول بها منذ زمن طويل وليس باستعمال هامش حريتها الجديد من أجل الإنتاج أفضل وأكثر، لقد استخدمت مثلا مواد خام أقل تكلفة وخفضت من الرقابة على الجودة، عندئذ جزء متعاظم من الإنتاج صار غير قابل للاستعمال، وشيئاً فشيئاً صار العوز عاماً.

ـ اصلاح كان يفترض السوق:

غياب تجارة الجملة، وأهمية طلبات الدولة شلت تطور التعاونيات وللحصول على الامدادات فإن التعاونيات ترغم على دفع رشاوي كبيرة، أسعار القطاع الخاص التهبت، والإنتاج المهرب خفية من قطاع مشاريع الدولة زاد من المختنقات في هذه الظروف تطورات التعاونيات خصوصاً في التجارة وفي الخدمات، وأرباحها ينظر إليها الناس على أنها نتيجة سمسرة وليس مكافأة

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
عـادلة لنشـاط مشروع. اعطـاء استقلاليـة لمشـاريع لا يكفـي لتفادي النتـائج المنحرفة للنظام، يجب، قال قورباتشيف عام 1985 «وجود آلية تجعل غير مفيد إنتاج سلع عفى عليها الزمن وغير مستعملة» بدون الحاجة مع ذلك إلى مضاعفة الرقابة البيروقراطية.

هذه الآليـة موجـودة: أنها السوق. بـدون نظام أسعار يضمـن انسجام الاختيار والسلـوك، كل اصلاحات الجهـاز الاقتصادي تصل سريعاً حـدودها، ويكون الفشل مصيرها.

ـ التدرب على الصراع الاجتماعي والعمل النقابي:

في البداية، اختارت البيروسترويكا، مما يبعث على الدهشة، انتخاب المدراء من قبل الجماعة العماليـة، مبعث الدهشة أنها اختـارت، من أجل السير بسرعة، حلاً تدرك تمامـاً مساوئه، التجربة اليوغسـلافية والمجرية بينت بـوضوح هذه المساوىء.

انهيار امبراطوريـة الحزب والنقابات الر سمية جعل الـوضـع تقريباً غير قابل للسيطرة عليـه في غياب السوق وفي غياب ارغامات مـالية حقيقية، الاجور انزلقـت وفي نهاية عام 1980 اضطـرت الحكومة القيـام بتجميد الأجـور، لقد حدث تـواطؤ بين الجماعـة العمالية والمدراء. وحتى مـع انزلاق في الاجـور كان مهماً، فإن غيـاب امـداد المخازن جعـل السخط يعـم، قبل التحـديد السلطـوي لزيادات الأجور. الاضرابات الكبرى لعمال المناجم ألم تكن نقطة إنطلاقها النقص المطلق في الصابون؟!.

وبالتـوازي عندما أراد المدراء إقـامة تعـاونيات من أجل صنـاعة خيرات خارج طلبات الـدولة، لم يتبعهم في هذا إلا جزء محدود من العمال. مـن الناحية الأخرى الأغلبية الكبرى فضلت الاحتفاض بوضعها كأجراء.

حدثت انشقاقات، وهكذا نشاهـد ظهور توترات وصراعات والتي تشجع تدمراً وسخطـاً اجتماعياً من الصعب السيطرة عليـه بدون بنية نقابيـة حقيقية وإدارة جديدة للموارد البشرية في المشروع.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

4 ـ تنظيم الزراعة:

السوفكوز والكولكـوز هما دائماً الشكلين الممكنين في المشاريع الزراعية، ولكن الاصلاح يتوقع اليوم ظهور زراعة تعـاقدية قريبة من «التأجير الزراعي» المشكلة الرئيسية في الزراعـة في الاتحاد السوفييتي تظل دائماً «حفز» المزارعين لكي يتوصل الاتحاد السوفييتي إلى الاستقلال الغذائي.

ـ المسكنات الثلاث ضد بقايا التجميعية:

الاتحاد السوفييتي لا ينتهي من حصن نتائج تجميع الأراضي الذي حطم عام الثلاثينيات الدينامية الزراعية الناشئة.

خـروتشيف حاول عـلاج هذا النقـص في الدينـامية بـواسطة رفـع مهم للاسعـار عند الإنتاج، لقـد تضاعفت أحيانـاً أربع أو خمس مرات، ثم بـواسطة الغاء التسليم الاجباري ، وتم توزيع المواد الزراعية، المجمعة حتى ذلك الحين في محطات للمواد والجرارات، على الكولكوز.

عام 1963 تم الرجوع إلى التسليم الاجباري، ولكن كل تسليم يفيض عن المستوى الاجباري يستفيد من زيادة في السعـر قدرت بـ 50٪، وبالتوزاي قدِّر انذاك أن التعـديلات الدوريـة في الاسعار تجعل دخـول الفلاحين تزيـد بمعدل أسرع ممـا عليه حـال السوفيتـات الأخرى، في بعض الحالات تـم قبول الـدعم لتفادي ارتفـاع الأسعار عند الاستهلاك، الاقتطـاع من الزراعة صـار أقل فأقل قاعدة التراكم الاشتراكي.

اما بـالنسبة للتنظيـم بمعنى الكلمة فـإن كوسيجين تـوجه نحـو حلول مماثلـة لتلك المطبقة في الصنـاعة، بالتـوازي، قطع إراضي الفرديـة والتي تمثل 60٪ من إنتاج البطاطا 26 ــ 40٪ من إنتاج الخضروات 20٪ من إنتاج اللحوم 30 ـ 40٪ من إنتاج الألبان، ليس فقـط مسموح بها بل صارت تشجع، وجرت محاولة دمجها في دوائر توزيـع أكثر فعالية، تم تطوير المخـازن التعاونية التي تحاول منـذ ذلك الحين أن تحل محل «أسـواق الكـولكـوز» «بيـع مبـاشر للمستهلكين» بعض المشروعـات ذهبت إلى أبعد من ذلك، أنها تتـوقع أن الأراضي الكبيرة سوف تقسم إلى مجموعات صغيرة من المزارعين، هذه المجموعات تكون عضـواً في كـولكـوز كبير، ولكـن استغـلالهم لـلأرض يكـون مستغـلاً ذاتيـاً،

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
واعضاءها يستفيدون مباشرة من مجهودهم الشخصي، ويتوقع اخرون أنه من الآن فصاعداً، باستثناء القمح لن تعط أوامر إنتاج، الإدارة تتصرف عن طريق أسعار الزراعة.

عام 1976 نشهد خطوة إلى الخلف، التركيز صار من جديد على لائحة اليوم. المركزية والتخطيط طبقت من جديد على الزراعة وأن كان بدرجة أقل منها في الصناعة. دروس الماضي بينت في الواقع أنه لا يجب كثيراً أضعاف استقلالية المزارعين محرومين من الاستقلالية فإن المزارعين يردون بالسلبية وتدني الإنتاج على كل مواجهة.

ـ محاولة خلق زراعة تعاقدية:

كل المحاولات للتغلب على النتائج السلبية للتجميع الزراعي فشلت والوضع في الاقتصاد ازداد خطورة في السنوات 70 و80. الاستثمارات الكثيفة التي تمتعت بها الزراعة منذ عام 1965 لم تعط شيئاً، عائد الرأسمال انهار، إنتاجية العمل خمس مرات أقل منها في الولايات المتحدة، نمو الإنتاج الزراعي صار من عام إلى آخر أقل أهمية، التبعية الغذائية للاتحاد السوفييتي زادت، العوامل المناخية لا تفسر كل شيء. في عام 1990، بينما المحاصيل كانت جيدة، إلا أن جزء منها كان مهدداً بالفساد والضياع بسبب نقص وسائل النقل وغياب الحماس في العمل.

بالنسبة لقورباتشيف، الوسيلة الوحيدة للخروج من المازق كانت انشاء علاقات جديدة بين الأرض وذلك الذي يزرعها، إعادة الملكية الخاصة التي تعطي الأرض لذلك الذي يزرعها ليست امراً سهلاً.

اصلاح عام 1985 أراد للخروج من المازق توقيع عقود بدون تمييز بين سوفوكوز وكولكوز، الصيغتان على كل حال تقاربتا باطراد.

الشكل الأول العقد هو العقد بالباطن، مجموعة من العمال (فرقة، عائلة) تلتزم بتقديم إنتاج، هذه العقود يمكن أن تجري بالنسبة لقطع الأراضي الفردية مثلاً من أجل تسمين المواشي، في كل الأحوال المتعاقدين يحصلون على الوسائل بما في ذلك الأرض ليحققوا أهدافهم.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الشكل الثاني ويدعى عقد ايجار، يتم فيه التخلي عن استغلال الأرض مقابل عائد مستقلا عن النتائج، هذا التخلي يكون عادة خمسين سنة، يبقى أنه إذا هذه الممارسات عبرت إلى داخل السوفكوز والكولكوز كل شيء يتوقف على شروط التسليم المفروضة على الاخيرين، إذا كان المزارعون يتمتعون بوضع استقلالي فإننا قريبين جداً من الاستغلال الخاص.

ـ البيروسترويكا تبحث عن مترشحين للملكية:

شيء مع ذلك مؤكد، من خلال أسواق الكولكوز أقام المزارعون بالنسبة لقسم من إنتاجهم سوقاً. لكن هذا السوق محدود، ولا يمس الصناعات الزراعية الغذائية. ويصطدم من ناحية أخرى بريبة الكولكوز والسوفكوز، مصير الكولاك زمن النيب لم ينس بعد. ولكن هناك الأخطر، الاتحاد السوفييتي لم يعرف ابداً في أغلب مناطقه استغلال زراعي عائلي حقيقي، باستثناء تجارب النيب، فإنه مر عملياً مباشرة من المزارع الكبيرة شبه الإقطاعية إلى التجميع، والذي سهل غرس سلوك جديد، الخوصصة لا تستطيع الاعتماد، كما هو الحال في الصين، على تجربة آلاف السنين من الاستغلال العائلي المكثف غالباً للأرض. قسم كبير من الكولكوز حافظ على عقلية الأجير أن لم يكن الموظف، استغلال قطعة أرض تكفيه تماماً ولا يرى لماذا يؤجر هكتارات إضافية والتي تجبره على العمل وقتاً أطول. صحيح إدارة الكولكوز والسوفكوز تغيرت، ولكن إداراتها تفضل زيادة حرية القرار وحرية التسليم أكثر من تقسيم الأرض بين أعضائها وعلى كل حال كثير من الكولكوز فقيرة لدرجة أن اعضاءها لا يغريهم ابداً أخذها على عاتقهم، ربما ذلك ليس صدفة أن السيد ايفور ليقاتشيف، زعيم محافظ هو الذي حتى عام 1990 كان مكلفاً بالزراعة، أنه تعبير عن العالم الزراعي أكثر منه مصلح متحمس. مثيرة في نواياها، البيروسترويكا بالنسبة للزراعة ظلت بعيدة عن الامال. في أكتوبر 1990، قورباتشيف اعترف أن إقامة الملكية الخاصة في الزراعة «مسألة حساسة» والكلمة الأخيرة يجب أن تعود .. «إلى الشعب».

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الفصل السادس

السوق الاقتصادي الاشتراكي المفقود

خلال مرحلة ستالين، انسجام النظام يقوم على أولويات مفروضة من الأجهزة المركزية للتخطيط وفقاً لأهداف الحزب.

كل المحاولات لاعطاء استقلالية أكبر للمشاريع إرادت تخفيف دور الأولويات السياسية حتى تطيع القرارات أكثر العقلانية الاقتصادية.

من سوء الحظ أن كل الاصلاحات اصطدمت بنظام الأسعار الذي أُقيم ليضمن أولوية الاختيار السياسي على الاختيار الاقتصادي.

1 ـ نظام أسعار غريب:

نظام الأسعار في اقتصاد السوق يعكس أساساً النذرة، صحيح الانحرافات تكون ممكنة، والمشاريع تحاول دائماف خلق ريع من الأوضاع، ومن جانبها السلطة العامة تدير الأسعار بعدة أساليب. كل هذه الممارسات لا تفعل مع ذلك إلا تغيير شروط النذرة. السعر حتى عندما لا يعبر إلا عن نذرة مصطنعة هو علاقة قوة، يظل سمة اختيار المشاريع والمستهلكين. في اقتصاد السوق الرأسمالي، المشروع يحدد أهدافه ويقوم بتركيب العوامل التي تبدو له مثلى وفقاً لأسعار عوامل الإنتاج والأسعار التي يمكنه الحصول عليها من إنتاجه.

لا شيء من هذا في النظام الستاليني، لقد رأينا ذلك بالنسبة لخيرات الإنتاج، الأسعار ليس لها إلا دور محاسبي، ولا تعمل أبداً كمؤشر عن النذرة، بعض الأسعار حددت رمزياً في مستوى ضعيف، كما هو الحال مثلاً في خيرات المعدات والإنتاج، بالنسبة لخيرات الاستهلاك، صحيح كان لها دور ترشيدي، ولكن هنا أيضاً استثناءات كثيرة. الخيرات المقدر أنها اجتماعياً مفيدة تم الحفاظ

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

على أسعارها منخفضة أقل أحياناً من تكاليف إنتاجها الاصطناعية بفضل الدعم الممنوح لدوائر التوزيع، إلى جانب الترشيد بواسطة السعر كان هناك الترشيد بواسطة الكمية، وهذا يفسر تكون صفوف الانتظار أمام المخازن، ووجود عائد لا ينفق والذي يضخم الادخار دون أن يكون امتناعاً حقيقياً عن الاستهلاك.

الفصل بين السعر عند الاستهلاك، والسعر عند الإنتاج كان تقريباً تاماً.

العملتان (تلك المستعملة في دائرة المشاريع وتلك الأخرى المستعملة من قبل المستهلكين عبر مخصصات الأجور) لا يمكن تحويل احداهما إلى الأخرى، الاقتصاد الخفي وأسواق الكولكوز لا يكفيان وحدهما لضمان العبور بين العملتين.

في كل الأحوال، في اختياراتها، لا تأخذ المشاريع الأسعار بعين الاعتبار، وإنما الأهداف والمواصفات المحددة من قبل الأجهزة المركزية، وهي تحدد التركيبة التي تسمح لها، كما أشرنا، بتجاوز الخطة دون تنفيذها، وفق الطريقة التي فرضت بها الأهداف وليس وفق الأسعار.

2 ـ البحث عن الانسجام في نظام الأسعار:

لا يكفي أن نقول أن نظام الأسعار القائم في البلدان الشرقية غير كاف ليتيح اختيارات متوافقة، أنه ليس نظام أسعار في اقتصاد السوق فاسد بعضَ الشيء، أنه نظام من طبيعة مختلفة، ذلك لأنه يثير سلوكاً لا نمطياً. في هذا النظام لا شيء يضمن في الواقع إنه عندما ترتفع الأسعار فإنه يحفز المشاريعْ على الإنتاج أكثر والمستهلكين على الشراء أقل.

ـ ما قدمه المنظرون الاشتراكيون:

بالنسبة للأساس، كل الاصلاحات التي توالت في اطار تخطيط يضمن الأولوية للاختيارات السياسية، ارادت أولاً تحديد «حقيقة الأسعار» وبمعنى آخر تحديد أسعار تعكس تكاليف الإنتاج.

الكل متفق من أجل تحديد الأسعار إنطلاقاً من تكاليف الإنتاج ولكن ماذا تشمل تكاليف الإنتاج؟ كيف ندخل ابدال الاهلاك؟ إلى أي مدى يمكن الذهاب في احتساب الرأسمال على المشروع؟ هل يتوجب أن نفرض عليه معدل فائدة والذي يفترض عكس الارتودوكسية الماركسية أن الرأسمال منتج؟ كيف نحدد تكاليف الإنتاج الجديد؟.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

هـذه وأن كانت أسئلـة عملية إلا أنها ليسـت بدون نتـائج سياسيـة، من ناحية أخـرى لا يتعلق الأمر بمجرد حساب الأسعار يجب (وهـذه الحالة الأكثر حساسية) تنظيم العلاقات بينها بشكل لا يجعلها تقود إلى قرارات فاسدة.

الأسعار المحض إدارية في عهد ستالين تعكـس اختيارات سياسية. ابتداء من اللحظـة التي نريـد فيها محاولة تخصيص أمثـل للموارد وفقاً للنـذرة فإن علاقات الأسعار تكـون إقامتها صعبة جداً. نظريـاً في النظام الرأسمالي، السعر المرجعي هو ذلـك السعر الذي يقوم في وضعيـة تنافس محض وتام. الـرياضي كانتوروفيتش طـور اقتراباً والذي فيه يؤخذ بعين الاعتبـار الإنتاجية الهامشية لاستخدامات مختلفة ممكنة للعمل المتوفـر. هذا الاقتراب هو الأكثر ماركسية أو على الأقل ريكاردية.. ولكن من النظرية إلى التطبيق الطريق طويل.

ـ الاقتراب التجربي.. تربيع حقيقي للدائرة:

منذ عام 1960 الاصلاح الأكثر طمـوحاً في الاتحاد السوفييتي كان عام 1962، الاقتراب تكاليـف وسعر محاولـة جبارة غير كافيـة. لقد جـرى البحث للاقتراب أفضل من تكاليف الإنتاج، لكن هـذه المحاولة الجبارة لم يكن بالإمكان انجازهـا. وعندمـا وصل قورباتشيـف إلى السلطة، مع الحاجـة على الضرورية المطلقة لاصلاح النظام، إلا أنه أرجأ ذلك إلى ما بعد 1991 ـ 1992.

يوجد اليوم، كما في كل اصلاحات الأسعار في البلاد الشرقية ثلاث أشكال من الأسعار: الأسعار المفروضة من الأجهزة المركزية والأسعار المحددة باتفاق بين المشـاريع والأسعـار الحرة للقطـاع الخاص. هـذا لا يحسن ابـداً انسجـام المجموع حتى لـو تم التوصل إلى تحديد السعـر على قاعدة التكـاليف الهامشية، اننا في الـواقع نبحث عن حل لمشكلـة (تربيع الدائرة) يجب أن يتـوازن العرض والطلب، وأن يحُفز ويحبـط، يغطي تكاليف الإنتـاج الواسعة (لتحـديث الجاهز الإنتاجي) ولا يضـع في خطر أولوية الخطة.

ـ الأرغام الرخو في اقتصاد السوق الاشتراكي:

بكل الطرق، كيف الـوصول إلى تحقيق كل هذه الأهـداف، بينما السعر لا يمارس على المشروع وعلى المستهلك إلا إرغاماً رخواً؟.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

أولاً معظم المشاريع تكون في وضع احتكاري أو شبه احتكاري على الأقل، تنوع الأسعار لا يعني في هذه الشروط أنها تقوم بتخصيص جديد لمواردها، لا عبات على التوليف بين الارغامات خارج السعر، يمكنها بدون مشقة كبيرة، الاستمرار ـ كما رأينا في الحفاظ على تخبطها.

وبعد ذلك، في نظام العوز، حيث تحديد الاستهلاك يتم بواسطة الكمية أكثر منه بواسطة السعر، كل ارتفاع للاسعار لا يترجم إلى انخفاض الاستهلاك، من ناحية الدخول غير المنفقة مهمة وقادرة على مواجهة ارتفاع الأسعار دون خفض الطلب ومن ناحية أخرى مع البيروسترويكا، دور الجماعة العمالية في اصلاح المشروع سهل رفع الأسعار إلى أن اضطرت الحكومة إلي تجميدها، اخيراً أن الأكثر فقراً والهامشيين هم فقط الذين اضطروا إلى الحد من استهلاكهم. لكن هذا الاستهلاك أصلاً ضعيف، خفضع ليس له أي تأثير توازني .

ارغامات الميزانية على المشروع هي أيضاً رخوة جداً، إذا نتج مشروع ما بالخسارة بسبب تغير الأسعار فإنه يحصل عموماً على دعم، الافلاس متوقعاً في قانون 1987، لكنه حتى الآن مجرد تهديد نظري.

على كل حال أهمية التسليف بين المشاريع يمكنها أن تثير سلسلة من الافلاسات خطيرة جداً، مشروع ما يواجه صعوبة، أمامه كل الفرص لأن يعوم.

اخيراً في النظام الجديد استطاعت المشاريع الوصول بسهولة إلى الاقتراض، والنظام الضريبي مرن جداً يمكنه أن يؤدي إلى ترتيبات مريحة.

ـ السوق في حاجة إلى ملاك:

العقوبات على الاختيار السيء ليست إذن فعالة، وتكون أقل فعالية عندما لا يوجد أي اتصال بين نتائج المشروع وقيمته، ملكية المشاريع ليس لها ثمن في الاتحاد السوفييتي، إذا اتخذ مشروع ما قرارات تُتيح له تحقيق الخطة أو الحصول على أرباح وذلك بقيامه باجراءات تخفض من إمكانية نموه على المدى الطويل، لن يواجه أي عقوبة تمس قيمة المشروع. هذه القيمة ليست قابلة للسحاب في الشروط الحالية، وهذا يمكن أن يقود المشروع إلى أن لا يتخذ اجراءات إلا وفق المدى القصير دون الاهتمام بالمستقبل. وهذا يزيد سوءاً استحالة اصلاح الأسعار بما يؤدي إلى سلوك مطابق لذلك المنتظر من تنوع

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الأسعار في نظام السوق، حتى وأن كان اليوم دور ملكية خيرات الإنتاج لم يعد في الأنظمة الرأسمالية ما كان في الماضي، وإذا كان أحياناً هناك تناقض ـ وسنرى ذلك ـ بين الملكية والاستراتيجية الصناعية إلا أن اقتصاد السوق لا يمكنه الاستغناء عن الملكية.

ـ ليس ثمة اقتصاد سوق اشتراكي ممكن:

في النهاية محاولة إقامة اشتراكية السوق فشلت لأن السلطة المركزية تحاول دائماً بطريقة أو بأخرى الحفاظ على نظامين للأسعار، أحدهما يعكس الأولويات السياسية والآخر بدأ يعكاس النذرة النسبية . من سوء الحظ عدة عناصر تمنع النظام الثاني من استبعاد الأول، والنظام الأول ليس مجرد تصحيح للثاني. في داخل اقتصاد السوق ليست الأسعار الإدارية غائبة ولا تصحيح أسعار السوق مفقداً، إلا أن الأمر يتعلق بتصحيح الأسعار التي وصل إليها السوق تلقائياً وليس الأسعار المستقاة من منطق آخر وبدون علاقة حقيقية مع النذرة. في الأنظمة الاشتراكية عندما يتم إدخال السوق حقيقة لا تدخل معه كل أرغامات اقتصاد السوق، وهكذا الحال خصوصاً فيما يتعلق بالارغامات المالية، فصل الإدارة عن الملكية لا يسهل الأمور استحالة المرور بهدوء إلى اقتصاء السوق الاشتراكي تدفع بعض الكتاب إلى التفكير في مرور عنيف، هذا ما يحدث في المانيا الديمقراطية ولكن من خلال ابتلاعها المحض من قبل المانيا الاتحادية والتي تتحمل جانب كبير من تكاليف التحول، نتائج انتشار التحديث في الشرق يمكنه أن يسهل الأمور.

المجر، بولندا، تشيكوسلوفاكيا تتوجه أيضاً نحو استراتيجية قطيعة. هكذا في بولندا ، البروفيسور جوفري ساش من هارفارد مستشار الحكومة البولندية، اقترح ربط تعديل اقتصاد كلي عنيف (خطة استقرار مدعمة كل الارغامات المالية) مع خوصصة سريعة للأموال العامة والغاء كل الارغامات التنظيمية، أنه علاج الصدمة، ليس من المؤكد أن يتم تطبيقه في بولندا بشكل دائم.

في الاتحاد السوفييتي، حكومة نيقولاي ريجكوف، رغم اخفاقاتها، ورغم اختلالات النظام الاقتصادي المتعاظمة تتبع طريق اقتصاد السوق الاشتراكي.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

أمام المازق الحال يفضل قـورباتشيف خطة أكثر جـذرية، خطة شاتـالين، هذه الخطة تربط الانتقال إلى اقتصاد السـوق الخالص مع خوصصة المشاريع وإلى إقامة نظـام مصرفي حقيقي مستقلاً عن الدولة، تتفق مـع رغبة بوريس البتسين رئيس جمهورية روسيا في اصلاح جذري وسريع. البرلمان السوفييتي اضطر في سبتمبر عام 1990م أن يحسم الأمر بين ريجكوف وشـاتالين، لكنه لم يتم ذلك رغم تفضيل قـورباتشيف لحظـة شاتـالين، ريجكوف مـدعوماً مـن الوزارات المركزيـة، وبدون شك من قسم من الجيـش هدد بالاستقالـة إذا صوت البرلمان لصالح خطة شاتالين. اخيراً قورباتشيف قرر حلاً وسطاً.

رأي خبراء صنـدوق النقـد الدولي يـذهب إلى أن الاسراع الحاد بـانشـاء اقتصـاد السـوق لا يستطيع في الظـروف الحاليـة إلا زيادة اختـلالات النظـام الاقتصادي، وربما يدفع إلى ذلك. أمكن الاعتقاد بعض الوقت أن اصلاح شاتالين سوف يفرض بمراسيم رئاسية في أقـل من سنتين. المباديء المرشدة التي جرى التصويت عليها في البرلمان السوفييتي في 19 أكتـوبر 1980 كانت غامضة، أنها تقترب من موقـف ريجكوف الحذر أن لم يكن محافظ، ما هـو مؤكد أنـه مندئذ فصاعداً المصطلـح سيكون اقتصاد السوق وليس اقتصـاد السوق الاشتراكي. الشركات الأجنبية، على كـل حال، صرح لها أن تملك بكل معنى الكلمة مشـاريعاً سوفيتية. نسق الانتقال في الوقت الحالي مـوضوع خلافات عميقة، وفي الحدود القصوى كل جمهورية تستطيع محاولـة ـ على حسابها الخاص ـ تحقيق نسق الانتقـال من مـوديل إلى آخر. وهـذا مـا لا يسمح بـالتأكيد بـانسجـام الكل. في الانتظار، من المراسيم الرئاسية الأولى أحـدهما يتعلق بنقل تعبية (جهاز اصدار العملة) من مجلـس الوزراء إلى البرلمان، والاخر يتعلق بـالطبع بالأسعـار حجر العثرة أمام كل اصلاحات اقتصاد الاتحاد السوفييتي.

الأول يريـد وضـع حد للجوء المنتظـم إلى اصدار العملة على بيـاض الذي تمارسه حـالياً حكـومة ريجكـوف، أنها خطوة أولى نحـو تصليب الارغـامات النقدية، والـذي رأينا فيما سبق أهميته، لقـد حان الوقت لأن العجز في الميـزانية وحده وصل أكثر من 150 مليار روبل.

الثاني حاول مرة أخرى احداث تحرير تدريجي للأسعار، أنه بالطبع على درجة من التعقيد محبطة للعزائم، ويتضمن اقرار تعويض لتفادى ارتفاع مفرط

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

السرعة في أسعار القطاعي. واتخذت اجراءات ضد أولئك الذين يخالفون قواعد الأسعار المفروضة، اننا قريبين جداً من اقتصاد السوق الاشتراكي، هذه الرسوم اثارت غضب نائب رئيس الوزراء الروسي الذي اعتبر ان الرقابة على الأسعار التي يقيمها ضارة بسلطة الحكومة والبرلمان الروسي، النقاش حول القوميات صار يتداخل في النقاش حول الاصلاح الاقتصادي ويخلط الأوراق بعض السيء. خلال خمسمائة يوم توجب على قوربباتشيف محاولة دمج اقتصادين لا يمكن المصالحة بينهما من حيث المبدأ، بين النظام الاشتراكي المخطط واقتصاد السوق، يبدو أن اشتراكية السوق كما يقول بعض الروس ساخرين، تعني عبوره في قفزتين.

3 ـ منافذ نظام أسعار غير متناسق:

غياب نظام أسعار متناسق لم يمنع مع ذلك، وخلال عشرات السنين، النظام من العمل، وإذن أن تكون له بعض المرونة ثلاث عناصر أتاحت حداً أدنى من التعديل بين العرض والطلب والذي لم يتوصل إلى فرضه لا المخططون ولانظام الأسعار.

ـ تطور اقتصاد خفي أو على الأقل غير رسمي.

ـ التضخم.

ـ الاستعانة بالخارج.

بقدر ما هذه التشوهات تزداد خطورة، هذه المنافذ الثلاث اخذت حجماً صار يهدد بالأختلال التام أن لم يكن تدمير النظام الذي يحاول تأطير الاقتصاد الرسمي.

ـ تطور الاقتصاد الموازي وفعالية الفساد:

ضغط الطلب ساعد على تطوير نشاط غير متوقع في الخطة منظوراً إليهم في البداية على أنهم مجرموا اقتصاد، بعض المفسدين اعدموا رمياً بالرصاص. إلا أن النشاطات الخفية لم تتوقف عن الانتشار باطراد، قبل التصريح بتطور الأنشطة الخاصة بكثير تحت ستار التعاونيات، بعض الأنشطة الذاهبة أحياناً إلى أبعد من مهنة سرية، تصنع أو تنتج بعض مارات الخطة أنه من الأفضل

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

أهماله (مجوهـرات، أحمر شفاه، امقـاص، شوك اسطـوانات الجاز، نـواقيص كنائس، تاج الـزواج، بطاريات طبخ، دراجات ناريـة) في إقليم ليتينقراد، نصف السكان في مـدينة صغيرة كانـوا منشغلين على هذا النحـو في صناعات خـاصة، شكلياً ممنـوعة، وجدوا أنفسهم بذلـك في حالة جيدة، حيث أن رصيـد صندوق الادخار بـالنسبة لكل فرد منهم كـان ضعف المتوسط الـوطني (واقعة نشرتها جريدة أزفستيا).

في جورجيا، في مزارع الكروم نلاحظ بنـايات دارات عديدة والتي انجزت من قبـل الكولكـوز أنفسهم والتي ليـس لها علاقـة بالبيـوت المتواضعـة، أنها تفترض استيراد مواد مهمة جداً.

لم نعـد في اطار نشـاط عامشي (مقـايضة) أو رشـوة مندد بها النشـاط الموازي يعطي مرونة للنظام، الدخـول الفائضة تتجمع وتسمح لأسعار السوق الرسمي أن تظل مستقرة.

اليوم هذا الإنتاج الموازي أدى إلى أسواق حقيقية في النهاية معترف بها، في بعض الشوارع والميادين.

من ناحية أخرى، صعوبة التزويـد التي تواجه بعض المشاريع، وجحود بعض المواصفـات أثارت نشـاطاً موازيـاً، أمام استحـالة الحصـول على بعض المعدات بالأساليب المشروعة، والمشـاريع الكبرى «تدير نفسها» بتصنيعها لهذه المعدات بنفسهـا، أو تتفاهم خفيـة مع من يصنعهـا لتحصل منهم على حـاجتها خارج الدوائر الرسمية، هكذا نرى مصنعاً للجرارات يصنع سراً دراجات والتي يحتاجهـا العاملون فيه للمجـي إلى العمل، وقبل حصولها على ومرونـة أكثر في مكافـأة العاملين، اخترعت المشـاريع أساليـب تحايل لتزيـد في الإنتاجيـة، هكذا خلقت مثلاً اجراء وهميين والـدين ملفاتهم في حالة شكليـة سليمة، ثم تخصص أجور هؤلاء الوهميين للأشـخاص الأكثـر ضرورة والأكثر فعالية (هذا لا يسـهل ابداً رفع الإنتاجية الظاهرة، ولكـن المشروع يمكن أن يحقق أهدافه الأخرى) هذا هو مبدأ «النفوس الميتة» المعروف جـداً في بعض بلديات أورسيكا. حتى المحاكم السوفييتية حائرة أمام مثل هذه الممارسات: هل يجب معاقبة هذا؟.

المسئول مثـلاً، في مكافحة التجمد الـذي بفضل التوزيع السري لـلأجور

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

(النفوس الميتة) نشط فريقه وتمكن من الحيلولة دون تدمير الكروم الأرمنية، التجمد، كما يلاحظ المعلق السوفييتي ليس خاضعاً للتنظميات.. اخلاص وعدم فعالية مقابل تحايل وفعالية: لغز عجيب!.

نظرياً البيروسترويكا، باعطائها مرونة أكثر في إدارة المشاريع وسماحها بانشاء شركات خاصة، كان يمكن أن تجعل كل هذه الممارسات الموازية غير مجدية، في الواقع آثارها المنحرفة في سلوك المشاريع وغياب تجارة الجملة، جعلتها كما رأينا أكثر ضرورية، جانب كبير من التعاونيات الخاصة لا تتوصل إلى الإنتاج إلا بالتزويد من الدوائر الموازية.

أما بالنسبة للسوق الكولكوزي، الذي كان دائماً مصرحاً به، فإنه يأخذ الآن أهمية متعاظمة مع الأسعار التي ترتفع أكثر سرعة من المتوسط. إذا اضعفنا إلى هذه الدخول الموازية الدعم الممنوح للكولكوز والسوفكور للحفاظ على الأسعار منخفضة، بالنسبة للمنتوجات الزراعية، يمكن أن نتوقع اللحظة التي فيها الزراعة تستفيد، كما هو الحال في البلدان الرأسمالية الكبيرة. من تحويل فائض الإنتاجية الآتي من قطاعات أخرى، اننا اليوم بعدين جداً عن تمويل التراكم الاشتراكي من خلال تجميع الأراضي .

ـ التضخم وإعادة التوازن الاقتصادي:

خلال وقت طويل، التحديد السلطوي لأسعار القطاعي استطاع خلق وهم: اختلال التوازن بين العرض والطلب لا يترجم إلى ارتفاع في الأسعار. يجري الحديث عندئذ عن «تضخم مسيطر عليه» بينما يجب الحديث عن تضخم مخفى. ذلك لأن مؤشرات تضخم مهمة كانت موجودة.

ـ مؤشرات تضخم خفي:

المؤشر الأول لهذا التضخم الخفي انتفاخ رصيد الادخار والذي هو في الواقع «فضلات نقدية» لا يمكن انفاقها لأنه لم يعد هناك شيء للشراء. في عام 1988، الرصيد في صناديق الادخار كان يقارب 300 مليار روبل، يضاف إليه كتلة تقدر من 100 إلى 200 مليار روبل محتفظ بها سيولة عند الخواص ولكن عام 1988 القيمة الرسمية الكلية لتجارة القطاعي (دولة أو تعاونيات) قدرت بحوالي 360 مليار روبل. أنها قنبلة نقدية حقيقية، والتي يمكنها مواجهة ارتفاع

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الأسعار. وفي كل الأحوال تتيح للمستهلكين ابتلاع كل امداد للتجارة القطاعية (التجزئة). هكذا سكان موسكو ينقصهم كل شيء، افتتاح محل است لودير (محل أدوات تجميل وعطور) أو مكندونالدز، يثير مهما كان السعر تدفق المستهلكين.

العلاقة الثانية للتضخم الخفي هي ــ على كل حال ـ طوابير الانتظار هذه نتيجة ترشيد، ليس بواسطة الأسعار ولكن بواسطة الكمية، الأسعار الرسمية مستقرة، ولكن لا يمكن إلا بصعوبة الحصول على ما هو مرغوب.

ـ من التضخم الخفي إلى التضخم بمعنى الكلمة:

منذ البيروسترويكا، هذه الأشكال الخاصة من التضخم لم تختف، تعديل الطلب بواسطة السعر ظل جزئياً، ارتفاع بعض الأسعار كان يمكن أن يكون لها أثار اجتماعية قوية جداً، وتطور السوق الكولكوزي الموازي ليس كافياً ليستوعب «فضلات النقد» في انتظار الانفاق، مع ذلك أسواق الكولكوز فيها الأسعار أعلى من اثنين إلى ثلاث مرات أعلى من تلك التي في مخازن الدولة. أما بالنسبة للسوق الموازي، فإن اختلاف أسعاره من الصعب الكشف عنه، إلا أنها بالتأكيد أكثر ارتفاعاً.

إن الانتقال يجري تدريجياً من تضخم خفي إلى تضخم في وضح النهار، بينما منذ بضعة سنوات، الاقتصادي، الاقتصاديون السوفييت يقبلون ارتفاعاً بمعدل 11 إلى 12٪ صار أقرب إلى الحقيقة.

هذا التضخم بواسطة العوز ازداد اليوم خطورة بسبب اصدار نقدي في غير وقته والذي يضعف من ارغامات السوق. عجز في الموازنة قدره عام 1989، 100 مليار روبل.

إنخفاض أسعار النفط منذ عام 1981 جعل الدولة السوفييتية تخسر حوالي 40 مليار روبل، الحملات ضد أدمان الكحول ترجمت إلى نقص يتطلب التعويض بمقدار 36 مليار، لأن صناعة الخمور السرية حلت محل الإنتاج الرسمي. تماماً كما حدث في الولايات المتحدة في العشرينات، الكفاح ضد الكحول صنع ثروة المهربين.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

من أجل الحد من آثار ارتفاع أسعار المنتوجات ذات الضرورة الأولى اضطرت الحكومة أن تدفع لها سعراً للمنتجين أكبر مما تبيع به مخازن الدولة للمستهلكين. عام 1989 بضعة 66 مليار روبل دعم تم توزيعها بهدف تفادي ارتفاع أسعار المواد الغذائية. وحوالي 16 مليار من أجل منع ارتفاع أسعار المواصلات وأسعار ملابس الأطفال.

لكي يمول هذا العجز، تمارس الدولة سياسة حالياً لها واقعياً نفس نتائج البطاقة البيضاء (قروض من بنك الدولة المركزية) الدولة تستخدم رصيد صناديق الادخار أو تقترح على أصحاب الرصيد أن يكتتبوا في الاقراض، أنها تعيد إلى التداول الفوائض المالية عند الخواص، والتي حتى ذلك الحين كانت «نائمة». التضخم النقدي يهدد، ومن خلال الأسواق الموازية، الهروب أمام النقود يمكن في كل لحظة أن ينطلق.

ـ الاستنجاد بالاجنبي:

عدم الكفاية الداخلية، وانعدام التنسيق الاقتصادي في الإنتاج، ترجمت في النهاية في توجيه الدعوة للأجانب.

ـ بناء مجال اشتراكي كبير:

في فترة أولى، ومن خلال بلدان الكومكوم (مجلس التعاون الاقتصادي)، أستفاد الاتحاد السوفييتي أكثر من غيره في التبادل المهم مع دول أوربا الشرقية، رفع قيمة الروبل سمح له بالحصول وباسعار زهيدة على المنتوجات الصناعية والزراعية التي يحتاجها مقابل تزويدها وباسعار عالية. خصوصاً المواد الخام. لقد رأسنا أن هذا التبادل غير المتكافيء قد سهله انشار شركات مختلطة (بمشاركة سوفيتية) في أوربا الشرقية. ابتداء من عام 1956، هذه الممارسات لزم التخلي عنها لأنها تهدد باثارة توترات سياسية خطيرة، لقد الغى السوفييت حتى الديون، على المدى الطويل، المستحقة على الاعضاء الآخرين للكومكوم. منذ ذلك الحين، التبادل بين الاتحاد السوفييتي وبلدان أوربا الشرقية صار طبيعياً.

وفي نفس الوقت اضطر الاتحاد السوفييتي أن يستورد من الغرب العناصر الأساسية للحفاظ على نموه، أولاً الحبوب لكي يتفادى انهيار القاعدة الغذائية التي أهملها طويلاً أنه التزويد الأمريكي، وعلى درجة أقل، الأوربي الذي

www.alkottob.com

site: www.libyaforall.com\e-mail:alnoyanabby2002@yahoo.com

أتاح لكل عام بشد حاجات الاتحاد السوفييتي وبعدم زيادة التدمر عند المستهلكين (40 مليون طن سنوياً). لقد استورد الاتحاد السوفييتي أيضاً تقنية غربية، خصوصاً من أجل استثمار موارد سيبريا، خلال السبعينيات، تباطؤ النمو الرأسمالي كانت له، من وجهة النظر هذه، انعكاسات مهمة، لقد جعل السوفييت يفقدون الأمل في تطور تصديرهم الخاص، والتمكن بفضله من «الدفع» اللازم ثمناً للقاعدة غير الممكن الاستغناء عنها في نموها. ومثل البلدان الشرقية الأخرى، اضطر الاتحاد السوفييتي إلى الاستدانة وإلى الحد من الاستيراد، مع ذلك من المدهش جداً أن نلاحظ أن الغرب، في النهاية، هو الذي بواسطة مبيعاته وقروضه جعل عدم الانسجام لا يتجاوز حد اللا مقبول، وأتاح للسوفييت الحصول على الحد الأدنى من الزبدة، والحد الأعلى من المدافع.

ـ الانفتاح على الغرب:

اليوم الدعوة للأجنبي أشد الحاحاً، من ناحية يحاول الاتحاد السوفييتي، على أراضيه، انشار فروع مشروعات رأسمالية أو أيضاً مشاريع مشتركة، أكثر من 300 مشروع صرح لها عام 1988، و 700 عام 1990، لكن هذا لا يزال دون المأمول، بين التصريح والتنفيذ زمن طويل، البعض من أجل الاسراع بظهورها في واقع التنفيذ، اقترحوا مناطق حرة.

من ناحية أخرى، الاتحاد السوفييتي، لكي يتغلب على العوز لجأ إلى الاستيراد الكثيف بفضل القروض الممنوحة له من الغرب وحدة المانيا واعتدال المطالب السوفيتية في محادثات نزع السلاح تمثل مساومة بالكاد مستورة. من ناحية يريد الغرب تفادي وضع قوربا تشيف في مشكلة، والغرب مستعد لمساعدته، ويبقى أن نعرف أن كانت هذه النوايا الطيبة في مستوى آمال السوفييت. إذا كان الألمان والفرنسيون أنصار تقديم مساعدات مالية للاتحاد السوفييتي، فإن الأمريكين و اليابانيين والإنجليز كانوا، والوقت طويل مترددين في موقفهم. الاختلال الحالي للبير وسترويكا (إعادة البناء) يخفيهم، ويترددون في مساعدة بلد يحافظ على صناعة عسكرية مهمة جداً. مع ذلك، أزمة الخليج (الثانية) قادت الأمريكان إلى ترطيب موقفهم، وعرضوا وعداً بمساعدة أساسية. يبقى أن نعرف إذا كان وضع الأمريكان المالي نفسه يسمح لهم بالايفاء بهذا الوعد.

وفي الانتظار، شبكات تجارية حقيقية خفية ظهرت على الحدود، مستفيدة

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
من الأسعار الرسمية المنخفضة، مستهلكون زائفون يكتسحون الإنتاج الرسمي لكي يبادلوه بمنتجات والتي المستهلك السوفييتي مستعد لدفع ثمن مرتفع لها.

البولنديون قاموا بدور نسط كوسطاء في هذا السوق الموازي. في بيالستاك، على الحدود بين الاتحاد السوفييتي وبولندا، من خمسة إلى ستة آلاف شخص يجرون كل يوم تبادلاً من كل نوع. لقد قدِّر أن الاتحاد السوفييتي قد صدر، من خلال هذا السوق الموازي حوالي 400,000 جهاز مرئي، 200,000 ثلاجة، 50,000 آلة غسيل ملابس وذلك خلال عشرة شهور الأولى من عام 1988. أنه من الصعب القيام بجرد الخيرات المستوردة بنفس الطريق. ولكن كثافة الأسواق الموازية في المدن الكبرى يدل على أن التبادل يسير على هذا النحو في اتجاهين.

على المدى، إذا كان الاتحاد السوفييتي يريد حقاً الاندماج في التبادل الدولي فإنه يتوجب عليه تبني الأسعار العالية وأن يجعل عملته قابلة للتحويل. حتى الآن المقايضة وتجارة الدولة تسمح له بتفادي هذه الاجراءات. ولكن كيف يمكن تبني اسعاراً عالية، وعملة قابلة للتحويل عندما يظل نظام الأسعار غير متناسق جداً، أو على الأقل ثنائي. الانفتاح على الخارج منفذ للهروب من عدم تناسق نظام الأسعار، يحيل إلى نفس المشاكل القديمة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

النومينكلاتورا وأزمات الأنظمة الاشتراكية

في منتصف عام التسعين هذا، لم يتوصل أي نظام اشتراكي إلى تحقيق اصلاح مرضٍ لنظامه الاقتصادي.

الاصلاحات لم تؤد أحياناً إلا إلى زيادة مساويء الوضع. في الديمقراطيات الشعبية في أوربا الشرقية، شهدنا انهيارات عنيفة للبنى السياسية القديمة، في كل مكان، حتى عندما القوى غير الشيوعية لم تستول بعد على السلطة صار إقامة السوق ـ الرأسمالي ـ هدفاً. في الاتحاد السوفييتي الوقت لم يعد للاصلاح وإنما لاقتصاد السوق المحض، والحزب الشيوعي صار في موقف دفاع، إذا كانت الاصلاحات الجذرية مبرمجة زمنياً فإن العودة إلى اقتصاد السوق رسمياً هي هدف الرئيس قورباتشيف، الدولة صارت مستقلة عن الحزب والأخير لم تعد لديه وسائل فرض دكتاتورية مطلقة.

الحزب الشيوعي لم يعد يحافظ على احتكار السلطة إلا في البانيا، وفي البلدان الشيوعية في العالم الثالث (الصين، كوريا الشمالية، فيتنام، كوبا) إلا أن هذه البلدان أيضاً أما أنها بدأت في محاولة تحرير نظامها أو أنها اضطرت إلى قمع صعود المطالبة بديمقراطية أكثر، وهذه كانت حالة الصين والتي مع ذلك، ومنذ عدة سنوات، بدأت في سياسة تحرير اقتصادها.

ما يثير الدهشة هو سرعة التحول، أو بالأصح سرعة انهيار الأنظمة الاشتراكية، عكس الأنظمة الرأسمالية، التي عرفت حتى الآن، كيف تستوعب التناقضات الخطيرة جداً والتي هددتها أحياناً بالانهيار، فإن الأنظمة الاشتراكية لم تتوصل إلى استيعاب تناقضاتها. طبقاً لنظرية الكوارث، التوترات المتناقضة بتراكمها دون حل تؤدي إلى انهيار عنيف، أزمات التعديل تحولت إلى أزمات قطيعة كبرى.. أزمة بديل.

في المستوى الأول من التحليل، والذي حتى الآن وضعنا أنفسنا فيه، يمكن أن نفسر استحالة الاصلاح هذه بواسطة خواص التنظيم الاقتصادي.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

إلا أن هذه الحتمية الاقتصادية لا تفسر كل شيء، خلف الاصلاح المستحيل للأنظمة الاقتصادية الاشتراكية، هناك تشنج طبقة مسيطرة في سلطتها وفي امتيازاتها.

1 ـ ولادة مجتمع صناعي:

في الظاهر، الاشتراكية يمكن أن تفسر على أنها طريقة لاسراع التطور نحو مجتمع صناعي.

لنأخذ حالة الاتحاد السوفييتي في بداية الثمانينيات:

متخلصاً من القمع البوليسي الدائم، ومتطلعاً إلى استهلاك أكثر وفرة، المجتمع السوفييتي أخذ بالتدريج شكل مجتمع صناعي السكان (268 مليون) في أغلبهم يسكنون المدن (140م في المدن مقابل 28 م عام 1913) العائلة تصغر (1, 2 طفل عام 1980 مقابل 2,9 طفل عام 1960، 4,9 طفل عام 1925) تحديد النسل ينتشر سريعاً، معدل الولادات ليس أكثر من 18,5٪ مقابل 24٪ عام 1960. 45,5٪ عام 1925. أي أن 21٪ من العائلات السوفييتية ليس لها أطفال 35,4٪ لها طفل واحد. هنا مشكلة خطيرة بالنسبة للأتحاد السوفييتي. والأخطر أن هذه المعطيات العامة تخفي معطيات مختلفة، الجزء السلافي من الاتحاد السوفييتي يعيش انهيار سكانياً أكثر سرعة من الجزء الشرقي وخصوصاً المناطق الإسلامية، ولكن نحن نعرض أن السكان المسلمين لا يتنقلون إلا قليلاً في الاتحاد السوفييتي، وكذلك مناطق السلاف، حيث الانهيار السكاني سريع، تمد المناطق الشرقية بالكوادر والعمال المؤهلين، بينما المناطق التي في طريقها إلى الاكتظاظ السكاني لا تمدها باليد العاملة غير المؤهلة أو قليلة التأهيل.

السكان تعلموا، منذ عام 1960، 40 مليون صغير تستقبلهم المدارس سنوياً، ابتدائية وثانوية ، الدخول إلى الجامعة بناء على مسابقة، النجاح يعطي الحق في منحة، مؤسسات التعليم العليا و 3000 معهد بحوث يستقبلون مليوني طالب مندئذ، يملك الاتحاد السوفييتي أكثر من مليون مهندس وأربعة مليون تقني عالي، إرادة التعلم شاعت بانتظام في كل مجتمع، محاضرات أو دروس المساء والدراسة بالمراسلة تجد تشجيعاً ، في المتوسط، رجل غير متزوج

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
يخصص 1,18 ياعة للتعليم الدائم كل أسبوع، رجل عامل متزوج يخصص 42 دقيقة كل أسبوع، امرأة عاملة غير متزوجة تخصص 42. د. امرأة عاملة متزوجة 18 دقيقة في فرنسا على نفس المنوال 12 دقيقة، 6 دقائق، 6 دقائق، صفر، ثم لا شيء.

صعود الكوادر هذا، وإرادة التكوين تواكب علاقة شيئاً فشيئاً صارت وثيقة بين الوضع الاجتماعي والوظيفة التي فيها كل شخص، لأن الكوادر تعلب دوراً من الدرجة الأولى، الحزب نفسه تأثر بهذا التوجه منذ المؤتمر الثاني والعشرين والثالث والعشرين، ثلثي الاعضاء الجدد تم استقطابهم من بين المثقفين، إلا أنه ومنذ عام 1967 ظهرت ردة فعل ضد هذا التطور، والمسئولون في الحزب فضلوا التقليل في عدد المنظمين إلى الحزب على أن يتركوه يكتسح من قبل الكوادر والمثقفين.

اخيراً هؤلاء الناس يطمحون في الرفاهية والحياة الأفضل مادياً. إنتاج المعدات المنزلية يزدهر، متوسط الأجهزة المرئية بالنسبة لمائة فرد وصل (30 جهاز لكل 100) تعادل نفس النسبة في أوربا العشرة.

من ناحية أخرى، السوفييت يريدون حياة في مساكن أفضل والكوادر يريدونا بيتاً ثانياً (أو داتشا) وإذا كانت أزمة السكن لم تحل فإن أكثر من عشرة مليون شخص يحصلون سنوياً على مساكن جديدة.

الضغط من أجل بيوت أفضل كان لدرجة أنه كوَّن قطاعاً خاصاً بالبناء يتبع غالباً المشاريع الكبرى، ويمول بواسطة الادخار الخاص. في المناطق العمرانية، النباء الخاص، المنفذ أحياناً بواسطة مشاريع موازية، يمثل أكثر من ثلث الاستثمارات أما في الريف، مجموع البيوت الفردية تم بناؤها تقريباً بفضل الادخار وبفضل النشاط الخاص للكولكوز، مرسوم عام 1962، الذي يحضر البناء الخاص، ليس مطبقاً إلا في المدن الكبيرة، عشاق الداتشا ـــ الدارات ـ يستغلون ذلك جيداً.

2 ـ ظهور طبقة مسيطرة جديدة:

نظرياً، وحتى فترة قريبة، الأنظمة الشيوعية تقر بوجود ثلاث طبقات في

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
داخلها: طبقة الكولكوز، طبقة العمال، وطبقة المستخدمين. يمكن أن توجد توترات بين هذه الطبقات الثلاث، ولكن وجود صراع طبقي كان رسمياً منفياً.

ـ الثلاث طبقات الرسمية:

طبقة الا نتليجنسيا التي تشمل كل الكوادر والبيروقراطية يبدو تستقر باطراد، قليل من أبناء الموظفين يعودون للمصنع 82٪ من أبناء الانتليجنسيا يتابعون دراساتهم بعد الثانوية مقابل 10٪ من أطفال الكولوز. صحيح من 30 إلى 40٪ من ابناء العمال يذهبون إلى الجامعة، وهي نسبة معتبرة مقارنة بفرنسا، ولكن البيروقراطية تتخلد. العبور إلى الانتليجنسيا ليس ممكناً إلا بفضل توسعها الكمّي، وامتياز الغير يدوي، ضل أيضاً كما في الماضي كبير.

في قلب الانتليجنسيا، جهاز الحزب يشكل مجموعة مهيمنة، أنها النومينكلاتورا، والتي سوف نتناولها فيها بعد..

بالتوازي مع توسع الانتليخسيا، رأينا يتضخم، بفضل الهجرة من الريف، عدد عمال الصناعة والنقل، في شرق الأورال الطبقة العاملة تتكون أساساً من فلاحين تركوا الأرض حديثاً، أناس بدون جذور وبدون وعي بمشاكهم، في الغرب، في روسيا، وفي أوكرانيا هناك طبقة عاملة، والعمل في المصنع من الأب إلى الأبن. في السنوات الأولى من الاجراءات ضد الستالينية، كانت الأزمة خطيرة جداً، في نوفمبر د195 حدثت اضرابات عمالية، لكن الحكومة تكتمت على الموضوع، ولكن دورياً تتفجر صراعات جديدة، لقد ولد الرأي العمالي، مع ذلك لا يجب أن نتخيل ظهور صراع طبقي مماثل لذلك الذي شهدته البلدان الصناعية خلال القرن التاسع عشر. هذا ليس في خط تطور المجتمعات الصناعية. إلا أنه بقدر ما تزاد إزمة الاقتصادية حدة، فإننا نرى الحركات الاجتماعية تتطور. اضراب عمال المناجم كان المعبر عن خصائص هذه الحركة.

في الأرياف التعارض حاد أيضاً بين الاطر الإدارية والكولكوز قدر حدته بين الكولكوز الفقراء والكولكوز والاغنياء، تصفية محطات الجرارات الزراعية زاد في سوء هذه الظاهرة، بعض الكولكوز الاغنياء انتهزوا ذلك لكي يراكموا المعدات وليحصلوا من ذلك على أرباح عند تأجيرها للكولكوز الفقراء. الاجراءات الجديدة للبيروسترويكا لم تفعل بالتأكيد إلا الاسراع بهذا التطور.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

النظام السـوفييتي.مع ذلك غير بعمق المجتمع الاقطـاعي القيصري ومنذ وفاة ستـالين تخلص المجتمع تـدريجياً من شبح الـدولة البوليسيـة، على الأقل بالنسبة لأولئك الذين يقبلون التطابق مع مظاهر الانتماء.

المجتمع السوفييتي صار مجتمعاً حديثـاً، ولكن النظام ميز طبقة والتي، متمسكة بامتيازاتها شلت التطور الاقتصادي والاجتماعي.

ـ ولادة وتطور النومينكلاتورا:

في الحقيقة، في قلب الانتليجنسيا، تكـونت بالتدريج مجموعة قيـادية هذه المجموعة ولدت في السنوات العشرين عندمـا بدا أنه من الضروري وجود كوادر موثوق بها، تم انذاك إعداد قائمـة بالوظائف والمراكز التي على الحزب السيطرة عليها بطريقـة دقيقة وعلى أساليب شغلها. أسس الاختيار لم تكن ببسـاطة منذ ذلك الحين المهارة التقنيـة ولكن الوفاء السياسي والاستقـامة العقائدية. يـوجد اليوم عدة نومينكلاتورا والتي يتبع كل منها درجة أقل أو أعلى في هرمية الحزب.

يقدر عام 1988 أن هـذه النومينكلاتورا تبلـغ 750 ,000 وظيفة سواء داخل الحزب أو داخل الإدارة والمشاريع والأجهزة من كل نوع.

ـ النومينكلاتوراً والمركزية الديمقراطية:

في الواقع، بالربط بين النومينكلاتورا والمركزية الديمقراطية تحصل على المفتاح الذي يسمح بالعبور من قائمـة الوظائف إلى الطبقة المسيطرة، المسئولون يعينون الأشخـاص الذين يشغلون مراكـز النومينكلاتورا التـي تتبعهم، هؤلاء الأشخاص الذيـن في النومينكلاتورا ينتمون إلى كـوادر الحزب يعينون مسئولي الحزب. ولكن أي نشـاط شلي غير مسمـوح بـه، السلطة هكـذا تكـون في دائرة معلقة، خصوصاً من اللحظـة التي فيها المجموعة القيادية تكـون عديدة بما فيه الكفاية لتفادي عدد كبير من «الـداخلين» وهكذا يصير الأمر تقريباً وراثياً، وعلى كل حال مدى الحياة، كعضو في النومينكلاتورا. التصفيات التي قام بها ستالين منعت الانفـلاق، وشجعت، بثمن بشري عال جـداً، الحراك، خروتشيـف حاول النضال ضد الانغـلاق بفضل ديمقراطية التعليم وتداول الكـوادر، أنه الانغلاق بفضل ديمقـراطية التعليم وتـداول الكوادر، أنـه بالعكس بـاسم ضمان العمل للكوادر تسارع تكوُّن النومينكلاتورا في طبقة مهيمنة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

النومينكلاتورا تتمتع بامتيازات مرتبطة ليس بالإنتاج ولكن باستغلال الطبقاتِ الاجتماعية الأخرى.

بعد نظام «المظاريف» الذي أسسه ستالين، والذي حاول خروتشيف الغاءه، تأسس نظام توسيم والذي ترتبط به امتيازات صريحة أو خفية، الاستغلال لم يعد يخدم التراكم الاجتماعي ولكنه يساهم مباشرة في ظهور اللامساواة الاجتماعية، من ناحية أخرى النومينكلاتورا تتمتع بشكل واسع بامتيازات مادية (مخازن خاصة، سكن، مطاعم، نوادي، وقت فراغ، إجازات..).

ـ تملك خاص للاقتصاد بواسطة الاحتكار السياسي:

هذا الاحتكار للسلطة السياسية من قبل الحزب يعطي لاعضائه اليد الطولى في الاقتصاد، كل أولئك الذين لديهم مسئولية في التخطيط، وإدارة الملكية العامة أو غير العامة (الكولكوز) ينتمون إلى النومينكلاتورا.

هناك، بشكل من الأشكال، تملك خاص حقيقي للاقتصاد، ليس مؤسساً على الملكية الخاصة لخيرات الإنتاج، ولكن على الاحتكار السياسي والعقائدي بواسطة الحزب، وإذا أخذنا بالتحليل الماركسي، فإننا هكذا لن نستطيع الوصول إلا إلى تناقضات جديدة شيئاً فشيئاً خطيرة جداً ما بين علاقات الإنتاج «الاشتراكية» وتطور قوى الإنتاج. الأزمات الحالية في الديمقراطيات الشعبية والصعوبات الاقتصادية في الاتحاد السوفييتي تبرهن على هذا بوضوح.

3 ـ النومينكلاتورا وتناقضات الأنظمة الاشتراكية:

النومينكلاتورا، تكون في أصل تطور وحدة مساويء ثلاث أنواع من التناقضات: اقتصادية، اجتماعية، سياسية.

ـ تطور التناقضات الاقتصادية:

أنها ترتبط بعدم كفاية التنظيم الاقتصادي.

لقد حللنا فيما سبق مطولاً عدم كفاية هذا التنظيم ورأينا كيف أن كل الاصلاحات فشلت بما في ذلك حتى الآن البيروسترويكا.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

صحيح، كما رأينا، المباديء نفسها للتنظيم الاشتراكي التي وضعها ستالين وعممت في كل البلدان الشيوعية تجعل الاصلاح صعباً. مع ذلك لا يجيب أن يغيب عن النظر أن كل الاصلاحات اصطدمت بما تقتطعه النومينكلاتورا، هذه الاقتطاعات المحققة سواء من أجل رفاهيتها أو من أجل أنشطة تتحمل القيام بها، تمنع الحصول على موارد ضرورية للتوازن الاقتصادي، هكذا رغم كل الوعود، وكل الاجراءات المتخذة، تطور خيرات الاستهلاك يصطدم دائماً بأولويات الجيش والصناعة الثقيلة على كل حال النومينكلاتورا، في وضع لتحصل على خيرات الاستهلاك التي ترغبها، دوائر توزيع مختصة تسمح لها بالوصول إليها أولاً. هناك تناقض بين التملك الاجتماعي لخيرات الإنتاج بواسطة الطبقة المهيمنة وزيادة التبعية المتبادلة التي يتطلبها التطور الصناعي.

كما أن النومينكلاتورا تمنع كل تقليص في البنى الإدارية والتي واقعياً تضمن وضع يدها على الجهاز الإنتاجي، المغامرات الفاشلة لقورباتشيف في محاولته تخفيض إعداد الإداريين تشهد على قدرة النومينكلاتورا على المقاومة.

ـ تطور التناقضات الاجتماعية:

كل المجتمعات الصناعية تحتاج أكثر فأكثر إلى زيادة «الذكاء» يجب عليها أن تملك باحثين أكثر، معلمين أكثر، كوادر لها ثقافة واسعة، جزء كبير من شبابها يجب عليه المرور بالجامعة أساس سلطة النومينكلاتورا نفسها الانضباط الثقافي المفروض من الاحتكار الاديولوجي صار للبعض ما لا يمكن احتماله. بعد كل شيء، قبيل ثورة 1789، الليبرثان أو التحرريين والموسوعيين كانوا غالباً ارتسقراط غير مقتنعين بالنظام الاخلاقي للعهد القديم، وليس هذا صدفة أن كاتباً يصير رئيساً غير شيوعي لتشيكو سلوفاكيا. وأن باحثاً، ساكاروف يجسد في الاتحاد السوفييتي النضال من أجل حقوق الإنسان كما يجسد المروق، أو أن تسبق المصانع في الاعتراض على السلطة.

ـ تطور التناقضات السياسية:

الأنظمة الاشتراكية أرادت قمع، إن لم يكن إعدام كل الايدلوجيات التي تخاطر بالاعتراض على احتكار الحزب للسلطة، النضال من اجل الالحاد وتطوره كان لوقت طويل أولوية السلطات الشيوعية تعبير القوميات اختزال إلى

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

درجة فولكـور، وأحياناً قمع بالقـوة، ستالين على كل حال فـرض نظام جغرافي سياسي، صدق عليه الغربيون والذي يهزأ بحقيقة القوميات الكنائس بدت هكذا لاولئك الذين يناضلون ضد الاحتكار الاديلـوجي كنقاط دعم من أجل المقاومة، حماس القوميين صـار مشرفاً، وعلى كل حال التـوجه القومـي، عند الدكتـاتور الدومي الروماني هو الذي اتاح لـه الحصول من الغربيين على شراكة متعاطفة. بمهاجمتها الاحتكار الايدلوجـي في الحزب، كل هذه القوى، تمس اساس سلطة النومينكلاتورا نفسها. إذا كان في كل البلدان الشيوعية قد ظهر اقتصاد السوق اكثر فأكثر على أنـه المنقذ الوحيد، إلا أنه ليس بـاسم اقتصاد السوق الاعتراض على النظام، بل باسم حرية الفكر واستقلال الشعوب والديمقراطية.

عـام 1989، شهـد فجأة هـذه التنـاقضـات تصل الى نقطـة القطيفـة، القلاسنوست اتاحت المعرفة، النتـائج المتواضعة للبيرسترويكا سارعت في وعي التناقضات. القمع الدموي الـذي لايزال ممكناً في الصين لم يعد ممكناً في البلدان التي عبرت بشكل أو بآخر إلى مستوى المجتمعات المصنعة، لقد استلزم الامر أن حدود الاتحاد السوفييتي تتعرض للتهديد لنـرى غورباتشوف يقرر استخدام القـوة ضد الازاريـس (أذربيجـان)، بضعة أيـام قبل ذلـك حـاول في مواجهـة ليتوانيـاي ردعاً والذي كان مشرفـاً له، في الديمقراطيـات الشعبية تمرد حقيقي أرغم النـومينكـلاتـورا المحليـة على التفـاهـم أو التخلي عن السلطـة في الاتحاد السوفييتي نفسه شاهد سباقاً مأساوياً بين الإصلاح وتشتت الامبراطورية.

في الاتحاد السـوفييتي استراتيجيـة غـورباتشـوف الـذي حـاول اللف بـواسطة إصـلاح سيـاسي على مصـاعب البيروسترويكـا، لم تفعل إلا الاسراع بظهور الاحتجاج السياسي. سلطة النومينكلاتورا باعتبارها مرتبطة منذ البداية بسيطرتها على السلطـة السياسيـة وعندما تتملـص منها هذه فـإن قدرتها على المقاومة تضعف كثيراً، بفصله الدولة عن الحزب ثم بقبوله أولاً تعدد المترشحين الشيوعي غورباتشوف حاول تحطيم مقاومة النوميكلاتورا.

4 ـ أزمات ذات مخارج غير يقينية:

هـذا لايعنـي ابـداً ن عـام 1990م سـوف يشهـد في كـل مكـان نهايـة النومينكلاتورا أو أقل من ذلك النومينكـلاثوريين اليوم في الشرق، ما عدا ألمانيا

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الديمقراطية، والتي عملياً ذابت في ألمانيا الغربية، لا توجد طبقة اجتماعية حقيقية قادرة على الحلول محل النومينكلاثورا.

لقد ذهب البعض متسرعاً بعض الشيء أن عام 1789م انتصر على عام 1917، في الحقيقة ليس هناك في البلدان الاشتراكية المعادل للبرجوازية راغبة في اخذ مكان الطبقة المسيطرة. إذا كان ممكناً مقارنة الثورات فإنها يمكن أن تقارن مع ثورة 1848، نجد فيهما معاً تفوق المثقيين، حماس الوطنية والعجز عن ابدال الطبقة المسيطرة وعموماً السلطة القائمة عدة سيناروات اخرى يمكن التفكير فيها:

الأول: هو اقتصاد سوق مفروض من سلطة سلطوية، وحتى دكتاتورية لصالح جزء من النومينكلاثورا، في اعماق سلطتها الطبقة المسيطرة تنتقل من التملك الجماعي إلى تملك خاص. على كل حال لن تكون هذه المرة الأولى في اقتصاد السوق أن الرأسمالية والتوتاليتارية يتعايشان في وفاق. من هتلر إلى موسوليني إلى بيتوشيه الامثلة لا تناقضنا. ومن ناحية أخرى في القرن التاسع عشر، وخلا ل المرحلة الثانية من اصلاح ميجي، جزء من الطبقة الاقطاعية اليابانية، طبقة كبار الاقطاعيين كانت اصل المجموعات الرأسمالية الكبيرة، وفي حالات عديدة لازالت كذلك. في بولندا وفي المجر نشهد محاولات خوصصة تلقائية لصالح المديرين القائمين، الإمكانية المعطاة للمشاريع السوفييتية لانشاء تعاونيات تذهب في هذا الاتجاه.

إذا كان مؤكداً أن جزء من النومينكلاتورا تستطيع التكليف مع اقتصاد السوق، إلا ان فرص قيام ديمقراطية رأسمالية ليست مع ذلك معدومة. لقد قلناه، تحت ضغط المثقفين والكنائس، والحركات القومية، والتعددية، وحق الاقليات في تقرير مصيرها يضع موضع سؤال حجرالأساس في سلطة النومينكلاتورا: الاحتكار الاديلوجي.

ليست الرغبة في اقامة اقتصاد السوق هي التي حشدت الجماهير ولكن الديمقراطية السياسية .

من الممكن إذن أن نرى يظهر في الشرق هذا التوازن الهش بين ديمقراطية سياسية مؤسسة على المساواة الاساسية بين الجميع وبين نظام اقتصادي يدفع باطراد إلى اللامساواة. وهذه خاصية أساسية في البلدان الصناعية الرأسمالية

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الكبيرة. هـذا التوازن لم تكـن اقامتـه سهلة ولكنـه حـالما تحقق اعطى مـع ذلك للرأسمالية فعالية أكثر وديمومة، لقد جعلها قابلة للحياة.

يوجـد أيضاً سناريـو كوراثي، وهـو العودة بقوة للمحـافظين وللقمع، لقدرأينـاه يتحقق في الصين. التحالـف خلال عام 1989 في الاتحاد السـوفييتي بين المحافظين في الحزب مع اليمين المتطرف والعنصري والمعادي للأجانب يبدو مقلقاً، انزلاق الاحتجاجات القومية في القـوقاز والتدخل العسكري المكثف مقلقاً ايضاً، وأكثـر، الوضـع مـوضـع سؤال للحـدود الوطنيـة الموروثة عن معـاهدة فرساي «الحمقاء» واتفاقات يالطـا المأساوية يمكنها أن تؤدي إلى صدامات ذات نتائج ليس من الممكن التكهن بها، معارضـة جزء من الجيش للبيروستريكا هي أيضاً إحدى عوامل عودة المحافظين الممكنة.

يتوقف الامر على الديمقراطيات الرأسمالية الكبيرة إن يظل هذا السيناريو الكوراثي إلى الأبد مجرد مخاوف.

في الديمقراطيات الشعبية القـديمة «الامارتينين» لعام 1789 لم يخسروا بعد معركتهم، ونحن لسنا بعد في أيام يـونيو. من سوء الحظ أن الديمقراطيات أحيانـاً لاتستطيع شيئاً امام انفجار العـواطف، الانفعالات واللاعقـلانية، إدارة أزمة الشرق الأوسط أو موقفهم من الثورة الإسلامية يـؤكد لنا ذلك، لقد أغراها بعض الأحيان أن تفضل سلطة دكتاتورية لتفادي عدم اليقين على البناء الصعب الديمقراطيـة، خلال عام 1989، التردد بخصوص مسألـة ميندجي أو مجزرة ميدان تيانات تتركنا في أوهام: الإدارة المزدوجـة لمصالح الديمقراطية على المدى الطويل ومصالح الشركات على المدى القصير ليس أمراً سهلاً.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الباب الرابع

أزمات و تقلبات الإمبراطورية الجديدة

١٣٦٧-١٥٢٠

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الفصل الثامن

التباطؤ الكبير للنمو في الرأسمالية الجديدة
1973 ـ 1983

ارتفاع أسعار النفط أخذ أحياناً على أنه سبب قلب التوجهات الذي أصاب البلدان الرأسمالية الكبرى ابتداء من 1973 وحتى منتصف الثمانينيات.

في الحقيقة ارتفاع سعار النفط كان ردة فعل البلدان المنتجة له على التضخم العالمي وعلى هبوط الدولار، ردة الفعل هذه حدثت في اقتصاد عالمي أصلاً مختل بسبب التناقضات التي تطورت في مرحلة الفترة الذهبية. بتورت ـ بشكل ما ـ كل الشروط [illegible]

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ـ الازمة الصناعية :

كانت الاولى الاكثر عمقاً ، ولفترة معينه مرت دون ان تلاحظ اصلها يكمن فى الضعف المطرد لفعاليلة الراسمالية ، وبقدر ما النمو يتواصل ، توجب توفير راسمال اكثر فاكثر للحصول على نفس معدلات النمو وتحسن مماثل فى انتاجية العمل ، الاختلالات الوضيفية الخاصة بالاقتصاديات الاشتراكية ادت ـ كما رايناه ـ لي زيادة هذا التطور والي اصلاحات متوالية احيانا متناقضة ، والتي لم تنجح بعد حقاً فى استعادة الراسمال من فعاليته ، الراسماليات الاقتصادية قاومت وقتاً اطول ، الا انه منذ متصف الستينيات وفى عدة قطاعات ، انتاجية الراسمال صارت سلبية.

يمكن ان نرى فى ضعف فعالية الراسمال تأكيد الاعتقاد القديم فى العائدالمتناقص ، بالطبع من السهل تحسين انتاجية العمل بواسطة الاستثمارات عندما تكون الانتاجية ضعيفة ، فى الحقيقة ، خلف هذه الملاحظات العادية تختفى عدة ظواهر :

ـ آليات ضعف فعالية الراسمال :

اولاً الخدمات اخذت ، سواء داخل المشروع أو فى المجموع الاقتصادى مكاناً مهماً .

فى الصناعة نسبة الاشخاص الذين مخصصين للانتاج لم تتوقف عن التناقص ، جزء متعاظم من السكان النشطين صار منخرطاً فى نشاطات حذمية ولكن فى الخدمات الفعالية لاتتوقف بشكل رئيسى على اهمية كمية الراسمال .

لقد نُسى ربما سريعاً ان تداول المعلومات هو عنصر حاسم فى تسيير الخدمات ، مضاعفة المعدات من كل نوع لايحسن بالضرورة العلاقة التربوية فى قطاع التربية ، وضخامة القرات الاجتماعية (مقار الشركات) والتركز الادارى فى بنايات وزواية واسعة ليست ألا عائق ان لم تكافح الجهود الادارى .

الاستثمار فى معدات اعلامية (معلوماتية) تدمر العلاقات بين موظف الشباك وزبون المصرف . اذا همش موظف الشباك فى مثل هذه الشروط ، الاستثمار فى الخدمات يمكنه ان يجر الى خفض عام فى فعالية الراسمال . وهذا ما يبدو انه حذت خلال الستينيات .

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الصناعة مع ذلك لم تخلو او تستثنى من الاختلالات دور العائد المتناقص للخطوط الثقنية التى تطورت منذ ما بعد الحرب ، كان فى ذلك حاسماً. وهكذا تم التطور شيئاً فشيئاً نحو معدات اكثر ثقلاً والتى تحافظ على النمو انتاجية العمل ، ولكنها تتطلب راسمالاً اكثر فأكثر ، وتفترض على المدى نمواً استثنائياً واذن مستحيل ، للانتاج فى نهاية الستينيات ، ونتيجة ضرورات الكفاح ضد التضخم ، ايقاف او الغاء برامج بحوث كبيرة سارع فى حذوت الازمة الصناعية ، العبولر من البحث الى تطور ثقنيات جديدة تباطأ فى كل مكان ، فى تلك الحقبة ، العلاقات بين الجامعات والصناعة انهارات نتيجة صراع الاجيال .

مع ذلك توجب منذ تلك الحقبة تسهيل التطور السريع لثقنيات تتطلب راسمال أقل من اجل نمو مماثل للانتاجية ، وتسهيل بشكل رئيسى تداول المعلومات . من سوء الحظ حتى بداية السبعينيات ، ضعف فعالية الراسمال ظلت مختفية بشكل واسع.

ـ اخفاء انخفاض فعالية الراسمال :

اولا فى الولايات المتحدة ، المغالات الهائلة فى الاستثمار المتحققة خلال الحرب لم تكن لها نتائج على عائدية المشاريع ، هذا الاستثمار كان فى الواقع قد تم تمويلة بشكل واسع من قبل الدولة الفيدرالية ، وهذه تبيع باسعار التصفية إلى المشاريع الكبيرة اوالمؤسسات التى كانت تديرها خلال الحرب . العائدية المالية امكن ضمانها وقتاً طويلاً ، المشاريع الامريكية الكبرى امكنها هكذا الاشتثمار فى الخارج ، خصوصاً فى اوربا حيث حتى منتصف السبعينيات ، فوائد الانتاجية ظلت سهلة.

حرب فيتنام بعد ذلك حافظت على طلب مهم بالنسبة للصناعة الاكثر تعرضاً للتهديد بسب انتاجية سلبية للراسمال ، لقد نُسى ، ربما سريعاً ، انه خلال هذه الحرب قد اسقط على فيتنام الشمالية من القنابل اكثر مما اسقط على المانيا خلال الحرب العالمية الثانية ، صحيح ان قذف عابة بالقنابل له فعالية مضحكة بالنسبة لقذف مدينة مثل هامبورج أو بريم .

من جانبه ، ارتفاع الطلب على النفط المدعوم بسعر احتفظ به اصطناعياً منخفض جداً بالنسبة لانواع الطاقة الاخرى (سوف نعرض لهذا فيما بعد)

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

سهل تطور صناعات جديدة وعموماً تلك المؤسسات المستهلكة للطاقة ، بدون السعر المنخفض للنفط فإن تكاليف ابراج مكاتبها كانت ستظهر سريعاً غير ممكنة الاحتمال . السعر الاصطناعي للنفط ادى فى الانظمة الراسمالية الى اخطاء فى تخصيص الموارد.

انطلاقة التظخم فى نهاية الستينيات ، اتاحت الاحتفاظ بالعائدية المالية للراسمال الذى فعاليته الاقتصادية تنهار وكان هذا بالمفارقة فى قطاع الخدمات حيث الفعالية تهبط اسرع بينما العائدية كانت اكبر . فى الواقع ، فى هذا القطاع التخلص من ارغامات السعر اكثر سهولة ، طبية خدمت ما حمايتها واقعياً فى مواجهة الخارج ، خصوصية الطلب ، وشكل المنافسة تفسر الامكانية التضخمية للخدمات ، وهذا الوضع المتناقض .

اخيراً طالما ان معدلات الفائدة تظل منخفضة ، ارتفاع الاسعار يزيد ، من ناحية اخرى ، من التوجه نحو الافراط فى الاستثمار ويسهل الاستدانه وزيادة الخوف من زيادة تكاليف الاجور .

ـ الازمة الاجتماعية :

خلال الستينيات ، وبقدر ما يتوصل النمو فان ادراك نتائجه السلبية صار افضل ، الثنائى عمل واستهلاك فقد سيطرته الاديولوجية ، الاجيال الشابة التى لم تعرف العوز اخذت تعترض على الثنائى عمل / استهلاك ، لقد صارت تتسائل حول غايات النمو ، كما انها حساسة اكثر لتكاليفه وارغاماته . فى نفس الوقت فاننا نشاهد عددة الهيدونيزم (مذهب اللذة) ، البحث عن اللذه كغاية فى ذاتها ، فى مجتمع حيث يسطر التنظيم صارت الزدية قيمة ــ ملجأ ، دفاع عن الفرد فى مواجهة البيروقراطيات من كل نوع ، ضعف الاخلاقيات التقليدية ، الذى يؤدى اليه كل اسرع فى التطور ، ترك الحبل على الغارب للبحث عن الذة ، وهذا ليس من اجل لاشئ او بدون اسباب ، ان الدعاية تستخدم الجنس ، انها تسند فعاليتها الي سلوك تلقائى .

نتائج هذا التغير كانت متناقضة ، بعض يمكنها ان تضع موضع سؤال مجتمع الاستهلاك ، وبالعكس بالنسبة لعدد اكبر فان الاعتراض على النمو يتم من خلال رفض شروط العمل ورفض عدم المساواة الاجتماعية . العمل مطلوب

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ولكن بسعر أغلى ، كيف ، على كل حال ، الفول باجر متواضع بينما وسائل الاعلام تنشر بصورة دائمة انطباقة العينة للحياة افضل؟! نحن مندفن فصاعداً بعيدين عن المطالب الاخلاقية والمثالية . للمرة الاولى ، فضل الاعلام؟! ، يعرف غير المحظوظين كيف يعيش المحظوظون

فى اللحظة التى فيها مكاسب الانتاجية تضعف فان حالة الرفاهية أُرغمت على توسيع حمايتها ، وبالتوازى زاد الاجراء من ضغطهم من اجل رفع الاجور الحقيقية.

هناك تناقص بين فوائد الانتاجية التى تفرض للحفاظ عليها استمارث شيئاً فشيئاً اكبر وأجراء اشد فأشد الحاحاً ، ودولة عناية والتى حاجتها للدخل تزيد . سباق التسلح لم يهدء ، بل بالعكس ، من شهيتها الضرائيبية

ـ الازمة التضخمية : حل زائف لتنا قضات داخلية :

منذ عام 1945 كان التضخم حاضراً فى الحياة الاقتصادية للراسمالية المعاصرة ، انه يلعب فيها ، بقوة مختلفة حسب البلدان والحقب ، دور المخدر والمحفز ، الا يقال « التضخم افضل من البطالة » « ارتفاع معين للاسعار دائماً مفيد » « صحة اقتصاد ما لاتقاس بصحة نقوده » . هكذا التضخم سهل الاستدانة ، سواء عند الاسر والمشاريع والمدن والحكومات ، واكثر من ذلك ، فى نمو إسمى للدخول لاندرك دائماً اننا نتقدم اقل سرعة من الاخرين ، وندع يحسب منا مفاجأة جزء من الزيارة فيها ، زيادة تجري الموافقة عليها بسهولة عندما تكون مستطاعاً استعادتها جزئياً ، منشطاً بواسطة الحفاظ على نمو قوىً وبواسطة الاتفاق الذى يواكبه ، التضخم يحفز بدوره النمو ويجعل تكاليف الاجتماعية مقبولة ، كل شئ كان يمكن استمراره الي مالا نهاية لولا ان كوابح التضخم لم ترتخ فجأة

كوابح التضخم :

حتى عام 1970 ، كان على البلدان الراسمالية ان تعتمد على نمطين من الكوابح : مخفف الصدمات الداخلية والخارجية والسياسية ضد التضخم فى الداخل ، بعض الجماعات الاجتماعية (كبار السن ، المزارعون الصغار ، الموظفين ...) وعموماً كل الذين تزيد دخولهم بسرعة اقل من الاسعار ، يرون

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

قوتهم الشرائية تهبط ، ويساهمون فى هذا فى كبح الطلب ، اذن تخفيض الاسعار . فى الخارج ارتفاع اسعار المنتوجات الصناعية يزيد فى قوتها الشرائية مقابل المواد الاولية والطاقة المستوردة ، هكذا السعر الحقيقي للنفط انخفض 40٪ ما بين الاعوام 1949 و 1970 ، هبوط الاسعار النسبى للمنتوجات الاساسية يسمح فى المدى الطويل ، بابطاء الارتفاع الداخلى للاسعار .

فعل مخفف الصدمات هذا ، بالطبع يجعل السياسة ضد التضخم فعالة ، والتى لاتهدف الى وقف التضخم بل الى إعتدال معدلاته . هذه السياسة استلهمت مباشرة من السياسات التى وضعت للتغلب على الكساء فى اعوام الثلاثينيات . اذا صار الافلاس مهدِّداً ، يكفى ، بواسطة اقتصاديات الموازنة ، ان يكون هناك فائض فى الميزانية ، الحد من اقراض المشاريع ، واقراض الاستهلاك وتحبيط الطلب العام . المشاريع والاجراء ، امام هذا الهبوط المحذت اراءساً ، يضطرون الى خفض مطالبهم سواء على مستوى الاسعار كما على مستوى الاجور . اذا كان هذا التخفيض سوف يذهب الى حد اثارة البطالة ، فأن الحكومة تنتقل من سياسة استقرار الى سياسة انعاش ، والتى هى ايضاً تتم بواسطة فعل مؤثر على مستوى الطلب العام بإتخاذ اجراءات جذرياً عكس الاجراءات الاولى.

ــ التضخم بدون كوابح :

شيئاً فشيئاً ، المجتماعات الراسمالية تعايشت مع التضخم ، كل مجموعة اجتماعية وجدت الوسائل لضمان نفسها ضد التضخم بقدفه على المجموعات الاجتماعية الاخرى .

مخففات الصدمات الداخلية اختفت بالتدريج ، اكثر من ذلك المجموعات المسيطرة ، كأن يتعلق الامر بالمشروعات او بالأجراء تعلمت التمسك بمطالبها

« ارتفاع اسعار ، او ارتفاع اجور » حتى وان كان الطلب يهبط والبطالة تزيد . خطط الاستقرار اذن سارت لها نتائج محدودة ، لأن السعر يرتفع حتى عندما يهبط الطلب . خلال بعض الوقت ، بلدان العالم الثالث لم تتحرك وكانت هكذا الخاسر الكبير ، ردة فعل منتجى النفط ، الذين فى نهاية عام 1973 تاروا ضد هذه الوضيفة ، مستفيدين من حالة راهنة فى صالحها ، جعل فعالية مخففات الصمدمات الخارجية تختفى .

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

امام هذه الوضيفة ، الحكومات فى كل مكان تحركت بتطبيق العلاج القديم للكفاح ضد التضخم ، وحاولت كبح الطلب ، وبهذا كبح النمو ، نمو اقل يعنى تقليل قدرة المشاريع والاجراء على الحفاظ على نصيبهم فى الصراع على تقاسم مكاسب الانتاجية .

من سوء الحظ ان نمو أقل يعنى ايضا مكاسب انتاجية اقل ، ولكن المشاريع كانت قادرة على الحفاظ ، ان لم يكن على رفع ، اسعارها حتى عندما ينهار الطلب . من جهتها لم يعد للبطالة النتائج الحاسمة على ارتفاع الاسعار ، كل خفض لنسق النمو يختزل هكذا الى اشتداد التضخم عام 1973 . فى بداية اعوام الثمانينيات ، دخلنا فى « الكساد التضخمى » « اتحاد التضخم مع الكساد»

التضخم الازدهارى لنهاية الستينيات محاه تضخم كسادى والذى فى البلدان الصناعية الكبيرة ، استمر ، واحيانا تسارع حتى بدايات اعوام الثمانينيات والتقى بصعود البطالة .

2 ـ من الازمة المالية العالمية الى حرب النقود :

لكى يتطور ، يفترض التبادل وسائل دفع ، هذا صحيح سواء فيما يتعلق بالتبادل داخل مجتمع او ما يتعلق بالتبادل الدولى . واذا كان خلق وسائل دفع معترف بها من الجميع فى داخل مجتمع ما منذ زمن طويل ، إلا ان الحال ليس على هذا النحو فيما يتعلق بالتبادل الدولى ، العلاقة الوثيقة جداً بين سلطة الدولة الوطنية وبين نقودها لا يسهل ابداً اقامة عملة دولية .

التدويل المطرد للمجال العالمى الذى اتاحه تطور الراسمالية وتقسيم المجال العالمى بواسطة النقود الوطنية صار احد تناقضات الراسمالية الرئيسية.

ـ البحث عن مسكِّن فى غياب عملة دولية :

فيما مضى ، الذهب المتداول داخل كل امة ، يمكن ان يستخدم كابديل لنقد دولى ، الا انه يجب ان نُخضى ، الذهب المتداول فى الخارج ليس نقداً دولياً حقيقياً ، له سعر معين يعبر عنه فى نقود متنوعة . حتى فى التبادل الدولى فى الزمن الغابر ، كان الذهب يوزن ولايعد ، وبسرعة كافية تمت اقامة انظمة تعويض بين الديون واعتمادات كل امة ، والصافى فقط يمكن ان يحول على شكل ذهب . هكذا تم انشاء ما يُسمى قاعدة الذهب .

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

من سواء الخط . عندما يتطور التبادل سريعاً ، ليس القاعدة الذهب المرونة الازمة ، وايضاً ابتداء من عام 1870 . تم في الواقع استبدال قاعدة الذهب بقاعدة الاسترليني ، بمعنى اخر استخدام العملة الاكثر قوة. عندما لاتوجد عملة دولية فان عملية الاكثر قوى هي التي تفوز بعد عام 1920 ، وفي لحظة تدني القوة البريطانية ، وحيث ظهرت قوة اخرى مسيطرة « الولايات المتحدة » دخلنا في نظام حيث عملتان معترف بهما لمعادلتين للذهب ، وسمي هذا قاعدة تبديل ـ ذهب . اختلاله كما راينا اح اسباب ازمة 1929 .

هناك فرق كبير ، في الواقع ، بين قاعدة الاسترليني وقاعدلة تبديل ـ ذهب . في حالة قاعدة الاسترليني لما قبل 1914 ، المصارف الخاصة تصدر استرليني مصرفي على حسابها وعلى مسئوليتها ، مع قاعدة تبديل ـ ذهب لسنوات العشرينيات ، مص رف انجلترا والمكتب الاتحاد للاحتياطي ـ الامريكي ـ يلتزمان بإعطاء الذهب بمعدل ثابت مقابل كل ممتلكات نقدية في عملة بلديهما في حوزة اجنبي . وبمعنى آخر الاسترليني والدولار المتداول خارج بلديهما الاصليين كانا رسمياً معادلين للذهب ومضونين من قبل جهة اصدارهما . لقد راينا التمزق والتخبطات التي ادى اليها هذا النظام ذي العملتين الدولتين (ان لم يكن ثلاثه اذا اخذنا الذهب في الاعتبار) .

بعد عام 1945 ، مؤتمر براتيون وودز ، حاول اقامة نظام نقدي دملي جديد ، نظريا اعاد قاعدة الذهب ، وصاحبها باجراءات كان يتوجب ان تسهل عمله ، لقد اسس شكلامن « درج النقود » يدار بواسطة مؤسسة جديدة هي F.m.i (صندوق النقد الدولي) . يجب على كل بلد التنازل لصندوق النقد الدولي عن بعض من ذهبه وبعض عملتها ، وكل بلد ، اذا وقع في صعوبة ، له حق الاقتراض من الصندوق السيواة التي يحتاجها ، القدرة على الاقتراض تكون بالتناسب مع ما قدمه. هذه القاعدة ، المسماة « حصة » محسوبة طبقاً لثروة كل بلد . صندوق النقد الدولي موجود دائماً ، ابتداء من عام 1968 ، سمح له بان يوافق على قروض في شكل عملة محاسبية صادرة وفقاً لقواعد صارمة جداً (D.T.S) أو حقوق السحب الخاصة ، في الواقع النظام المؤسس في براتيون وودز لم يلعب ابداً إلا دوراً هامشياً . في الوقائع تم الرجوع الي قاعدة تبديل ـ الذهب ، على النمط الامريكي ، ثم في بداية السبعينيات إلى قاعدة ـ الدولار المخصصة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

في الواقع ، منذ خطة مارشال ، والتي منحت بقية دول العالم قروضاً بالدولار وليس بالذهب ، وبضمانها ، حتى عام 1968 التبديل في معدل ثابت (35 دولار أوقية الذهب) أعادت الولايات المتحدة، في الواقع العمل بقاعدة تبديل ـ ذهب وفي الحقيقة في غياب سلطة سياسية دولية فإنه من الصعب تفادي مثل هذا النمط من الانحراف.

في غياب القانون فإن قانون الأقوى هو الذي يسود.

ـ من قاعدة تبديل ـ ذهب إلى قاعدة الدولار:

بالطبع اللجوء إلى عملة الدولة المهيمنة يفترض أن هذه الدولة تقبل بطريقة أو بأخرى، وضع عملتها تحت تصرف بقية دول العالم. بوضوح. هذا يعني أن الدولة التي عملتها تستخدم كوسيلة دفع دولية تقبل أن تكون ذات عجز مالي، وهذا منطقي جداً، لأنه أن سمات هذا البلد عنده فائض فإن الممتلك من عملتها والتي في حوزة الأجانب تعود إليها ولا تستطيع التداول في باقي انحاء العالم، عجز البلد المهيمن هو ضمان وفرة وسائل الدفع الدولية.

هذا الرهان، بالطبع بالمضاربات، ابتداء من اللحظة التي فيها الدولار في حوزة الأجانب يتجاوز كمية معينة، هذا هو العنصر الذي سمح بالعودة إلى قابلية التحويل للنقود، المضاربات يمكن أن تبدأ، في الواقع منذ النصف الأول للستينيات، وبينما كانت الولايات المتحدة ضامنة تبديل كل دولار بمعدل ثابت 35 دولار لكل أوقية ذهب، صار واضحاً أنها لم تعد قادرة على تسديد كل دولار في حوزة باقي العالم مقابل الذهب قيمة الذهب الذي في حوزة المكتب الاتحادي للاحتياطي هي في الواقع أقل من مجموع الدولارات التي في حوزة بقية العالم. آجلاً أو عاجلاً سعر 35 دولار لأوقية الذهب توجب التخلي عنه. كل الذين يملكون الدولاء حاولوا انذاك تبديله مقابل الذهب، عام 1968 بدات الحكومة الأمريكية بأن رفضت اعطاء الذهب إلى الخواص بمعدل ثابت، ولم تعد تعتبر نفسها ملزمة إلا نحو المصارف المركزية، عام 1970م عدم قابلية تحويل الدولار مقابل الذهب امتدت لتشمل أيضاً المصارف المركزية، المضاربون يبحثون على الحصول على عملة يمكن تبديلها بمعدلات ثابته، جرت محاولة تعويم الدولار وزيادة قيمة العملات الأخرى، في الواقع ابتداء من عام 1972

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

صار الدولار عملياً غير قابل للتحويل، مقابل دولار، المكتب الاتحادي للاحتياطي، يلتزم بألا يقدم إلا دولار آخر. هكذا ندخل في قاعدة الدولار. إقامة قاعدة الدولار هذه جاءت متواكبة مع تطور تبادل عائم. تحديد معدلات التبادل لم يعد يتوقف على ضمان من السلطة النقدية، إنه ينتج عن العرض والطلب لكل عملة في أسواق تبديل العملة، إذا عرض كثرة من الدولارات وقليل منها مطلوب فإن سعر الدولار يهبط، وفي الحالة المعاكسة سعره يرتفع.

نظرياً، عندما تدفع المضاربات عملة إلى الارتفاع، تأتي لحظة حيث الشك يسيطر على المضاربين، ولكي يحققوا مكاسب فإنهم يتجهون إلى البيع قبل أن يحدث الهبوط. بالتصرف على هذا النحو، فإنه من الممكن أن يثيروا انقلاباً، والذي بدوره يتوقف عندما يبدأ المضاربون في الشك في استمراريته، معدل التبديل العائم يتوجب عليه إذن أن يتيح تأرجحات، نسبياً ضعيفة، حول معدل تبديل متوسط. من سوء الحظ أنه من النظرية إلى التطبيق المسافة طويلة.. في الواقع، العوامل التي تحدد العرض والطلب بالنسبة للدولار، لم يكن بالامكان السيطرة عليها.

ـ من قاعدة الدولار إلى خطر الانهيار المالي العالمي:

عدم قابلية الدولار للتحويل سهلت تطور العجز الخارجي الامريكي، والذي هو نفسه ما سمح في السبعينات، بمواجهته السريعة لقيمة التبادل العالمي الناتجة عن التضخم الدولي والارتفاع العنيف لأسعار النفط. العجز المتراكم في الولايات المتحدة منذ عام 1945 انتقل من 43 مليار دولار عام 1970إلى 110 مليار عام 1974م، وأكثر من 500 مليار دولار عام 1981. وجود هذه الكمية من الدولارات خارج الولايات المتحدة، وخلق الدولارات الخارجية جر شيئاً فشيئاً إلى انحراف جديد. في الواقع منذ اللحظة التي فيها كتلة الدولارات المملوكة لعملاء اقتصاد ليسوا امريكان تكون مهمة، فإنه يوجد في كل لحظة عدد ما من «الخزائن» بالدولار غير المستخدم. هكذا تطور خلال أعوام الستينيات شكل من سوق «الخزائي» المتوفرة: سوق الدولار الأوروبي الذي تديره مدينة لندن. بعد عام 1974، اشتداد العجز الامريكي ووفرة الدولار عند البلدان المصدرة للنفط جاءت الرساميل بكثرة لتساهم في تغذية هذا السوق. وفي حالة أنها تعرف أن باستطاعتها في كل لحظة الحصول على الدولار

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

فإن المصارف الواقعة خارج الولايات المتحدة صارت تمنح قروضاً بالدولار، النظام المصرفي العالمي، وقد حقق وحدته، صار يعمل، منذئذ فصاعداً، كما لو كان نظاماً مصرفياً دولياً، يخلق الدولارات من خلال القروض. القروض تصنع أرصدة والمصارف التي تواجهها صعوبات خزانية تجد الدولارات في سوق الدولار الأوربي.

الولايات المتحدة، اعتمدت هذا الوضع، بقبولها، في بداية عام 1974 أن تمنح فروع المصارف الأمريكية الواقعة خارج الولايات المتحدة قروضاً بالدولار وليس بعملة البلد حيث هي موجودة.

عام 1970م وصلت 100 مليار دولار، وعام 1976 تجاوزت 600 مليار دولار، عام 1981 وصلت 1500 مليار دولار.

ـ من هبوط الدولار إلى ارتفاعه

هذا الخلق للدولار كان يجب أن يقود أولوياً إلى سقوط الدولار، وهذه كانت الحالة حتى نهاية السبعينيات. إلا أنه ابتداء من بداية الثمانينيات فإننا نشاهد هوساً حقيقياً على طلب الدولار. سنرى أن هذا الهوس كان نتيجة صدمة نفطية ثالثة.

حجم التصدير العالمي الذي كان عام 1970 يبلغ 321 مليار، وعام 1973 وصل 516 مليار، تجاوز عتبة 2000 مليار عام 1982، وبالتوازي الشركات المتعددة الجنسية زادت من استثماراتها ومن حركة الرساميل.

حاجة بلدان العالم الثالث لمواجهة فاتورة النفط ومن أجل تطوير اقتصادها زادات كثيراً، مديونية العالم الثالث انتقلت من 70 مليار دولار عام 1970 إلى 825 مليار دولار عام 1984. تضييق الاقتراض بالعملة الوطنية دفع الشركات والمدن إلى الاقتراض بالدولار. حكومة الولايات المتحدة متورطة في سياسة تسلح وتخفيف الضغط الضريبي راكمت العجز في الموازنة.

من حوالي 60 مليار دولار في نهاية رئاسة كارتر، انتقل العجز في الميزانية الأمريكية إلى أكثر من 200 مليار دولار عام 1983. الإدارة الأمريكية رفضت تمويل هذا العجز بخلق دولارات تصدر عن المكتب الاتحادي للاحتياطي، أدى

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

ذلك إلى الحفاظ على معدلات فائدة عالية، وجـذب إلى الولايات المتحدة وجزء من الدولارات التي في حوزة بقية العالم.

هذا الوضـع، جعل اقراض العالم الثالث بـالدولار أكثر فأكثـر صعوبة، وأكثر فأكثر غـلاء، والبلدان الأكثر مديونيـة، وجدت صـعوبة بالغـة في مواجهة خدمات الـديون (فوائدها) كما لم يعـد بإمكانها الحصول على قـروض جديدة، المصـارف الأكثـر تورطاً معها مهـددة بأن ترى جزءاً من مستحقـاتها تتلاشـى. وانهيار مالي مماثل لذلك الذي حدث عام 1929.

هذا الوضـع أدى إلى الوضـع موضـع سئوال الاقتصـاد المكشـوف، القروض الممنوحة من المصـارف لبلدان في طريقهـا إلى النمويمكن أن تؤدي إلى افلاس هذه المصـارف وفي حـالة افلاس البلدان الأكثـر مديونيـة اجراءات عاجلـة تم اتخاذها لتفادي هـذا الحل، قروض ملحقـة منحت، وفترات الاستحقاق أُجلت. وهـذا لن يفعل، كما سنرى، إلا جعل المشكلات التي تطرحها المديونية على المدى أكثر حدة، وبالتوازي اخذت المصـارف تنسحب على أطـراف الأصابع، من السـوق المالي [illegible] عام 1982 القروض الأوربيـة كانت تمثل 59٪ من نشاط هـذا [illegible] 198[illegible] لم تعد تمثل إلا 25٪ [illegible] بدلاً من منح القروض [illegible]

[illegible]

ـمن الريع [illegible]

هذا الـوضع [illegible] حفاظ على فائض إنتاج اصطـ[illegible] منذ 1928، وبـواسطـ[illegible]ـه، الشركـات الكبرى صنعت عائلـة [illegible]

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

تيكساس بأن جالون النفط الذي يباع في نيويورك يكون له نفس السعر سواء جاء من تكساس أو من فنزويلا أو من الشرق الأوسط حتى عام 1955، كارتل السبع أخوات [illegible] المنتجة يستفيد من ريع نفطي (الفرق بين تكاليف الإنتاج [illegible] وتكاليف الإنتاج للآبار الهامشية [illegible] فإن الكارتل يحقق من بترول الشرق الأوسط، [illegible] هبوط عام في [illegible] إنتاج [illegible]

[illegible]

[illegible] الطاقة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

في وسط عام 1960 بدات مع ذلك تظهر توترات العوز، هوس النمو العالمي انعكس على سوق النفط في الوقت الذي فيه إغلاق قناة السويس يطرح مشكلة تقنية تتعلق بالامدادات، ركز الخبراء على خطر أنهار الابار، اشتداد التضخم في البلدان الصناعية، وهبوط اسعار الدولار دعهم تماسك البلدان المنتجة للنفط التي اخذت تطالب بزيادة اسعار البرميل.

مطالب البلدان أعضاء .o.p.e.p (منظمة البلدان المصدرة للنفط) والتي تأسست في سبتمبر 1960، أمكنها التحقق. مستغلة حرب كيبور (حر رمضان) وموافقة الولايات المتحدة الضمنية (هذه تأمل في ذلك الوقت أن ارتفاع أسعار النفط سوف يشجع انعاش الدولار، ويتيح عائدية أبارأخرى جديدة). بلدان الاوبين حصلت على زيادة محسوسة للضرائب عند الإنتاج.

وبمعنى آخر، جاعلة علاقات القوة لصالحها، بلدان الأوبيب تحصلت على جزء من ربعي النفط، البلدان المستهلكة للنفط من جانبها رفضت تخفيض ضرائبها، إنها تمثل بالنسبة لها موارد من الصعب إيجاد بديل لها أو وسيلة من أجل كبح استيراد منتجات النفط. أسعار المنتجات النفطية عند الاستهلاك قفزت. وبعد فترة طويلة من الطاقة الرخيصة، دخل العالم في مرحلة الطاقة الغالية.

ـ الصدمتان النفطيتان الأوليتان ونتائجهما:

منذ عام 1973 عرض العالم في الواقع ثلاث صدمات نفطية الأولى عام 1973، إنها ترجع إلى الأوبيب O.P.E.P التي تسيطر على ثلثي الإمدادات الدولية تقريباً. الأوبيب تمكنت في تلك الحقبة من إثارة ارتفاع عنيفي للسعر العالمي.

أسباب الصدمة الثانية أكثر تعقيداً ـ 1979 ـ 1980م

صحيح لعبت فيها الأوبيب أيضاً دوراً حاسماً، ولكن في الواقع نحن نشهد منذ عام 1976 هبوطاً جديداً في الأسعار النفطية، إلا أن حدثين سهلا الأسعار:

الحدث الأول: الثورة في إيران والتي تبعتها سريعاً الحرب بين العراق

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
وإيران. أحد أكبر مصدرين للنفط في العالم يرى إنتاجه يعاق بشكل كبير. أكبر مصفاة دولية (عبدان) دمرت، والعربية السعودية توجب عليها زيادة إنتاجها لتفادي قطع الإمدادات.

الحدث الثاني: هو تغير السياسة الأمريكية، بعد إنذار عام 1973 ولكي تتفادى انهاك مواردها الوطنية، فإن الولايات المتحدة اتخذت إجراءات والتي قادتها إلى استبدال إمداداتها من مصادرها الوطنية بالاستيراد. وخلال بضع سنوات صارت المستورد الرئيسي في العالم. عام 1970 الاستيراد يغطي 21٪ من حاجاتها من منتجات النفط، هذه النسبة صارت 46٪ عام 1977م.

بعد بداية الصدمة الثانية، التعديل العالمي، المتعلق بالطاقة تسارع، ومكانة الأوبيب في الإمدادات النفطية انهارت سريعاً. أما الولايات المتحدة فقد رجعت إلى سياسيتها السابقة. شدة الصدمة الثانية ترجع إلى الارتفاع السريع لسعر الدولار بينما سعر النفط المعبر عنه بالدولار يهبط، وحجم التجارة الدولية من النفط يشهد انخفاضاً، فإن التهاب العملة الأمريكية جعل تكاليف الفاتورة النفطية غالية. وهكذا تكبدت البلدان المستوردة للنفط صدمة نفطية جديدة، الأزمة النقدية الدولية هي السبب الرئيسي وراء شدة ومدة الصدمة الثانية. مهما كانت أسبابها فإن صدمة النفط الأولى والثانية كانت لهما نتائج من نفس النوع.

أولاً: ارتفاع اسعار النفط ترجم بانهيار القوة الشرائية للمستهلك والأثر الركودي لهذا الانهيار كان مهماً حيث إن التداول النقدي الداخلي هبط بسبب ارتفاع تكلفة فاتورة النفط. وخلال الصدمة الثانية ظل الأمريكان وحدهم بمنجاة من ذلك.

وبعد ذلك إرتفاع أسعار النفط قوى التوجهات التضخمية، كل يريد استرجاع قوته الشرائية. هناك تضخميات داخلية لارتفاع أسعار النفط.

أخيراً ارتفاع الفاتورة النفطية، حث كل المستوردين لكي يتمكنوا من تسديدها، نحو زيادة تصديرهم، وفي الوقت الذي نشاهد فيه تباطوءاً في النمو العالمي استمر التصدير العالمي يزداد في الحجم بالطبع في القيمة، الانفتاح، وبهذا نفسه (ضعف) الاقتصاديات الوطنية بالنسبة للخارج زاد نسبياً.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

نلاحظ أن الفاتورة النفطية أدت ببلدان العالم الثالث إلى زيادة إنتاجها القابل للتصدير، وشوهت أكثر اقتصادها، إلى المديونية مرتبطة بارتفاع أسعار النفط انصاف ذلك إلى ما يتطلبه التصنيع. ارتفاع أسعار النفط هو هكذا أحد أسباب الهشاشة الحالية في نظام النقد الدولي.

نلاحظ أيضاً حتى عام 1981، فائض البلدان النفطية سمح بتدوير الدولار وهكذا تطور سوق نفس الدولار.

ـ نحو أول تعديل في الطاقة:

اليوم التناقضات التي كانت في أساس صدمتي الأوليتين فقدت قوتها، لم يكن هناك انسجام في المصالح الحاضرة، ولاحتى في خفض الخلل الوظيفي، ولكن تخلص نسبي من التبعية النفطية.

لقد تم الانتقال من العوز إلى الوفرة بخفض نصيب النفط من إمدادات الطاقة العالمية، وكذلك انهيار محسوس جداً لأهمية الأوبيب في إمدادات النفط.

عام 1973، النفط يمثل حوالي 47٪ من استهلاك الطاقة عالمياً تقترب اليوم من 40٪. مصادر جديدة للطاقة ثم العثور عليها، وسياسات التقشف في استعمال الطاقة بدات تطرح ثمارها، في المجموع الاستهلاك العالمي للنفط انخفض 70٪ ـ 12٪ ما بين 1982 ـ 1979 ـ وحجم استيراد الدول الصناعية الرأسمالية انخفض 32٪.

وبالتوازي حصة الأوبيب في الإنتاج العالمي انتقلت من 54,2٪ عام 1973 إلى 44٪ عام 1979 و 34,2٪ عام 1982 وصارت أقل من 30٪. وأخيراً فوق كل شيء ،نمو البلدان الصناعية الكبرى صار أقل فأقل استهلاكاً للطاقة. صحيح تباطوء النمو كان له أثر في هذا التطور، لكن سعر النفط حث على الاقتصاد. هكذا خف وزن السيارات، وصارت المحركات أقل استهلاكاً للوقود، التقنيات الجديدة سمحت بإلغاء جزء من نقل الحركة الميكانيكي. في المناسبة بين الطاقة والمعلوماتية فإن المعلوماتية ربحت السباق. ارتفاع اسعا ر عامل نادر أثار تركيباً جديداً لموارد نادرة، إذا كانت أزمة النفط قد جعلت الأزمة التضخمية شديدة في سنوات السبعينيات، فإنها شجعت على التعديل الصناعي لسنوات الثمانينيات.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

4 ـ من تباطوء النمو إلى انفجار البطالة:

اجتماع الأزمات الداخلية والخارجية، خلال السبعينيات وحتى الثمانينيات أدى إلى تباطؤ النمو.

السبب المباشر لتباطؤ النمو هو تشدد الأرغامات الخارجية.

الأرغامات الخارجية تجبر الحكومات على تمويل النمو وتمنعهم من انعاش الاقتصاد. كل استبعاد للتضخم يؤدي، في وضعية تحلل النظام النقدي العالمي. إلى مضاربات نقدية، والتي تزيد في تكاليف الفاتورة النفطية. وعموماً في المستورد الضروري، أو أيضاً في فوائد الديون، وبالتوازي صعوبات النمو العالميتمنع التصدير من التمتع تماماً بالنتائج المخفزة لتخفيضات العملة. تخفيض العملة لا يفيد طبيعة التضخم تدفع الحكومات، التي تحاول إيقاف التضخم، إلى تقوية سياسة التقشف حتى يتوقف النمو. وعندما تريد انعاش الاقتصاد، يفترض فتح الحدود إن الاجراءات تكون خجولة جداً، السياسة الكنزية القديمة، تحد من الاستيراد، وتشجع أحياناً المشاريع الأجنبية أكثر من المشاريع الوطنية، صحيح أن البيع في الأسواق الخارجية يجري أحياناً حسب التكاليف الهامشية، شيئاً فشيئاً انجرت الحكومات هكذا إلى ترك البطالة تستقر، أو الأسوأ، إلى خلق البطالة. كل سياسة وطنية أوربية أو دولية والتي تشجع استيعاب ارغامات الخارجية في نفس الوقت يمكنها أن تشجع العمل.

إلا أن الأسباب المباشرة لتباطؤ النمو وللبطالة تتولف مع سبب أكثر عمقاً وأكثر ضرراً.

الأزمة الاقتصادية، يصاحبها وخصوصاً في البلدان المصنعة القديمة انهيار لبعض الفروع (صناعة الحديد، الميكانيكا، بناء السفن، النسيج) صحيح أنشطة جديدة تظهر، ولكن الأعمال التي تخلقها لا تعوض الأعمال الضائعة.

يجب في الواقع أن نفهم جيداً كيف تزيد فرص العمل:

ارتفاع صافي فرص العمل يفترض من ناحية مكاسب إنتاجية مهمة ومن ناحية أخرى استخدام هذه المكاسب في خلق فرص عمل رخيصة، عمل ما يمكن

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
أن يُلغي نتيجة ارتفاع الإنتـاجية، ولكن هذا الغاء يمكن أن يعـوضه خلق فرص عمل كثيرة في رفع آخر، هكذا تطـور الخدمات (خاصة أو عمومية) كـان مرتبطاً بشكل واسـع بتطور الإنتاجية في الابتدائي والثانوي.

لنلاحظ أن هذا الانتقال للإنتـاجية يمكن أن يتحقق تحت أشكال مختلفة: ارتفاع الأسعـار، ارتفاع الخصم الاجبـاري، انخفاض الأسعار. هـذه الآلية، في جزء منهـا، شُلت خلال السبعينيات نمو ضعيـف يؤدي تقريباً آليـاً أي مكاسب إنتاجية ضعيفة. يوجد اليوم أعمال كثيرة لا تتوقف على مستوى الإنتاجية (مثلاً أهمية الأشخـاص الإداريين في مشروع ما). العمـل لا ينهار بـالسرعة الـلازمة للحفاظ على مكاسب الإنتاجية هذه المكاسب هي التي تختفي.

في اطار اقتصاد أكثـر فأكثر انفتاحـاً، ومتكبداً أرغامات خـارجية مهمة، جزء من مكاسب الإنتاجية يستخدم من أجل محاولة فتح أو الاحتفاظ بالأسواق الخارجيـة. مكـاسب إنتـاجيـة تحول إلى الخارج تحت شكـل خفض الأسعـار النسبي أو هبـوط حد التبـادل، في حالات أخـرى مكاسب الإنتـاجية تستخـدم مباشرة أكثر لأنقاذ فرص العمل في الفروع التـي ظهرت فيها مكاسب الإنتاجية ولكن في هذه الفروع، خلق أو الاحتفاظ بفرص العمل يكون أكثر غلاء منه في تلك التي كان يمكن أن تحول إليها مكاسب الإنتاجية.

صعود البطـالة، يفترض من نـاحية أخرى استخـدام جزء من مكـاسب الإنتـاجية في تمويل مخصصـات البطالـة. هـذه المخصصات تجعل مـن الممكن تفادي انهيار الطلب، وإذن الأسوأ أنها لا تسهل تطور نشاط جديد وهذا يصدق على كل الاجراءات، مثل الأشكال المختلفة تنخفـض ساعات العمل، الذي يحاول وضعه موضع التنفيذ اصلاح اجتماعي للبطالة.

ومن جهتها، خلـق فرص العمل في الأنشطة الخدميـة القائمة صـار أكثر فأكثر غلاء، يجب توفير معدات أكثر فأكثر من أجل خلق فرص عمل في الإدارات والمصـارف، والصحـة.. وأكثـر من ذلك الأجـراء في هـذه الأنشطـة يتمتعـون بوضعيـة وبأجور أحيانـاً أعلى منها في الصناعـة. شيئاً فشيئاً، في أغلـب البلدان المصنعة، تقترب البطالة وأحياناً تتجاوز عتبة 10٪ من السكان النشطين، البلدان

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
التي نجحت أفضل في الحفاظ على التضخم والتخلص من الارغامات الخارجية، وحدها التي ستشهد معدلات بطالة أكثر انخفاظاً.

المعدل العالي للبطالة أضعف الاجراء في محاولة اقتسام مكاسب الإنتاجية، وسهل كما سنرى، التعديل التضخمي وانتعاش الأرباح.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الفصل التاسع

تعديلات الرأسمالية الباحثة عن نمو جديد
1985 ـ 1990

طول مدة تباطؤ النمو في البلدان الصناعية الكبرى، أدى إذن إلى سلسلة من التعديلات. هذه التعديلات تحققت في الظاهر بالعودة إلى الليبرالية وإعادة تكوين الأرباح.

هل هذا يعني أن الرأسمالية الجديدة المتصنعة بالتنظيم الجماعي الخاص، وأن تدخل الدولة صار من الآن فصاعداً في خبر كان؟.

بالطبع لا. اللجوء إلى الليبرالية لم يكن مجرد عودة إلى مبدأ دعه يعمل دعه يمر، مع مكافأة تتمثل في الغاء دولة العناية، اللجوء إلى الليبرالية بالعكس يقع في اطار رأسماليات عهد التنظيم. لقد جرت أساساً محاولة إدخال بعض المرونة الاقتصادية في الرأسمالية الجديدة المعاصرة، دون الغاء خصائصها الأساسية. هكذا يمكن أن نتحدث عن ليبرالية جديدة وليس عن ليبرالية. وعلى كل حال، في كل ارمات التي ذهب فيها التعديل بعيداً في اتجاه الليبرالية في معناها القديم، فإنه أثار ظهور أو قوّى تناقضات، إذا هذه التناقضات لم يتم استيعابها في السنوات القادمة فإنها يمكن أن تكون أساس أزمة قطع في نهاية هذا العصر.

1 ـ اللجوء إلى الليبرالية:

في السبعينيات، فشل السياسة ضد الدورية الكنزية فتح الباب لعودة الليبرالية. هذه السياسة تنطلق من تصور غير نقدي للتضخم وفق هذه السياسة، زيادة الطلب على العرض هي التي تخلق التضخم إذن تخفيض الطلب يجب أن يؤدي إلى تهدئة الالتهاب . لقد رأينا أنه في مجتمع نظّم نفسه يعيش في تضخم، هذا لم يعد يكفي. التصور الكنزي عن تحديد الأسعار والأرباح كان

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

يمكنه أن يتيح الوضع في الممارسة لسياسة أخرى: تلك التي تقوم على سيطرة إرادية على الدخول، الركود التضخمي يستدعي إذن ليس دولة أقل، ولكن دولة قوية. التوازنات الاجتماعية (علاقات القوى) لا تسمح في أغلب البلدان بوضع سياسة الدخول في الممارسة العملية، المخرج الوحيد وجد في المرور بواسطة الركود الذي ينهك قوى المشاركين في اقتسام دخول ومكاسب الإنتاجية. الانكماش (عكس التضخم) يظهر عندما أهمية البطالة، تعب المساهمين. تفتت الأوبيب يحطم قدرات الصراع عند الفاعلين.

إلا فشل السياسة الكنزية وضع في مرتبة الشرف الدولةالأقل (أي أقل تدخل). والكساد صار يرجع إلى تركيبه من السياسات النقدية وتلك المترتبة عن سياسات العرض.

ـ حياد أكثر في تدخل الدولة:

التجديد الليبرالي هاجم أولاً مبدأ التدخل الكنزي، الهجوم قاده النقديون (أصحاب النظرية النقدية) هناك العديد من المدارس النقدية بعضها أكثر قرباً من كينز، وأخرى ذات ليبرالية متطرفة. في الواقع شيئاً فشيئاً تكون تصور نقدي وضع في الممارسة من قبل السياسة وببساطة أكثر يمكن القول أن النقديين يعتقدون أن فشل كينز مرتبط بتصور زائف عن التضخم. بالنسبة لهم التضخم أساساً ظاهرة نقدية، إذا كان هناك ارتفاع في الأسعار فذلك لأن هناك نقود أكثر من اللازم، عندما تكافح الدولة قصور البيع بالانفاق أكثر وبخلق النقود فإن هناك تحفيز للإنتاج. هذا الارتفاع يكون بطيئاً بينما تأثير زيادة كمية النقود على الأسعار يكون سريعاً. الأسعار ترتفع، القوة الشرائية تضعف وتحفيز الإنتاج بواسطة الطلب يكون أقل من المتوقع. الفاعلين الاقتصاديين يفهمون سريعاً هذه الظاهرة. عندما تتدخل الدولة من جديد فإنهم لا يدعون أنفسهم يؤخذون بالوهم النقدي أنهم يكتفون بزيادة أسعارهم، البطالة والتضخم عندئذٍ يتواكبان.

للعودة إلى وضع أكثر سلامة، ولايقاف التضخم، يقترح النقديون إذن حياداً أكثر في تدخلات الدولة. هكذا الفاعلون الاقتصاديون يمكنهم اتخاذ قرارات دون الوقوع في الاوهام التي يخلقها تدخل السلطة العامة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

اننا نجد في أساس الوصفة النقدية المسلمة الليبرالية بعقلانية الفاعلين الاقتصاديين تحت ضغط المنافسة وإرغامات السوق.

ـ تدخل أقل من السلطة العامة:

النقديون يريدون إجبار العملاء الاقتصاديون على أخذ قرارات تحت إرغام نقدي قوي، أنهم يريدون هكذا اجبارهم على التصرف بعقلانية. أنهم بشكل ما الأباء الذين يقرعون الليبرالية السوط. لقد رأينا أنه في البلدان الشرقية، غياب الإرغامات النقدية كان العالم الذي أفسد أن لم يكن منع قيام اقتصاد السوق.

إلا أن تجديد أو بعث السياسات الليبرالية قد ذهب إلى أبعد من تقوية الإرغامات النقدية وحياد التدخل العمومي (السلطة العامة) بالنسبة لقرارات الفاعلين الاقتصاديين.

في نهاية السبعينيات، رأينا تتطور إرادة خفض الانفاق العام، وعموماً خفض مكانة التدخلات العامة في كل أنواعها في الحياة الاقتصادية. إن منظري اقتصاد العرض هم الذين دافعوا بشدة عن «دولة أقل».

نقطة ارتكازهم في الرأي العام كانت ثورة حقيقية في أوساط المساهمين، بقدر ما تصير دولة العناية أكثر حماية وبقدر ما يتضاعف الانفاق العام في كل الأشكال، فإن الخصم الإجباري يرتفع حتى يأتي الوقت الذي فيه إيراد ما كان نتيجة مكاسب اجتماعية هامة يدرك على أنه نهب غير مقبول من دخول كسبت بعدالة أوعدلاً.

ـ فعالية وحدود البعث الليبرالي:

السياسات العينية التي وضعت في التطبيق، خصوصاً ابتداء من نهاية السبعينيات، كانت خليطاً من وصفات نقدية ومن تلك الوصفات التي قدمها أصحاب اقتصاد العرض. وصفة الحزم النقدي عند النقديين، التكاليف الرئيسية للخروج من التضخم، إلى اقتصاد العرض، وتلك عن الانعاش الاقتصادي بتحرير العرض فإننا نقهر البطالة التي تهدد باتخاذ اجراءات ذات حزم نقدي. تاتشر في بريطانيا، وريقان في الولايات المتحدة كانا من كبار دعاة

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

هذا الخليط النظري. وبالتوازي، في كل انحاء العالم، وضع في التنفيذ برامج واسعة للخوصصة.. عام 1981 الحكومة الاشتراكية حاولت خطوة ضد هذا التيار، إذ شرعت في انعاش الاستهلاك واجرت تأميمات واسعة، عام 1983 اضطرت إلى العودة إلى سياسة أكثر قرباً من وصفات النقديين. وانخرطت في سياسة تقليص ضريبي. لا يمكن الاسراع عندما كل العالم يكبح. في عام 1986 حكومة شيراك خوصصت جزء من المشاريع العامة المؤممة، وعند عودة الاشتراكيين للسلطة عام 1988 لم يرجعوا عن الخوصصة. وحافظوا على سياسة حزم نقدي واعتدال ضريبي، في الظاهر هذه السياسات نجحت حيث أن التضخم اليوم تم إيقافه، والنم و الاقتصادي عاد للانطلاق لكن الواقع كان أكثر تعقيداً.

ـ النظرية النقدية واقتصاد العرض لم يتعايشا:

في محاولة الحد من الاقراض ومن ازدياد الكمية النقدية، لا يسمح للمشاريع بأن تنتج أكثر. صحيح انخفاض الخصم والحد من التنظيم اللائحي، جعلها تأمل في وضع أفضل لها.. يا للخساراة.. ! ارتفاع معدلات الفائدة يحبط الاستثمار. في مثل هذه الشروط، اقتصاد العرض غير قادرة على اثارة الانعاش. بالعكس الضربات السود في بعض الانفاق الاجتماعي اثارت هبوط الإنتاج، الواردات العامة انهارت أكثر مما هو متوقع، والعجز يشتد. الانعاش الاقتصادي، الذي كان يجب تعويض هبوط الضغط الضريبي صار صعباً.

في العموم، في فترة أولى، برفضها تمويل العجز في الميزانية بواسطة خلق نقود، السياسات النقدية جعلت معدلات الفوائد تقفز، هذا الارتفاع، من ناحية أخرى، صار دائماً لسببين: الأول أهمية المديونية الأمريكية، وخدمات الدين (الفوائد) التي تركبت عليها، عندما خدمات الدين والعجز في الميزانية وصلا 20٪ من الميزانية الاتحادية، وهذه عالت نفسها، كل الاجراءات التي اتخذت لكي يخفض هذا العجز، بدون ضرائب جديدة، تكشفت حتى عام 1990 محبطة. والسبب الثاني يرجع إلى أنه نتيجة معدلات التبديل العائمة حاجات الميزانية الأمريكية اثارت حرب معدلات الفائدة، سوف نتحدث عن هذا فيما بعد:

ـ مكافحة التضخم يتحملها الاجراء:

التمسك بإرغامات نقدية قاسية، في الوقت الذي يجري فيه محاولة

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

تخفيف الإرغامات العامة على المشروع، جعل الاجراء يتحملون تكاليف الانكماش بقدر كبير، معدلات الفائدة المرتفعة وعدم اليقين فيما يتعلق بالانكماش دفعاً المشاريع إلى أن تركز قدراتها على التمويل في الاستثمارات الإنتاجية.

تطور التقنيات، والتغيير في البنى الإنتاجية وفي العمل جعلت في المرحلة الأولى البطالة تزداد، والتي هي أصلاً منتفخة بسبب تباطؤ لا مثيل له للنمو.

القدرة النضالية عند الاجراء ضعفت جداً، بسبب معدلات البطالة المرتفعة بينما تخفيف التنظيم اللائحي والاستثمارات في الإنتاجية تسرع في تكوين هوامش للمشاريع، المشاريع تحتاج على الأقل إلى رفع أسعارها لكي تضمن نموها أو ببساطة مجرد بقاءها.

وسوف نرى ذلك، إذا كان هذا المخرج من التضخم ليس بدون اخطار اجتماعية واقتصادية، إلا أنه مع ذلك ليس أقل فعالية، وكما أشرنا إلى ذلك فيما سبق، قدرات النضال عند الفاعلين الاقتصاديين ضعفت، فأمكن تخفيف التضخم.

ـ ليبرالية متزنة جداً:

من المدهش أن الخليط من «النظرية النقدية» و «اقتصاد العرض» قاد في الولايات المتحدة إلى انطلاق اقتصادي من نمط كينزي في الاقتصاد المهيمن، وفرض في كل مكان سياسة دخول على حساب الأجراء.

إلا أنه، وفي كل مكان، دخلت مرحلة جديدة، أنها مرحلة «دولة أقل» وتخفيف اللوائح التنظيمية، وضغط ضريبي مخفف، نحن مع ذلك بعيدين جداً عن عودة رأسمالية «همجية».

ـ الدولة لازالت حاضرة:

الانفاق العام ظل في مستوى لا يسمح باختزال الدولة إلى مجرد دور شرطي، السياسات الأكثر تصلباً لم تخفض إلا بعض النقاط من نصيب الانفاق العام في الناتج الوطني الخام. في أغلب الأحيان هذا التخفيض يرجع إلى انطلاق النمو أكثر منه إلى اجراءات محاولة تحجيم مكانة الدولة الاقتصادية، وبسبب أهميتها فإن الانفاق العام يمثل دائماً أداة الاستقرار الأساسية في الاقتصاد.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

في هذه الشروط، إذا كانت الاجراءات الضريبية أحياناً بُسِّطت وجرى توحيد بعض التشريعات، إلا أنه لم يعد ثمة سؤال بانتظار خفض كبير في مستواها. بوش، أمام أهمية العجز في الميزانية الأمريكية اضطر على كل حال إلى زيادته من جديد، لنقل فقط، أنه أحياناً، وبعذر الحياد صار لها توجه أقل من قبل نحو إعادة التوزيع. وإذا كان دافعُ الضرائب يتذمر، فإن المستفيد يريد خدمات عامة أكثر أهمية، الأباء يريدون مدارس أكثر، ويطالب بشرطة أكثر لضمان الأمن، والمستشفيات أكثر حداثه، وبيئة محافظ عليها، واخيراً الليبرالية حفزت الدولة على أن تكون فعالة أكثر وليس أقل وطأة.

ـ التنظيم الخاص للاقتصاد أيضاً:

انعدام أو تحفيف اللوائح، إعادة تنشيط المنافسة، وخوصصة الشركات العامة لم تمنع المتعددة الجنسيات من تنظيم قطاعات واسعة من الاقتصاد. وأكثر من ذلك المشاريع الكبرى الخاصة و العامة تبحث هي نفسها عن أنماط جديدة للتسيير بتنشيط وظيفة رجال الأعمال في داخلها. انعدام اللوائح والخوصصة وصلت على كل حال إلى حدودها المفروضة من قبل الارغامات التقنية المعاصرة. في الواقع تدخل الدولة صار ضرورياً بسبب التعقيد المتعاظم للاقتصاد الصناعي. يجب دائماً وسائل إعلام أكثر وأجهزة أكثر لإدارة اقتصاد يزداد تعقيداً. هذا التطور يفسر معاً صعود الأجهزة (التنظيم) في صميم وازدهار نشاط الخدمات المقدمة للمشاريع، والتحمل الجماعي لاخطار التعقيد.

ـ النتائج الشاذة للا تنظيم:

الرغبة في تحفيض تدخل الدولة، بدون تحوط، زادت في اخطار الاختلال الوظيفي . انعدام اللوائح أدى إلى كوارث جوية، الرغبة في تحفيض الانفاق زادت في أزمة نظم المستشفيات والتعليم، انعدام اللوائح المصرفية أدى إلى مخاطرات وأدى مثلاً إلى انهيار نظام صناديق الادخار الأمريكي، عجزها، الذي يجب تغطيته، بطريقة أو بأخرى، يفوق اليوم عجز الدولة الاتحادية. ومن ناحية أخرى بفتحه الطريق أمام أشكال أخرى من المضاربات، جعل من الضروري اللجوء إلى خدمات المتشارين وخدمات التأمين من كل نوع، والتي تكاليفها المضافة ليست مما يستهان به. ومن الغريب أن تخفيف تدخل الدولة زاد في التكاليف التي يتحملها الفرد.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

صحيح نشاطات كانت خارج السوق عادت إليه، مثلاً، في كثير من البلدان، الاتصالات، سوق العمل لم يعد شبه سوق عمل، كما كان في الماضي، إلا أننا هنا أيضاً نحن بعيدون عن مجرد العودة إلى دعه يعمل. يمكننا أن نتخيل دولة لاتهتم بالاتصالات عبر الأقمار الصناعية تاركة شركات تطلق بكل حرية اقماراً صناعية؟ ونفس الشيء وإن كانت دولة العناية معترض عليها، إلا أنه لا أحد يرغب جدياً في اختفاء نظم التامين الاجتماعي، وسنرى في الولايات المتحدة أن عدم تكفل الضمان الاجتماعي بعدد متزايد من الاشخاص جعل نفقات المساعدة الاجتماعية تقفز.

أما بالنسبة لارادة ترك الحبل على الغارب للاثراء فإنها تصطدم ايضاً بحدودها. في البلدان الصناعية الكبيرة ، الديمقراطية مترسخة جداً. في أوربا الغربية، في حقبتين تم كنس بقايا الفاشية (وفي اسبانيا، البرتغال، اليونان). ولكن الديمقراطية السياسية في سيرها وفق مبدا مساواة الجميع تتعارض ـ كما راينا ه ـ مع توجه اللامساواة المترتب على الرأسمالية، اننا نصل إلى توزيع للدخول ليس اكثر عدلاً، وانما اكثر احتمالاً والذي يضمن بقاء الرأسمالية على المدى الطويل. في اليابان قيام الديمقراطية الحديث جداً، يفسر، بدون شك، إن المجتمع الياباني فيه كوابح أقل للإثراء. ولكن هذا يفسر ايضاً أن بعض التوترات، من حين إلى اخر، تثير فيه موجات العنف.

وعلى هذا المنوال، فيما يتعلق بتقوية السلطة الاقتصادية في مواجهة السلطة السياسية، وهذه ليست خاصية ليبرالية بل خاصية راسمالية، وفيما وراء حد معين فلأن استحواذ الاقتصاد على السياسة يستدعي ردود أفعال يتيحها وجود ديمقراطية سياسية.

ـ ليبرالية أو ليبرالية جديدة؟:

لايمكن الحديث اليوم عن عودة محضة الليبرالية، أيضاً يجب أن نقترح استعمال ليبرالية جديدة كمصطلح.

ليس الحال على هذا النحو في بلدان العالم الثالث، حيث الديمقراطية السياسية احياناً مهانة، ولكن هذه البلدان تمثل ـ لسوء الحظ ـ هوامش البلدان الرأسمالية الكبيرة. تناقضاتها الداخلية لاتستطيع ـ إلاهامشياً ـ الوصول إلى

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
«المركز » الـرأسمالي. أزماتها التي سـوف نتفحصها فيما بعـد لايمكن ان تمس قلب الرأسمالية.

هل هذا يعني ان المجتمعـات الرأسمالية في البلدان الراسماليـة الصناعية الكبيرة، بفضل قيـام ديمقـراطيـة رأسماليـة، هـي مجتمعـات هـادئة وبـدون تناقضات؟ بالتأكيد لا. خـلال الحقب 1970 و 1990 إذا تم حل تناقضات فإن تناقضات أخـرى، في جزء منها، ترجع إلى الليبرالية الجديدة، قـد تطورت. النمو الجديد يتضمن تناقضـات والتي تتطلب تعديلات إن لم نشأ أن تقـود يوماً إلى أزمة قطع جديدة.

2 ـ المشاريع تبحث عن شكل تنظيم جديد:

عودة الاهتمام بـالليبرالية لم يكن التعـديل الداخلي الـوحيد للـرأسمالية الجديدة، مـع الشروط الجديدة للنمو، عثـرت المشاريع، من جـانبها، على أنماط جديدة للتنظيم والتسيير.

ـ التنظيم المادي للمشاريع:

التنظيـم العقـلاني للمشروع القـادر على تحقيق تخطيـط استراتيجـي للمشاريع كان أحد قوى سنوات الثلاثين «المجيدة».

ـ أزمة الأشكال القديمة للتنظيم:

مع تباطؤ النمو، هذه الأشكـال صارت شيئاً فشيئاً غير صالحة وأدت إلى نتائج منحرفة.

الرقابة المالية المتمحـورة، بشدة، على استعادة الاستثمارات (في أي لحظة سـوف نستعيد المبلـغ المستثمر) وجهـت المشروغ نحو المدى القصير، معـدلات الفـوائد المرتفعـة والايجابيـة لم تسـهـل الأمـور في مثـل هـذه الشروط الادارة الاستراتيجية لمحفظـة الانشطة جـرى خلط بينها وبين إدارة محفظـة مستبعدة الأخطار.

إدارة التسويق المركـزة في دراسة السوق وسلوك المستهلكين بـالغت من جـانبها في تقـدير البحـث عن حيل تصريـف المنتجات على حسـاب التجديـدات الحقيقية ،سجينة مواصفات مالية والبحث عن عائد سريع سارعت المشاريع إلى الهروب أمام المخاطرة على المدى الطويل.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

مع ذلك ليست الفرص التي تنقص، السبعينيات والنصف الأول من الثمانينات شاهدت قفزة هائلة في المعلوماتية، وفي البيلوجيا التقنية. الذكاء يندمج في المادة، انواع جديدة من الطاقة ظهرت. الية الإنتاج، تستند منذ ذلك الحين على المعلوماتية في تدفقات الإنتاج وتدفقات المعلومات.

عناصر دورة تقنية جديدة اجتمعت، ومع ذلك لازلنا في المرحلة الهابطة من الدائرة السابقة، التجديدات التقنية تستخدم في تغيير الاجراءات اكثر مما تستخدم في تطوير منتجات جديدة وأسواق جديدة، المشاريع تبحث عن عقلنة عمليات الإنتاج وخفض التكاليف. تقدم الإنتاجية طور البطالة أكثر مما يمكن للنمو المتواضع ان يخفف منها. لم يعد هناك فائض قادر على تغذية طلب جديد.

ـ من مشروع إلى آخر:

في العمق، مادامت المشاريع تدخل المستقبل على أعقابها ناظرة إلى تكاليف إنتاجها، فإنها لاتستطيع أن تطور حقاً منتجات وأسواق المستقبل، كينز ، مركزاً على الطلب المتوقع من قبل المشاريع فهم ذلك جيداً في ظروف المرحلة السابقة للدورة الهابطة.

البعض يرى المستقبل في اعطاء دور محرك لرجال أعمال نشطين P.M.E والذين يعيدون اختراع المغامرة الصناعية التي كانت عند الصناعيين الأوائل. صحيح رجل الأعمال أكثر مرونة، ولكن يستطيعون بصعوبة تغيير التوجه العام للبنية الإنتاجية، ومن الصعب أن يثيروا لوحدهم نشاط الاستثمارات.

قلب الاتجاه لا يمكن أن يتم إلا إنطلاقاً من قطاعات مشاريع كبرى خاصة المتعددة الجنسيات.

التطور يفرض استثمارات ـــ خاصة مادية ـ كبيرة، والتي ليست في مقدور المشروع الصغير وحتى المتوسط، أكثر من ذلك، وضعها في التطبيق يتطلب وجود فرق قيادية متعددة الاختصاصات.

سرعة التقدم التقني تفترض أن ابدال اهلاك الاستثمارات (مادية أو غير مادية) في حالة عدم توفر مدة كافية، يستفيد من سوق واسع جداً. يجب إذن الاهتمام بأسواق على مستوى العالم وأن يكون بالإمكان القدرة على تكييف منتوج ما مع أوضاع متنوعة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

في مثل هذه الشروط حتى الشركات المتعددة الجنسية لا تستطيع القيام باستراتيجيات تحالف وتقاسم الموارد والبحث والتعاون مع شركات وشبكات التوزيع لشركات أخرى.

قدرة الشركات على حشد إمكانيات مراكز البحث الجامعي وخصوصاً مراكز البحث الأمريكية لا ترجح البنى الصغيرة، وأيضاً تستوجب ظهور نمط جديد من المشاريع الكبرى.

ـ مشروع من نمط جديد:

إن هذا ما هو في طريقه للحدوث. البحث يتحدث عن مشاريع النمط الثالث، آخرون يتحدثون عن مشاريع ما بعد الصناعة أو عن مشاريع Z (زورو وصل) نحن نسميه متعدد الأبعاد.

عدة عناصر يبدو أنها تمثل خصائص هذا التنظيم: استراتيجياً مركزة على التقنية أو بدقة أكثر على اعطائه قيمة متعددة لإمكانات المشروع التقنية أو الإمكانات التي يمكن له حشدها. لهذه الغاية فإن المشروع يبحث عن تطوير قدرة السبق التقني والاجتماعي بفضل حرص تقني في علاقة وثيقة مع البحث. أجهزة أو تنظيمات منحدرة من الجامعات، ومخزن المعرفة أو شركات الخدمات تضمن الاستمرارية بينها وبين البحث وتسهل اليقظة التقنية.

بالتوازي الإدارة المركزية للمشروع تتغير، جزء من المركز يتحول إلى مهمة استراتيجية مكلفاً بمتابعة برنامج، تقام مجموعة للمشاريع تقسيم العلم بين أولئك الذين يخططون السياسة والذين ينفذونها يختفي، يتعلق الأمر بتشجيع تطور القدرة على المبادرة والتجديد في كل درجات المشروع، لقد سبق لشومبيتر أن لاحظ في نظريته عن التطور الاقتصادي أن القدرة على المباذرة ليست في المشروع حكراً على بعض الدرجات أو الوظائف، الشذور يصير صفة محمودة. تجربة السنوات الأخيرة هذه برهنت في الواقع أنه في المشاريع الكبرى المنظمة عقلانياً، في العواصف وعدم اليقين من النمو، جاء التجديد أكثر فأكثر من أفراد موقعهم خارج الكوادر الاستراتيجية المحددة من المركز، أنهم يغامرون بعملهم من أجل المشروع أو بتجديدات أو بتطور داخلي. المشاريع النشطة A.T.T. 3 . M. و 1. B.M دبونت دي نيمور . تشجع اليوم هذه القدرة

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الداخليـة في المشروع، لقد ولد مصطلـح تحديدها (المبـادر). المنافشة الـداخلية، والسـوق الداخلي، التفـريخ وطنين النحل تصير مميـزات تنافسيـة، اثنى عشر شـخصاً كانـوا في بداية 1. B.M \ P.C. والذي يحشد اليـوم 10,000 عامل ويمثل رقم أعمال 5 مليار دولار.

يختصر هذا النمـط من التنظيم أحيانـاً في أنه تنظيم أُم، فيـه تلتقي البنى المركزية التي تضمن الرقابة على الموارد مـع بنى لا مركزية والتي تسـهل اعطاء قيمة للامكانات التقنية، السلطة فيـه يجري التفاوض عليها ومتقاسمة. والذي يعطي لهذا الشكل من المشاريع قدرة كبيرة على التكيف وعلى المرونة.

3 ـ نظام العلاقات المهنية الجديد وازمة النقابية:

في التنظيم الجديد المشاريع، إدارة الموارد البشريـة تصير عنصراً اساسياً في الاستراتيجية الاقتصادية.

ـ إدارة ثنائية للموارد البشرية:

الربوتية (العامل الالي) والبيروقراطية، وإن أدتا إلى التخلي عن التايلورية (تايلور) فإنها تتطلب مشاركة نشطة من الأجراء. الخطوط الهيرارشية تتقلصي، الاتصـال بين كل الاشخـاص المنخـرطين مبـاشرة في إجـراءات الانتـاج يصير استراتيجياً. إننا نشاهد بالتوازي قطعاً: من ناحية المشروع يحتاج إلى أشخاص مؤهلين تـأهيلاً عاليـاً ومدمجين. من نـاحية أخـرى أجراء مؤقتين ممـا يسـهل مروية إدارتـه. هذا القطع اشتد بسبب تعـايش نشاط يتطلب كثافة معـرفية مع نشـاط تقني مبتذل جـداً. خمس عشرة سنـة من البطـالة قضت كما رأينـا على التصنيف الشامل وعلى وضع الأجور خارج المنـافسة، منذئذ فصاعداً يستطيع الشروع بدون إرغامات كبيرة تكييف إدارة الموارد البشرية.

ـ النقابات في وضعية زائفة:

السلوك يتغير بعمق، بـالنسبة للاجراء الأكثر استقـراراً فإن البحث عن شروط أفضل للعمل صار أولوية، المطالب تنتقلي هكذا إلى مستوى أكثر صعوبة في تنظيمه وتحديـده في مواصفـات يتم التفاوض حـولها جماعياً. فـاعلين جدد يدخلون الحلبة مع أنماط جديدة من التعبير. بالتوازي كثرة من الأجراء يلحون

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

على أن يؤخذ في الاعتبار قدراتهم الخاصة. مقابل فعالية أكبر يطلبون أن يدفع لهم أفضل، كذلك عدد كبير يتمنى مواصلة شخصية لمهنهم.

للإجابة على هذا الوضع، فإن النقابات تأخذ أكثر فأكثر في الاعتبار المطالب الفئوية، أي المطالب الخاصة بالشباب، بالعمال المهرة، أو للنساء، للعاملين بالخزانة... الخ، إنها تجد نفسها في وضعية زائفة.

بالنسبة للوضع القاني (كأولئك الذين في الوظيفة العامة مثلاً) وبالنسبة للمواصفات العامة التي تحول فرضها على شروط العمل. الوضع بالنسبة لها حرج جداً، باعتبارها تتكبد النتائج المنحرفة لتحولها إلى مؤسسة، في كثير من البلدان، خاصة في فرنسا، النقابات تمثل الأجراء في سلسلة من المؤسسات الاستشارية (مصل المجلس الاقتصادي، المفوضية العامة للتخطيط، المجلس الوطني للتكوين المهني، المجلس الأعلى للتربية الوطنية) وجودها يكفي ليضمن لها الشرعية وبعض الأثر اللأعلامي مع ملاحظة أن الاستشارة غير ملزمة لها.

إنها هكذا تكون سجينة رقابة القرارات الشاملة ورقابة المؤسسات التي كانت في الماضي موضوع مطالب جماعية، ولكن صارت اليوم ينظر إليها على أنها مكتسبات نهائية من عدد كبير منها. من وجهة النظر هذه وضع الضمان الاجتماعي مثالي ثقل خصوماته يتفوق احياناً في الرأي العام على الميزات التي يقدمها، ولكن النقابات المشاركة في إدارته لاتستطيع منع وزير المالية أن تكون له الكلمة الأخيرة صيحيح مطالب ومفاوضات جماعية لازالت قائمة، ولكنها تتعلق أقل بالأجور المباشرة أو غير المباشرة للعاملين (والتي هي العنصر الأساسي لعلاقات العمل) منها بالرهانات الشاملة المشتتة واحياناً هامشية، النقابات عندئذ تنجر إلى مفاوضات بمعنى الكلمة حول التقاعد، ساعات العمل، التكوين المهني، دمج الشباب والنساء.

الوضع يصير متناقضاً، من ناحية النقابات تتحول إلى مهنة، وتصير خبراء ليس لعلاقات العمل في المصانع ولكن في الحياة الاجتماعية عموماً. في المستوى المحلي «النضال» ينتظم أحياناً خارج أو على الأقل على هامش النقابات، اضرابات «القطة المتوحشة» في الولايات المتحدة ظهور الجماعية كما هو الحال عد الممرضات أو في S.N.C.F ـ السكك الحديدية الفرنسية ـ ينطلق من نفس

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

المنطلق. من ناحية أخرى المشاريع يمكن أن تقوم بمبادرات والتي يبدو أنها تتطابق أفضل مع التطلعات اليومية للأجراء، مشروعات الشركة، مجموعات التعبير، فردية الأجور، وعموماً أكثر إدارة الموارد البشرية هي اليومي عناصر أساسية التي تبني النظام الجديد للعلاقات المهنية.

هل يمكن تخيل رأسمالية مستغنية عن النقابات، صحيح بدون النقابات يبقى غطاء قانون العمل والديمقراطية السياسية، ولكن هذه ماذا تصبح في مواجهة سلطة الشركات الكبرى ومنظمات ارباب العمل، السلطة تستدعي السلطة، وتوازن السلطات المعوضة ضروري. لاننسى، ونذكر بذلك، دوام الرأسمالية في البلدان الصناعية وفاعليتها تدين بهما إلى عقلانية النظام أكثر مما تدين لهذا الخليط غير الملائم لقوى تجذب في اتجاهات مختلفة معاكسة بعضها يحاول تقسيم السلطة (والدخول) والآخر يتجه نحو لامساواة أكبر في السلطات (وفي الدخول). والسلطة تتطلب السلطة.

أيضاً هل يتوجب على النقابات اليوم أن تغير مجالات مفاوضاتها وعملها، وأن تتحدق في مواجهة إدارة الموارد البشرية والتقدم التقني لأنها في وضعية أفضل لمعرفتها؟ النقابات الألمانية قاومت أفضل الانهيار، إن على النقابات أن تقيم أشكالاً جديدة من العلاقات مع الأجراء.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الفصل العاشر

النمو الجديد: تناقضات وأزمات محتملة 1990...

على مدى هذا العمل حللنا كيف تطورت البنى الاقتصادية والاجتماعية، لقد رأينا أن العنصر الأساسي فيها وفي تطورها تشكّل بواسطة تناقضات من كل نوع.

سلسلة من التعديلات سهلت استيعاب جزء من التناقضات التي كانت سبب هبوط النمو في السبعينيات وفي بداية الثمانينيات.

1 ـ مجتمعات أكثر فأكثر ثنائية:

في اللحظة التي فيها الانتعاش بدأ، والبطالة أخذت تتراجع، فإننا نلاحظ أن العودة إلى العمالة الكاملة، بما في ذلك الولايات المتحدة حيث العجز لا يزال مهما ليس نتاج سياسة كينزية لا إرادية، أو نتاج تكون قوي توسعية، أنها نتاج تحولات عميقة في الأبنية الإنتاجية.

ـ صعود العمل العارض:

هكذا إلى جانب نواة صلبة ومستقرة، هناك من الآن فصاعداً في المشاريع والادارات الأمريكية، يد عاملة كثيرة «عرضية» متكونة من خليط غير متجانس من اجراء يعملون جزءاً من الوقت، أشخاص تابعين لوكالات العمل، أو اجراء يشتغلون لمدة محددة، أو أيضاً عمال مستقلين يبيعون خدماتهم.

هذا النمط الجديد لا يبحث فقط عن خفض تكاليف الإنتاج، وعن مرونة أكثر في العمل، أنه ينسجم مع إدارة موارد بشرية متكيفة مع الخاصية الأكثر ثنائية للاقتصاد الأمريكي، من 1970 إلى 1983، خلقت الولايات المتحدة حوالي 38 مليون فرصة عمل، منها 12,5 عام 1973 إلى عام 1979 و 20 من 1979 إلى 1989. أكثر من ربع فرص العمل هذه كانت على أساس زمن جزئي

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

(مؤقت). وكالات العمل المُلاقت توفر من جـانبها حوالي مليون فرصة عمل. كل عام أكثـر من 6 مليون شـخص يمرون عبر هـذه الوكالات. ازديـاد العقود ذات المدة المحددة أكثر صعوبة في تحديدها رقمياً. ولكن في بعض الفروع مثل التعليم، والصحة، هذه العقود صارت قاعدة عامة. اخيراً العمل المستقل (خارج الزراعة) والذي تدنى حتى عام 1970، صار يهم حوالي 12,5 مليون مقابل 6 مليون عام 1970.

العمل العرضي جـذب إلى أسواق العمل فئات من اليد العـاملة التي اما لا تأمل أو لا ترغب في العمل وقتاً كاملاً. التنافس في سوق العمل صار أكبر وشدد في آثار البطـالة على الأجـور حتى عـام 1984. نشاطـات ذات كثافـة رأسمالية ضـعيفة صارت مربحة أو تطـورت. التطور الاجتماعي. ثقل الايجارات، الحاجة إلى دخول إضـافية بالنسبـة للأسر ذات الأجور الـدنيا، سارعت في زيـادة عدد السكان النشطين وقبول شروط العمل الجديدة.

وفي الوقت الـذي نحن فيه في أوربا، كافحنـا أحياناً ضد البطـالة بمنع أو تفادي وصـول الشباب والنساء لسوق العمـل، فإن أمريكا بجـذبهم إلى السوق عثرت على «العمل الكامل».

من عـام 1970 إلى 1989، السكان النشطـون من النساء انتقـل من 34 مليـون إلى 60 مليـون، من عشر فـرص عمل خُلقـت منـذ 1970، سبع فـرص تشغلها النسـاء، معدلات نشاطهن انتقلت من 38٪ إلى 56٪. النسـاء اللاتي لا يختلـف إلا 45٪ من السكـان النشطين يشغلـن ثلثـي فـرص العمل (المؤقـت) «والزمـن الجزئي» الشباب أقل مـن 21 سنة يمثلـون حوالي 11٪ من السكـان النشطين رسمياً. البحـوث في عمل الشبـاب الأقل من 16 سنـة أو الأقل من 14 سنة تبرهـن على أن هذا الـرقم لا يعكس الواقـع ولكن 46٪ من هـؤلاء الشباب يعملون «في وقت جزئي» والثلث يمرون عبر وكالات العمل المؤقت.

في الوقت الراهن، الأقليات السوداء أو الـلاتينية أو الآسيوية تظل متأثرة أكثر من غيرها بـالبطالة، ولكن مشاركتهم في قوة العمل تـزداد من خلال العمل المؤقت. الرجال من البيض البالغين الذين يشكلون أساس النواة الصلبة، هم من الآن فصاعداً أقليـة بالنسبة للسكان النشطين. في التسعينيات الأقليـات العرقية هي التي تتيح مواجهة الزيادة في الحاجة إلى اليد العاملة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

وإن لم يكن له نفس الحجم، فإننا نجد نفس التوجه في البلدان الصناعية الكبرى الأخرى، خصوصاً فرنسا. هنا أيضاً الكفاح ضد البطالة يمر عبر تحلل نسبي لتنظيمات العمل وسوق العمل، وصعود العمل المؤقت، العمل في مدة محددة، أو العمل في زمن جزئي، تضاعف عدد المشاريع القزمية القريبة من «العمل الصغير»، فإن التناقض صار يتحدد بين نواة صلبة يستحوذ عليها أو يشغلها يد عاملة ذكرية مؤهلة في محيط أو هامش حيث الأشخاص غير المؤهلين (أغلبهم من النساء والشباب الفاشلين في دراستهم أو الأشخاص من أصل أجنبي) يعثرون أساساً على العمل.

ـ اقتصاد أكثر فأكثر ثنائية:

هذا النمو للسكان النشطين ولفرص العمل، يرجع بشكل كبير إلى الثنائية التي اخذت تتضح أكثر فأكثر في الاقتصاد الامريكي، هذه ليست النتيجة اللاتصنيع المعلن عنه من قبل البعض. صحيح الخدمات صارت تستخدم منذ ئذ فصاعداً أكثر من 70٪ من السكان النشطين، وهي أصل 63٪ من الناتج الوطني الخام، ولكن التعارض بين الصناعة والخدمات لامعنى له. الانقسام الحقيقي هو بين انشطة تتطلب كثافة معلومات واتصالات (تلك التي تنتج المواد المعلوماتية أو المشبهة، معالجة المعلومات «لها نسبة كبيرة في أرقام أعمالهم وفي اليد العاملة وفي البحث والتطوير، وبين الأنشطة الأخرى. في الحالتين نجد أنشطة صناعية وأنشطة خدمية.

قطاعات الانشطة التي تتطلب كثافة عالية من المعلومات تمثل أكثر من 30٪ من فرص العمل، (3,5 في الصناعة، 27,5 في الخدمات) القطاعات ذات الكثافة الضعيفة من المعلومات تمثل بدورها أكثر من ثلثي فرص العمل (26,5٪ في الصناعة، 39٪ في الخدمات، 4٪ الباقية هي في الزراعة، الصيد، الغابات)

بالطبع العمل العرضي والأجور المنخفضة نجدها في القطاعات التي تتطلب كثافة ضعيفة من المعارف والمعلومات. الأجر المتوسط العمل اليوم الكامل في هذا القطاع أقل 25٪ من الأجر في القطاع الآخر. في الخدمات الفندقية والمطاعم التي خلقت حوالي 12٪ من الأعمال الجديدة، يكون الأجر أقل من 50٪ منه في القطاع

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
الذي يتطلب كثافة عالية في المعارف والمعلومات. العمل في زمن جزئي يتنوع ما بين 20٪ إلى 40٪ في القطاع الذي يتطلب كثافة ضعيفة من المعارف والمعلومات. بينما يكون في المتوسط 16٪ ونادراً ما تكون أعلى من 20٪ في القطاع الآخر.

صحيح أن نمو القطاع ذا الكثافة العالية في المعلومات والمعارف سريع، ولكنه يتجه في السنوات الاخيرة إلى أن يكون أقل سرعة منه في القطاع الآخر والذي استمر في كونه أصل عدد أكبر من فرص العمل. الارقام المتعلقة بالخدمات من وجهة النظر هذه مهمة من 1973 إلى 1979، الخدمات ذات الكثافة العالية في المعلومات والمعارف اتكون أصل 35,8٪ من فرص العملي الجديدة . الخدمات الاخرى تمثل 43٪. من 1979 إلى عام 1987 القطاعات الثانية تكون أصل 53,6٪ من فرص العمل الجديدة والاولى 44,2٪.

ـ نمو جديد يصطدم سريعاً بحدوده:

هكذا يرتسم في الولايات المتحدة. وأكثر فأكثر وضوحاً في البلدان الأُخرى، نمط من النمو يختلف جيداً عن ذلك الذي ساد في السنوات الخمسين والستين. أنه لم يعد الاجور العالية الاستهلاك الجماهيري والرفاهية التي تضمن العمل الكامل، وإنما زيادة اللامساواة الاسعالر المنخفضة، العمل العارض في القطاع ذي الكثافة الضعيفة في المعلومات والمعارف والتي تسمح لأجراء القطاع الأخر أن يحتفظوا بدخول خيارية والتي تتيح لهم أكثر فأكثر استهلاك خدمات نهمة إلى اليد العاملة.

هذا النمط من النمو الاقتصادي مع ذلك يصطدم ببعض الحدود: اولاً أنه يفترض «خزان» من اليد العاملة مهما. وابتداء من اللحظة التي تصير فيها مصادر اليد العاملة العارضة نادرة، فإن سوق العمل يرفع من تكاليفها. والقطاع ذو الكثافة المعلوماتية والمعارفية الضعيفة يجد نموه يعاق.أو إن أسعاره بتضر بتلك التي للقطاع الاخر. لتفادي الاسوأ، فإنه يتوجب عليه أن يعثر على طرق انتاجية وفعالية من غير الاسعار المنخفضة.

أيضاً التكاليف الاجتماعية لهذا النمط من النمو ثقيلة جداً. في الولايات المتحدة 42٪ من العاملين في وقت جزئي ليس لهم أي تغطية اجتماعية، 70٪ لا يساهمون في أي صندوق تقاعد، 39٪ من السكان في الولايات المتحدة يعتمدون

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
في حالات الضرورة على الإرادة الطيبة للسلطة العامة. العمل الكامل لم يجعل الفقر يتراجع بل زاد فيه. إنه على المدى قنبلة موقوتة حقيقية بالنسبة للمالية الاتحادية وللسلطات المحلية.

فرنسا والبلدان الاوربية ـ باستثناء بريطانيا ـ لازالت بعيدة عن هذه الوضعية. إلا أنه في بلادنا ـ فرنسا ـ الفرق بين الدخول الذي تقلص خلال فترة تباطوء النمو، أخذ يتسع من جديد، دخول الملكية والمشاريع تزيد أسرع من دخول الاجراء. وتخلف الاجور يرجع في جانب كبير منه إلى الخاصية الاكثر فأكثر ازدواجية لفرص العمل.

إن لم تتغير الإرغامات السكانية فإن التوترات الداخلية لا يمكنها إلا الاتساع. إنها تزداد تعقيداً بسبب رواد الفعل العنصرية من قبل أولئك المهددين أكثر بسبب إدخال عمال جدد في دائرة العمل العرضي.

هذه التناقضات الاجتماعية خطيرة، إلا أن علاجها أكثر إمكانية بترياق الديمقراطية، شريطة أن تناقضات أخرى لاتجعل علاجها اقتصادياً بطريقة أو بأخري، مزدوجاً، في فرنسا، الزراعة والتجارة الصغيرة، الحرفية، كانت دائماً قاعدة هذه الازدواجية، اليابان، بقطاع، قريب من الاستغلال الزراعي العائلي، كون شكلاً آخر من الاقتصاد المزدوج. الازدواجية الاقتصادية هي ضمان المرونة، ولكنها تصير خطيرة عندما الأزدواجية الاجتماعية تحصر أجيالاً متوالية في دائرة مغلقة من الفشل. كذلك ديمقراطية التعليم والحراك الاجتماعي الذي يتيحه التعليم هي أفضل الضمانات ضد هذا التناقض وهذا ليس من أجل لا شيء أن الفشل الدراسي صار في كل مكان من العالم احداهم المشاكل المطلوب حلها.

2 ـ الاقتصاد المالي ضد الاقتصاد الحقيقي:

التناقض الأساسي بين عالمية الاقتصاد وفواصل المجال النقدي لم يحل بعد، وفي الوقت الذي تشتد فيه حدته، تمكن منذ بداية السنوات الستين أن يكون مبلوراً لتناقضات أخرى، وأدى إلى الكساد أزمة الطاقة أوحت إليه بأول دور، بشكل أو بآخر من مسكِّن إلى مسكِّن، من التشاور إلى التعاون استطاعت الدول تفادي الأسوأ في مجال النقد.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

لقد رأينا أيضاً أنه بداية الثمانينيات، الاقتصاد المكشوف الذي قام ابتداء من 1974 قد ظهر زيفه بواسطة السياسة النقدية وسياسة الموازنة، صعود الدولار الراجح إلى حاجة الخزانة الأمريكية، مع دولار بعشرة فرنكات في بداية 1985 لم يضع فقط التوازن التجاري الأمريكي في وضع صعب، بل هزم أيضاً الاقتصاد المكشوف.

ابتداء من عام 1985 قبلت الحكومة الأمريكية تخفيف سياستها النقدية بينما الحكومات الأخرى تبيع الدولار. من 11 فرنكاً للدولار عام 1985 سقط في بداية عام 1986 إلى أقل من 5,5 فرنك للدولار. الاتجاه إلى الانخفاض كان بقدر أدى إلى فبراير 1986 إلى أن اتفاق اللوفر اضطر إلى وضع خطة موضع التنفيذ لإيقاف انهياره. من سوء الحظ، للتوصل إلى ذلك فإن المصارف المركزية بشرائها الورقة الخضراء قامت بإصدار عملتها.

المضاربات الدولية، خشيت انذاك، أن خلق النقود هذا سيكون المضاربات الدولية، خشيت انذاك، أن خلق النقود هذا سيكون السبب في انحراف تضخمي جديد. معدلات الفائدة على المدى الطويل ارتفعت، وظلت منذ ذلك الحين في مستوى مرتفع قدر ارتفاع العجز الأمريكي، لقد قلنا أنه يعيل نفسه. ودخلنا في مرحلة توترات ومعدلات فائدة مرتفعة.

ابتداء من عام 1986 كل العناصر تجمعت لتقود إلى طلاق بين الاقتصاد المالي والاقتصاد النقدي.

ـ انفجار الاقتصاد المالي:

أزمة الاقتصاد المكشوف وعدم استقرار أسواق التبديل، بقاء معدلات الفائدة في مستوى عالٍ أدت إلى انفجار حقيقي للاقتصاد المالي.

ـ من عالمية المصارف إلى عالمية المالية:

لقد قلنا أنه بدلاً من أن تمنح قروضاً وأن تبحث عن المتوفر لكي تدعم هذا الخلق، فإن المصارف اكتفت أكثر فأكثر مندئذ بوضع الملاك وطالبي السيولة في علاقة. المصارف تبيع خدماتها، ولكن في نظامٍ تبديل عائم، لمواجهة المعادلة بين النقود المرتبطة بمعدلات تبديل فإن المشاريع. خاصة متعددة الجنسيات،

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
اضطرت إلى تكوين سيولة من العملات، المصارف اقترحت عمليات مربحة لهذه الأموال.

ثلاث عناصر سهلت العالمية المالية هذه.

ـ اللا تنظيم الذي سمح بعمليات كانت قبل ذلك مستحيلة، لقد رأينا يتطور تحول ديوان إلى سندات مما سمح لها بأن تصبح قابلة للبيع، قروض لأسواق معدلات الفائدة. نشهد شيئاً فشيئاً تحول النقود إلى سلعة تجارية مؤدية إلى إمكانية كبيرة لتحقيق مكاسب المضاربات.

البريد المصور أكمل عالمية النظام المصرفي، مندئذ الاتصال بين المراكز المالية صار مستديماً ومباشراً.

المشاريع التي أرباحها تتضاعف بفضل زيادة أقل في الأجور صار لها إمكانية تشغيل أموالها، هذه الإمكانية تكون كبيرة بقدر ما معدلات الفائدة المرتفعة لا تشجع الاستثمار.

ـ حركة رساميل لا سابق لها:

في المجموع، الممتلكات الخاصة الدولية والتي كانت في منتصف الستينيات ثلاث مرات أكبر منها. هذه الممتلكات (الأموال) في حركة دائمة. التعويض في نيويورك عن المدفوعات الدولية يصل كل يوم إلى 200 مليار دولار من العملات. وفي العام حجم النقود المباعة والمشتراة يرتفع إلى كثير من عشرين مرة حجم التجارة الدولية.

في الوقت الحالي، المصارف المركزية، منبثقة عن السلطات السياسية لا تتدخل إلا في الأرصدة، لكن لا يزال لديها الوسائل للتأثير على معدلات التبديل، لكن هذا يمنعها من تسهيل خفض معدلات الفائدة. ابداً منذ 1929 لم تكن معدلات الفائدة عالية بهذا القدر ولمدة طويلة.

ـ وضع مزدهر غير مستقر:

البورصة استفادت كثيراً من هذا الوضع، تحول الديوان إلى سندات وأتساع الأسواق الابتدائية أدى إلى صعود موازٍ للأسواق الثانوية (بورصات القيمة) إلا أن التوترات النقدية الدولية، ومستوىً معدلات الفائدة جعلت الوضع

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
هذا غير مستقر. عندما أسواق البورصة تكون في أزدهار، بينما معدلات الفائدة تظل مرتفعة، فإننا ندخل في منطقة اخطار كبرى.

ـ سوق الاسهم وسوق السندات:

في الواقع، إذا معدلات الفائدة ارتفعت عالياً جداً، فإن الوقت يأتي والذي فيه يظهر لملاك الاسهم أنه من الأفيد أن يتحولوا إلى سوق السندات، وهذا لسببين، من ناحيةالسندات الجديدة، وخصوصاً سندات الدولة تصبح مربحة جداً، قيمة السند تتنوع في الواقع في اتجاه عكس معدلات الفائدة. السند هو قيمة ذات دخل ثابت. المبلغ المدفوع كفوائد يظل هو هو، ولكن، لكي تتطابق هذه الفوائد مع معدلات الفائدة في السوق فإن قيمة السنوات تنخفض، وبقدر ما نقترب من نقطة الازمة فإن الطلب يتحول من سوق الأسهم إلى سوق السندات، شراء السندات يرتفع. إن الحاصلين على قيم عقارية يعملون أنه في حالة انهيار مهم للبورصةس فإن السلطات النقدية سوف تتدخل، شرائهم للقيمس وتدخلهم في الأسواق النقدية يترجم بضخ النقود مما يؤدي إلى خفض معدلات الفائدة ورفع معدلات الأسهم، المضاربون من صالحهم التنصل من سوق الأسهم قبل انهيار الاسعار وانتظار إجراءات الحكومة ضد الانهيار.

هذا الوضع خطير، لأن ارتفاع أسعار الأسهم نشطة طلب ناتج عن مضاربات وبدون علامة مع النتائج الحقيقية للمشاريع. هذه العلاقة بين أرباح المشاريع وأسعار الأسهم، الذي كان في نيويورك في المتوسط 15 انتقل إلى 20 قبيل انهيار عام 1987م، بعد ذلك رجع إلى مستوى معقول ثم من جديد ارتفع إلى القمة.

من الصعب جداً معرفة في أي لحظة يظهر العنصر الذي ينتج قلباً عنيفاً للتوجه: الانهيار... ولكن عندما يحدث فإن ارتباطات مجموع المراكز المالية تؤدي إلى تعميم مباشر للانخفاض.

ـ انهيارات بدون ركود:

هذا هو السيناريو الذي حدث عام 1987. إلا أن هذا الانهيار عام 1929 لم تكن له نفس نتائج الاخير.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

على عكس ما حدث في الثلاثينيات، تعديل الاقتصاديات انذاك كان قد بدأ بشكل واسع (التضخم تباطأ ، النمو انطلق، أزمة الطاقة أمكن احتواءها، ثورة تقنيات المعلوماتية الجديدة بدأت بشكل واسع، عام 1929 كان الانهيار على العكس العنصر المبلور لتناقضات أدت إلى انهيار عام الثلاثين، لقد لعب دور أزمة النفط عام 1973.

من ناحية أخر، ثلاث عناصر سهلت تفادي الانهيار كما سهلت الانتعاش. الدول الآن تعرف كيف تتدخل، ولديها الوسائل لذلك، الخواص لم يستدل عليهم الرعب. لقد فهموا أنهم لايخسرون إلا إذا باعوا. وعلى كل حال القيم المتحركة كانت في الغالب في يد مؤسسات ومنظمات ادخار جماعية والتي تعرف كيف تتفادى حركات الرعب، وأخيراً انخفاض قيمة الأسهم سمح بتطوير عروض الشراء العمومي، وحلول طلبات المشاريع محل طلبات الخواص الذين يبدو أنهم فضلوا العودة إلى إدارة أقل مخاطرة (سندات ، تأمينات.. تقاعد..)

ابتداء من عام 1988 عادت البورصات إلى الانطلاق نحو الارتفاع وسجلت من جديد أرقاماً قياسية. مع ذلك أن عدم الاستقرار. لا يزال مهماً. وفي عام 1989 و 1990 شهدنا تعديلاً قاسياً جداً في بورصة طوكيو، والتي تأثرت عام 1989م أقل من المراكزو الاخرى. انهيارات صغيرة حدثت في نيويورك، أهمها كان عام 1989. ومن ناحية أخرى صارت البورصةأكثر حساسية نحو الأحداث الخارجية. غزو العراق للكويت في اغسطس عام 1990 أدى إلى انهيار عنيف في أسعار الأسهم، مؤقت بلا شك، ولكن كان خطيراً جداً. في الواقع الحالي، كل خوف من انطلاقي التضخم، وكل اضطراب في الانتعاش الاقتصادي يترجم في صدمة مهمة في البورصة.

ـ الماليات ضد النمو:

المشاريع، في مثل هذا الوضع، من صالحها الانخراط، في اقتصاد مالي أكثر منه اقتصاد حقيقي، ابداً لم تكن الانشطة المالية للمشاريع بهذه الأهمية. كيف يمكن أن يكون الأمر على غير هذا الحال عندما مضاربة مالية ناجحة في سنة واحدة يمكن أن تحقق أكثر مما يمكن تحقيقه في عشر سنوات من النشاط الصناعي. من حسن الحظ يمكنها أيضاً أن تقود إلى كارثة، مثلما حدث لشركة

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

فولكسافـن التي خسرت في مضاربة تبديل (عمـولة) سنة من الـربح الصناعي يبرهن على ذلك مما يحث على توخي الحكمة.

هذا الـوضع يفسر الازدهار الهائل لعرْوض الشراء العمـومي O.P.A في نهاية الثمانينيات. يعلن عرض عمومي لشراء مشروع. وحتى إذا فشل العرض، أي إذا لم يحصل على الأغلبيـة، فإن إعادة بيـع الأسـهم في مستوى عـالي بفضل اتفاق مع المشروع المعني وأعوانه تسمح بضمان متأخراته. تمويل لعرض العام للشراء. بواسطة (سندات قليلة القيمة) جعلت بعض العمليات وهمية. نهاية عام 1989 اصدرت الولايات المتحدة حـوالي 200 مليار دولار سندات قليلة القيمة، لقد كان لها عائد كبير، ونظرياً مضمونة بواسطة أصول الشركات المستهدفة. إذا فشلت وإذا لم يكن بالاستطـاعة إعادة بيع الأسـهم المشتراة فـإن السندات قليلة القيمة تكون عملياً بدون قيمة. انهيـار رجال المال رويبركامبو الذي اشتريي من هذه «السندات قليلة الأهمية» كان بسبب انهيار محدود عام 1989.

في حالة النجـاح، إعادة الاستقرار تكون سهلة، لأن المشروع يبـاع عموماً مجزءاً، ويتحقق هنا الأرصدة الثابتة، المضاربة المالية تكملها المضاربة العقارية.

إلا أنه عـام 1990 يبدو أن المشاريع أصبحـت منظمة لمقاومـة عروض الشراء العموميـة O.P.A المعاديـة. منذئذ عـروض الشراء العموميـة صارت عروض شراء ودية تعقد بواسطة اتفاق بين المشروع والمجموعة المسترجعة. هذا لايعني نهاية المناورات المالية الكبرى، المشاريـع بفضل عملياتها المالية تعيد بناء تجمعات، تضمن بتكاليف أقل نموهـا الخارجي، وتحقق إلى جانبس ذلك أرباحاً استثنائية بـدون علاقة مع نشاطهـا الصناعي. نهاية عـروض الشراء العمومية الهمجيـة مثل في الـواقـع تراجـع لاقتصـاد «الكازينـو» الـذي رسـم منتصف الثمانينات. الشركات الكبرى تلتحق بالمضاربين الكبار، وبفضل معدلات الفائدة المرتفعة فـإن صغار المضاربين يمكنهم تشغيـل نقودهم بعـائد دون البحث عن أرباح من مضـاربات استثنائيـة. قطاع المصارف والوسطـاء بالبورصـة تأثر كبيراً بسبب تراجع اقتصاد «الكازينو» السيتيكور، أول بنك أمريكي، أعلن إلغاء 15000 فرصة عمـل، شركات تعمل بالبورصة أعلنـت إفلاسها، والمختصين في السندات ذات القيمة القليلة أيضاً.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الأرباح المالية تظل، أنها عندئذ تصنع من قبل شركات كبيرة مستحوذة على الأصول بتكاليف أقل، معيدة بناء قطاعات وبائعة بأرباح الأقسام التي لاترغب فيها، ولكن خطر آخر لا يزال يتربص بالرأسمالية.

ـ الملاك ضد المشاريع:

نظرياً، الرأسمالية تؤسس فعاليتها على الملكية الخاصة لخيرات الإنتاج. وعلى اقتصاد السوق، وبكلمات أخرى إدارة المشروع تخضع لرقابة مزدوجة من قبل ملاكه ومن خلال السوق، من قبل زبائنه.

بالطبع هذا يفترض أن المشاريع تخضع لاحكام الملاك والمستهلكين وأنها لا تبحث عن التملص من هؤلاء (الملاك) ولا التأثير في أولئك (المستهلكين). لقد رأينا أن الرأسماليات الجديدة المعاصرة صارت أكثر فأكثر محكومة من قبل البنى التكنوقراطية. والممارسات الواقعية للمشاريع بعيد جداً عن قواعد المنافسة المحضة والكاملة.

مع ذلك رأينا أن هذا لا يعني أبداً اختفاء السوق و المنافسة، وأن المشروع يتوجب عليه الاستمرار في السهر على الحفاظ على قيمته. في البلدان الشرقية غياب الارغامات الناشئة عن الملكية هو عقبة في طريق الانتقال إلى اقتصاد السوق.

إلا أنه مع صعود الاقتصاد المالي، صار الخطر أن نرى الملاك يتحولون، أثر فأكثر، إلى مؤسسات مالية وأرباح استثنائية. وحيازة ـ بتكاليف قليلة ـ أصول حقيقية، ويتصرفون وفق خصائص لا علاقة لها بالاستراتيجيا الصناعية للشركة أو المشروع. هناك إمكانية أزمة بين مصالح الملاك ومصالح المشروع. تطور السوق المالي والمكاسب التي يمكن أن تتوقع منه تجعل هذا الطلاق ممكناً. هذه المكاسبي تسمح بتعويض ـ وبطريقة فخمة ـ قيادات المشروع حتى عندما تكون النتائج الصناعية للمشروع متواضعة. من 1980 إلى 1989، أجور قيادات المشاريع الامريكية تضاعفت 2,5 مرة بينما الأجور لم تتقدم إلا 50٪ وأن الأرباح الصناعية الصافية لم تكن عام 1989 إلا في مستواها عام 1980. يمكن أن نتساءل كما فعلت المجلة البريطانية الجادة «الايكونوميست»، إذا في نهاية القرن العشرين، الحفاظ على النمو في المدى الطويل

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

لايمر عبر انهيار.. البورصة أو على الاقل انهيار المكاسب المالية في غير محلها. الإجراءات المتخذة في فرنسا لتشجيع الاستثمار الإنتاجي وتحبيط الاستثمار المالي يظهر الوعي بهذا الخطر.

3 ـ عالم ثالث متفجراً ودائماً في صراع:

السنوات العشرين الأخيرة، كانت بالنسبة لبلدان الجنوب متناقضة جداً. مؤتمر باندونج أكد وجود صوت ثالث معارض للكتلة الغربية والشرقية معاً، ولكن في العموم أكثر رأسمالية منه ضد الاشتراكية. وجود الصين الشيوعية فيه لم يكن من أجل لا شيء في هذا الموقف، المطالبة بنظام اقتصادي عالمي جديد في بداية السبعينيات يندرج في نفس المنظور. منذ تلك الحقبة وحدة العالم الثالث ـ مع ذلك ـ تطايرت اشلاء دون أي تخفيف في التناقضات بين تطور الشمال والجنوب.

ـ التصنيع يعيد نموذجة المجال الاقتصاد العالمي:

في كل البلدان تقريباً، صار التصنيع مطمحاً عاماً، خلال حقبة الستينيات ظهر على أنه مرادف للاستقلال الاقتصادي، البعض يبحث عن الوصول إليه باحلال إنتاج محلى محل المستورد، والبعض يبحث بتأسيس صناعات أساسية غالباً تحت أشراف الدولة، في كل مكان الحماية تسهل تطور صناعة ناشئة.

ـ صناعة تتوجه إلى الخارج:

هذه السياسات تكشفت مخيبة للآمال، وأحياناً كارثيه، ابدال الاستيراد بالإنتاج المحلي أدى إلى تضخم مشتريات المعدات دون أن تنجح في تحويل المستهلكين عن الإنتاج الخارجي، إقامة صناعة أساسية ـــ قاعدية ـ تكشف معقداً وأحياناً مدمِّراً ولم يحقق النتائج المنتظرة. بأهمالها الزراعة لصالح صناعة أساسية فإن الجزائر وصلت إلى مأزق. في نهاية الثمانينيات اضطرت الجزائر إلى استيراد أكثر من نصف المنتجات الضرورية لغذاء سكانها.

استراتيجية أخرى شاعت خلال السبعينيات، أنها تستهدف التصدير ـ باستغلال المميزات المقارنة ـــ في البداية هذه الميزات أساساً هي يد عاملة رخيصة. إنطلاقاً من صناعة خيرات الاستهلاك التي تقوم على هذه المميزات، يتم الصعود حتى خيرات التجهيزات مع توسيع الإنتاج من الخيرات البسيطة إلى الخيرات المعقدة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

هذه الاستراتيجية كانت استراتيجية بعض بلدان شرق آسيا مثل جنوب كوريا، تايوان، هونج كونج، سنغافورة، تايلندا عدم امتلاكها مواد خام، وضيق أسواقها الداخلية وصفة «الجزيرة» في اقتصادها أجبرها على ذلك. مع الصدمة النفطية معظم بلدان الجنوب التحقت بهذه الاستراتيجية، بالنسبة للبعض يجب العثور على عملة صعبة لدفع فواتيرها. بالنسبة للآخرين الذين يستفيدون من عوائد النفط، يجب تنويع الاقتصاد قبل نفاذ الموارد النفطية. بالتالي بالنسبة للبلدان المديونة جداً فإن تحقيق فائض تجاري مهم يصير ضرورياً لدفع خدمات الديون . الدول القارية فقط (الهند ــ الصين) يبدو أنها أقل اتجاه نحو التصدير، أهمية أسواقها الداخلية، وثرواتها الطبيعية تتيح لها تطوراً أقل توجهاً إلى الخارج. إلا أن هذا جزئياً وهم بصرى حاجاتها للمعدات وللتقنية الجديدة تدفعها إلى التصدير. وإذا كان حجم تصدير المصنوعات في الناتج المحلي الخام ضعيفاً. إلا أن كميته لا يستهان بها، ويمثل تقريباً 70٪ من صادراتها (مقابل 90٪ وأكثر بالنسبة للنمور الأربع) المشار إليها سابقاً.

في المجموع صادرات بلدان الجنوب (بما في ذلك النفط) أكثر من نصفها يتكون اليوم من منتجات صناعية.

استراتيجيات الشركات المتعددة الجنسية سارعت في تطوير الصناعات المتجهة للتصدير، إلا أنها مقارنة بتدخلات الحكومات ليس لها إلا دور ثانوي. حكومات الجنوب تريد تخفيف الأرغامات الخارجية على نموها، حكومات الشمال تريد بيع المعدات. الكلي إذن يشجع التصنيع سواء بالعمل أو بالقروض. أساساً الشركات المتعددة الجنسية فضلت، بالنسبة لها، الاستثمار في البلدان المتطورة حيث المحاطر السياسية أقل.

ـ وزن آسيا:

تطور الصادرات الصناعية أحدث انقلاباً في المجال الاقتصادي العالمي، بالنسبة للوقت الحالي هناك الكثير من المدعوين وقليل من المنتجين. آسيا هي المستفيد الرئيسي من التغيير، بما في ذلك اليابان. أنها تمثل عام 1985 14٪ من الصادرات العالمية، وتتجه اليوم نحو 25٪. النمور الأربع في انسجام مع القوة اليابانية الهائلة تكوِّن الآن النواة الصلبة في المنطقة التجارية الأكثر نشاطاً في

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

العالم. التبادل بين آسيا الشرقية والمحيط من ناحية وأمريكا الشمالية من ناحية أخرى انتقل بالدولار عام 1987 من 87 مليار دولار عام 1967 ليصل 224 مليار دولار عام 1987 ومن ناحية التبادل بين أوربا الاثنى عشر وأمريكا الشمالية لم يزد عن 73 مليار 1967 ليصل 152 مليار عام 1987.

التطور الصناعي في آسيا ليس مستعداً للتهدئة. في الواقع، فيما وراء الإرغامات الخارجية، فإن وزن السكان وكثافتهم تلعب في المدى المتوسط والطويل دوراً حاسماً. بالنسبة لمجموع بلدان الجنوب من عام 1990 إلى عام 2000 فإن السكان النشيطين سوف يزدادون 600 مليون نسمة، ولن يوجد بالتأكيد أي تراجع في نسبة النشطين المنخرطين في الصناعة. منذ الآن لدى الصين والهند سكاناً نشطين صناعيين أكثر من مجموع بلدان الشمال بما في ذلك البلدان الشرقية. تأثير الكتلة متفوقاً. وزن آسيا سيكون في المدى المتوسط أكثر أهمية حيث أن التصنيع في بلدان الجنوب الأخرى لا يزال مضطراً أو منحرفاً.

شمال أفريقيا والشرق الأوسط يبدو مستقبلهم الصناعي أكثر اظلاماً. هذه المناطق استفادت أولاً وبشكل واسع من ريع النفط، هذا الريع أتاح تطور الطلب الداخلي والذي لم تستفد منه الصناعات المحلية إلا جزئياً وخصوصاً النشاطات المتفرعة عن النفط من سوء الحظان الصناعة المشتقة من النفط بدات تنتج فى الوقت الذى فيه المصافى والنشاطات ذات العلاقة اخذت فى الانهيار . نحن الان امام تضخم هائل فى القدرة الانتاجيةالعالمية . هكذا السعودية وحدها تملك 43٪ من الطاقة الانتاجية العالمية للكيمياء النفطية . مما يثير اسوأ ردود أفعال الحماية للخروج من الفخ، بعض بلدان آسيا الغربية حاولت تطوير علاقات جنوب ــ جنوب، فانشأت صناعات ذات استهلاك كبير للطاقة (الومينيوم .. حديد) في اتصال مع شركات متعددة الجنسية جنوب شرق آسيا، أو أيضاً باهتمامها بالفوسفات في تونس والمغرب، أو استغلال مناجم الحديد في موريتانيا. هذه المشروعات هل يمكنها أن تتطور في الوقت الذي فيه الشرق الأوسط يكون بؤرة عدة الاستقرار العالمي؟ هذه مسألة أخرى.

أفريقيا الاستوائية والحارة يتراكم فيها عدم الاستقرار السياسي، والأزمات الاقتصادية، ليس لها تقريباً أي هامش مناورة ليس فقط أنها لم

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

تستفد من ازدهار التصدير نحو الولايات المتحدة عام 1984، ولكن أيضاً صادراتها تنهار. ثلاث بلدان فقط (كينيا ـ نيجريا ـ زامبوي) لديها قدرة صناعة حقيقية (تمثل 90٪ من القدرة الإفريقية في صناعة تجميع السيارات) وفي غيرها إنتاج المشروبات فقط، خاصة البيره، يشهد تطوراً حقيقياً.

أما بالنسبة لأمريكا اللاتينية، فإن تطورها الصناعي ـ كما سنرى ذلك ـ يتكبد نتائج ديونها الضخمة والتي معاً تحفزها وتؤدي إلى عدم استقرارها. على كل حال، كما في آسيا، تأثير الكتلة البشرية يكون حاسماً، المكسيك والبرازيل يمثلان وحدهما ثلثي الإمكانيات الصناعية في أمريكا اللاتينية.

ـ التناقض بين تطور الشمال الصناعي والجنوب يزداد:

من سوء الحظ، انتقال مركز الجذب في الاقتصاد العالمي نحو شمال المحيط الهادي جعل تطور آسيا ـ الذي تستفيد منه اليابان ـ متناقضاً مع تطور أوربا، والتي قبل انفتاح بلدان الشرق، يبدو أنها تواجه انهياراً بطيئاً. اليوم انهيار الأنظمة الشيوعية غير جزئياً معطيات المشكلة، مع ذلك ابداً لم يكن استيعاب التناقضات الاقتصادية متوقفاً على الشروط السياسية أكثر مما هو اليوم. بناء أوربا وتطور الدول الشيوعية سابقاً يكون الممر الاجباري في محاولة عدم تهميش أوربا. بالعكس هذا التطور يخاطر بأن تنسى أوربا الأجزاء الأخرى من المجال الأوربي الكبير: الشرق الأوسط.. إفريقيا. ولكن على المدى عدم استقرار هذه المناطق يمكن أن يكون له تأثيراً داخلياً خطيراً في اقتصاديات ومجتمعات أوربا الغربية. كيف مثلاً بدون تطوير المغرب ـ وبدون الاساءة الخطيرة لليبرالية السياسية ـ منع الهجرة غير المنظَّمة إلى فرنسا؟ قوارب المهاجرين يمكن ألا تكون امتيازاً آسيوياً فقط!.

من جانبها، الولايات المتحدة، بسبب عدم توازنها النقدي، وفي الموازنة تكبدت الصدمة المضادة لصعود الصناعة في آسيا. عجزها التجاري الخارجي مرتبط ارتباطاً واسعاً بتطور الواردات القادمة من آسيا، صناعات بكاملها اختفت، واضطرت بذلك إلى التخصص أكثر فأكثر في التقنيات الجديدة الأكثر تعقيداً . مطورة نشاطاً أكثر فأكثر أزواجياً، استطاعت أن تجمع بين إعادة انتشار اقتصادي وعمل كامل.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

نطاق من ردود الأفعال لهذا التطور يتحدد: الأول العودة بقوة إلى نظام الحماية، هذا النظام لا يجد بالضرورة من توسع التجارة العالمية، احتياجات التصنيع كبيرة جداً، وبعد كل شيء فإن التويع الكبير للتجارة في نهاية القرن التاسع عشر تحقق في ظل موجة نظام حماية. إلا أن صداه يحدث في البلدان المصنعة قديمة توثرات، ونمو أقل للإنتاجية العامة (في ظل الحواجز الجمركية تتجه المشاريع إلى الإنتاجية الأكثر انخفاضاً في فروعها) تكاليف مرتفعة تنتهي عاجلاً أو آجلاً بأن تكلف المستهلك غالياً. النمو يتباطؤ والتوتر الداخلي يزداد حدة.

الشمال يمكنه أن يرد بتسريع التحولات التقنية وبالبحث عن تخصصات جديدة، هذا الرد حتى الآن مسيطر عليه، يمكنه أن يخرب تصنيع جزء كبير من بلدان الجنوب. الثورة الصناعية الجديدة يمكنها أن تصيب في المقتل ميزات المقارنة التي على أساسها ـ في المرحلة الأولى ـ قام التصنيع في الجنوب. الامتياز الأساسي في الجنوب كان تكاليف اليد العاملة في اطار تقنيات (خصوصاً تقنيات خطوط الإنتاج) كانت سائدة في الشمال خلال الستينيات و النصف الأول من السبعينيات.

هذه التقنيات من ناحية أخرى كانت مستهلكة كثيراً للطاقة، وهنا أيضاً بعض مناطق الجنوب أمكنها الأمل في تأسيس تصنيعها على وفرة الطاقة الرخيصة، خاصة عندما تتمكن من بيع هذه الطاقة بسعر مرتفع لبقية انحاء العالم.

في سنوات قليلة اسوعب الجنوب الدروس المستفادة من الثورات الصناعية القديمة، ولكن ارتفاع أسعار الطاقة ومنافسة صناعات الشمال من قبل صناعات الجنوب أثار سريعاً ردود أفعال. في أقل من عشر سنوات التقنيات المعلوماتية الجديدة قلبت جزءاً كبيراً من الأنشطة الصناعية، بما في ذلك تلك التي اعتقد الجنوب أن عنده فيها ميزات مقارنة أكيدة. صناعة النسيج والملابس هما مثال جيد عن انقلاب الوضع هذا. تسارع الإنتاجية مشجِّعاً بتطوير نسيج (سينتيك) وإدخال تقنييات جديدة (نسيج بخيوط حرة) (نسيج بدون مغزل) أعاد إعطاء الامتياز الى البلدان المصنعة بأن أضعف الحاجة إلى اليد العاملة ودافعاً إلى أقصى حد كثافة الرأسمال. صناعة الملابس الجاهزة بدات اليوم

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
تشهد تقدماً مماثلاً بفضل إدارة الإنتاج المدعومة بالعقل الآلي سواء في التفصيل كما في الخياطة . يبدو أن العقبة الوحيدة أمام انتشار هذه التقنيات الجديدة في صناعة الملابس هي صعوبة توحيد الزيادة في مستوى الإنتاج مع رفع درجة المرونة. تطور المعلوماتية يجب أن يحل هذه المشكلة قريباً.

ولكن كما أشار إلى ذلك الأخير الذي أصدرته UNEDI «بقدر ما تتابع الثورة الصناعية الرابعة وتتوغل، وتتغير بني الصناعة في الشمال فإن الجنوب يمكن أن يجد نفسه منتجاً لسلع صنعت بواسطة تقنية مضى عليها الزمن، مستهلكة الطاقة وجغرافياً مركزة، سلع لا يمكنها مواجهة منافسات منتجات الشمال المصنعة وفق تقنيات جديدة».

عدد كبير من البلدان التي ليس لها سوق داخلي كبيري يمكن أن تجد نفسها قد انحدرت إلى صف ممول للشمال بسلع قليلة القيمة:

أيدي عاملة مهاجرة، مغريات سياحية. أولئك الذين لهم أسواق داخلية كبيرة، غير القادرين على الحصول على التقنيات الجديدة يخاطرون بأن يواصلوا تطوراً صناعياً منعزلاً والذي لا يسمح برفع مستوى الحياة بالسرعة التي يأملونها.

ـ المواد الخام دائماً خاسرة:

منتجو المواد الخام لهم أكبر الخاسرين في المعطيات الاقتصادية الدولية، نمو الشمال صار أقل حاجة للمواد الخام بالجنوب. نمو بلدان الشمال يتطلب كل سنة نسبياً مواد خام أقل. وهذا هو الاتجاه الكبير على المدى الطويل للاقتصاد العالمي. أولاً: إنتاج بلدان الشمال أما أنه أكثر فأكثر تعقيداً ونصيب القيمة المضافة بالنسبة لقيمة المواد الخام يتناقص، أو أنه، وهذا ما يزيد في مساوى التطور السابق، أكثر فأكثر صناعية، تطور التقنيات الجديدة في المعلوماتية لا يفعل إلا الإسراع بهذا التطور.

مصابة بفائض انتاج حاد، المواد الخام صارت أسعارها النسبية، والتي لا تنخفض فقط على المد ى الطويل، ولكن أيضاً من ناحية أخرى تصير صعبة الاستقرار وفق إجراءات وطنية أو دولية. إلغاء نظام الحصص في الاتفاق الدولي حول القهوة أدى عام 1989 إلى خفض 50٪ من سعر القهوة، في ساحل العاج

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
صندوق استقرار أسعار الكاكاو صار تقريباً عاجزاً عن الدفع. ولكن عدم الاستقرار هذا ارتسم خلال فترة الثمانينيات في إطار انخفاض متعاظم في توجه علاقات التبادل. في البلدان النفطية فإن الأمر يتعلق بقلب عنيف لاتجاهات أعوام السبعينيات، من عام 1972 معدلات التبادل التجاري للبلدان النفطية تحسنت بمقدار 17,8٪ سنوياً وذلك لعام 1982 حتى غزو الكويت انخفضت إلى 8,2٪. المنتوجات الأخرى تكبدت خفضاً سنوياً متوسطاً قدره 0,1٪ شهدت انهياراً مقداره 2,7٪ سنوياً.

بالنسبة لبعض البلدان نشاهد القضاء نهائياً على أنشطة كانت تمثل فيما سبق قوتها، هكذا في بوليفيا صادرات القصدير انهارت تماماً، بدون تهريب الحشيش، والذي أرباحه تقدر 60٪ من مجموع الصادرات فإن الاقتصاد البوليفي يصير خراباً.

مع ذلك أنها إفريقيا التي تتأثر أكثر بتهميش الموادالخام، فاشلة في التصنيع، فإن نصيبها في التجارة الدولية هبط إلى أقل من 0,5٪. معدل نموها عام 1960 وصل 7,2، هبط عام 1973 إلى 2,8، ولم يتجاوز 1,8 عام 1983 ـ 1989. منذئذ الدخل الوطني الخام لكل فرد كان سلباً. واقعة في منطقة نفوذ أوربا، فإنها تخشى أكثر من غيرها توجه القارة القديمة نحو الشرق وتقديم مساعدة ذات أولوية للبلدان الشيوعية سابقاً.

ـ البلدان النفطية في مأزق:

بعد الصدمة النفطية لعام 1974 ثم تلك في الثمانينيات، فإن البلدان النفطية رأت حصتها في الصادرات العالمية تنتقل من 6,1 عام 1970 إلى 16,8 عام 1980 ثم تعود إلى أقل من 5,5٪ ولكن البلدان النفطية فقدت قدرتها الدفاعية عن قوتها الشرائية، لقد رأينا، خسائر رهيبة، تعديلات الدول الرأسمالية الصناعية في مواجهة ارتفاع أسعار الطاقة كانت مثيرة للدهشة، في أقل من عشر سنوات تمكنت من الاستغناء عن جزء من النفط المستورد من البلدان النفطية في العالم الثالث، وخفضت من تبعيتها عموماً في موضوع الطاقة، اقتصاد السوق لعب دوره جيداً، أمام الارتفاع غير الملائم لأسعار مادة خام فإنه سهل تطوير أنشطة وممارسات أقل شراهة للطاقة.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

هذا التطور أضعف أو قلل من قدرة البلدان النفطية، وخاصة الأوبيب على رفع أسعار النفط. هذه القدرة صارت أقل حين تصدعت كتلة البلدان النفطية. بعض البلدان، تلك التي تملك الحد الأقصى من النفط تحت أراضيها والحد الأدنى من السكان فوق أراضيها لم تستطع استعمال كل احتياطاتها النفطية، فصارت محض مصدرة للرأسمال.

بالنسبة للبعض مثل الكويت، عائد تشغيل أموالها تجاوز عائد نفطها وهكذا صارت أقل مصلحة في الحفاظ على أسعار النفط، بالعكس بالقدر الذي فيه السعر الرخيص للنفط يسهل خفض التضخم في البلدان الصناعية الكبرى فإنه يضمن القوة الشرائية لا موالها المشغلة وعوائدها المالية.

بلدان أخرى والتي اقترضت من أجل تنويع اقتصادها (نيجيريا ـ المكسيك) وجدت نفسها ترزح في اغلال الديون. وهذا هو الحال لبلد مثل العراق الذي أراد انتهاز الصعوبات التي تواجه إيران فحاول دون تحوط الاستيلاء على منطقة نفطية إضافية، واضطر حينئذ إلى الاستدانة لكي يواصل حرباً مدمرة. في المأزق حاول العراق المغامرة بكل شيء من أجل كل شيء عندما غزا الكويت دائنه الرئيس.

ولكن اليوم تبعية الاقتصاديات الغربية نحو بلدان الخليج لم تعد ما كانت عليه عام 1973، هذه البلدان لم يعد بإمكانها اللعب على الصراع الرأسمالي الاشتراكي. مقاطعة نفط العراق والكويت، والمقاطعة المالية لكيهما، والتدخل الأمريكي في السعودية ما كان بالإمكان التفكير فيه عام 1973.

إلا أنه ابتداء من عام 1986 انهيار أسعار النفط مع أسعار الدولار الماء للشرق الأوسط مكاناً مهماً في الامدادات الدولية.

بينما نصيب هذه المنطقة في الصادرات الدولية هبط من 54٪ إلى 34٪ ما بين 1973 و 1985. عاد في منتصف التسعينيات إلى 53٪ بسعر البرميل 15 دولار. على الأقل هذه المنطقة هي التي تملك أغلبية الآبار ذات الإنتاج الاقتصادي (ذات عائد). إلا أن الاقتراب يتم بشكل خطير من حدود طاقاتها القصوى، وكل شيء يجعلنا نتوقع صعود أسعار النفط، غزو العراق للكويت بسبب تناقضات المصالح بين هذين البلدين، وعدم التوازن العسكري الذي خلقته البلدان الصناعية نفسها جعل هذا الصعود عنيفاً.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

آلياً إذا أحداث الخليج لم تؤد إلى تـدمير جزء من إمكانات الشرق الأوسط، هـذه الصدمـة الثـالثة يمكـن أن تصير متواضعـة. 40 دولار للبرميل السعـر الحقيقي للنفط هـو سعره عام 1979. بالضبط في بـداية الصدمة الثـانية. بهذا السعر يمكن للبلدان المصنعة أن تنوع امداداتها من جديد بنتائج اقتصادية قابلة للسيطـرة عليهـا. إذا الاتحاد السـوفييتي المنتج الأول للنفـط لم يكن في حـالـة اختلال كامل في النظام، وإذا كانت أوربا والولايات المتحدة لم تتخل عن جزء من قدرتها على التكرير، فإنه كان ممكناً مبكر العودة إلى ما تحت 25 دولار. البلدان النامية فقط وبلدان أوربا الشرقية لازالت تشهد صعوبات جدية.

في الحقيقة خطر الصـدمة النفطية الثالثة يكمن في أمور أخـرى، لقد رأينا منذ عام 1982 أن النمو قـد تسارع باطراد، تعديلات بنيـوية تحققت من سوء الحظ التناقض بين عالمية الاقتصاد وعالميـة المالية من ناحية ومجال نقدي عالم منقسم بين الـدول الوطنية من نـاحية أخرى، لم يتـوقف عن النمو، أنـه يسهل تكوّن فقاعات من المضاربات وانفجارهـا لأن حرب النقود، تدفع بصورة دائمة إلى ارتفاع معدلات الفائدة.

منذ ربيع 1990 مع إنطلاقة التضـخم مجدداً، صار الوضـع سيئاً لدرجة أن الاقتصاد الأمريكي بعد ثمان سنوات من النمو بدا يعطي اشارات الضعف.

أزمـة الخليج قـوت الشكوك وهـزت الثقـة أكثـر وأدت إلى ارتفاع أكثـر لمعدلات الفائدة، وهكذا شـهدنا انهياراً في البورصة مستمراً والذي صار له حجم غير متوقع. إذا غـذا تهديدات التضـخم لم تتوقف وإذا لم يتم التـوصل إلى وقف ارتفاع معـدلات الفائدة فإن الكسـاد الأمريكي، وبالضرورة العـالمي، يهدد بأن يكون أشد قسوة مما كان متوقعـاً في الربيع، التأثيرات القطاعية لارتفاع أسعار النفط ، مثلاً في صنـاعة السيارات، والكيميـاء وأيضـاً مصانـع الأسمنت، والتي كان من الممكن الحد منهـا، سوف تزداد خطورة. إلا أنه يجب ألا نخـدع بالدور الـذي كانـت ستلعبـه الصدمـة النفطيـة. ليس تـأثيراتها الإنكماشية (المؤديـة للكساد) هـي التي عكرت النمو العـالمي، ولكن تأثيراتها على معـدلات الفائدة في وضـع مالي غير سليم. إذا العجـز الأمريكي مثلاً أمكن خفضة لـدرجة مهمة وإذا الضـغط على أرتفاع المعـدلات خف، يمكن حينئذ أن نشـهد تخفيفـاً في نتائج أزمة الخليج.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

مثل الصدمة النفطية الأولى، الصدمة الثانية تلعب دور المبلور لتناقضات لم تحل.

ـ وطأة الديون:

الاقتصاد المكشوف الذي قام ابتداء من عام 1974 سهل تطوراً هائلاً لمديونية العالم الثالث، انقلاب السياسة النقدية الأمريكية أدى إلى صعود الدولار ومعدلات الفائدة معاً كادت تجر هذا الاقتصاد المكشوف إلى الهاوية، بعد ذلك هبط الدولار، ولكن إيقاف التضخم والاحتفاظ بمعدلات حافظ على التكاليف النسبية لخدمات الديون (فوائدها).

ـ فشل تخفيف الديون:

أمام خطر افلاس البلدان الأكثر مديونية جرت محاولة تخفيض الديون التي على العالم الثالث، كل المحاولات في الوقت الحالي فشلت. انتقلت الديون من حوالي 70 مليار دولار عام 1970 إلى 650 مليار عام 1980 لتتجاوز 1320 مليار عام 1990 هذا الدين يثقل بالخصوص على البلدان الأكثر مديونية، هذه الدول الاربعين تتكبد وحدها نصف الديون، وهي بلدان خصوصاً إفريقية ولاتينية أمريكية.

في أمريكا اللاتينية خدمات الديون تساوي في المتوسط 40٪ من مخزون الدين والذي يساوي أكثر من 50 ٪ من الناتج الوطني الخام (مقابل 27٪ عام 1981). في إفريقيا جنوب الصحراء خدمات الدين لا تمثل إلا 28٪ من المخزون، ولكن هذا يصل إلى 85٪ من الناتج الوطني الخام، بلدان شرق آسيا فقط تشهد بالطبع تحسناً في أوضاعها، في الواقع كل الجهود من أجل (إعادة بناء) الدين، وحتى نهاية الثمانينيات، حاولت أولاً انقاذ المصارف التي تورطت في اقراض العالم الثالث، الدول حلت محل المصارف، مواعيد الاستحقاق أُجلت، قروض أكثر ضماناً، لقد توجب انتظار عام 1988 حتى نرى الولايات المتحدة تلحق بوجهة النظر الفرنسية بخصوص الغاء جزئي لديون البلدان التي على حافة الافلاس.

التدفق الصافي للقروض، في هذه الظروف، تكبد تخفيضاً حاداً تدفق الرساميل الصافي والذي كان 84 مليار دولار عام 1981، لم يعد إلا 25 مليار

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

1989. إذا خصمنا الفوائد من هذا التدفق الصافي فإن هذا التحويل الصافي لازال يسمح بعائد صافي 22,7 مليار عام 1981. عام 1989 نحن في حضرة خروج صافي مقدارة 51,6 مليار منها 31,7 مليار على حساب البلدان الأكثر مديونية.

ـ الدين ضد الاستثمار:

في بداية السبعينيات، البلدان النامية رأت في القروض الخارجية وسيلة تنويع اقتصادها.

اليوم اغلال الدين، أو بدقة أكثر خدمات الدين تنقلب ضد التطور لمواجهة دفع الفوائد في مواعيد استحقاقاتها، البلدان الأكثر مديونية أرغمت على أن تستدين مجدداً، ولكن هذا أصبح أكثر فأكثر صعوبة، أو أن تحقق فائضاً تجارياً، وأحياناً تحاول الجمع بين الحلين. القارضين المحتملين يلحون على أن يكون دفع خدمات الدين مضمونة بنمو فائض تجاري.

للحصول على هذا الفائض يتوجب عليها خفض الطلب الداخلي وخفض وارادتها وزيادة توجه اقتصادها للخارج، معظم البلدان المديونة اضطرت إلى تنفيذ سياسة اصلاحية داخلية قاسية جداً. قسوتها كانت في بعض البلدان وراء ثورات مجاعة حقيقية، لقد تخلت عن الاستراتيجيات التي لم تأخذ بعين الاعتبار العقلانية الاقتصادية: دعم الإنتاج الغذائي المحلي، توازن العرض والطلب بواسطة الاستيراد بأسعار همجية من الأسواق العالمية وأيضاً محاولة جذب الرساميل الأجنبية بتسهيلات تفسد النظام المالي الداخلي. تم إلغاء الدعم، تعويم العملة جعل الاستيراد أكثر غلاء، السياسة النقدية وسياسة الميزانية، أخذت فيها تغييرات عميقة.

في البلدان حيث المدينونية ليست كبيرة، وحيث الصناعة ترسخت هذه السياسات لاقت نجاحاً لاشك فيه. هكذا بلدان شرق آسيا زادت ليس فقط في ادخارها الداخلي ومعدلات استثمارها ولكن أيضاً طورت صادراتها. مع عودة انطلاق النمو العالمي. هذين العاملين صارا محرك نموها. في هذه البلدان معدلات الاستثمار ظلت حوالي 30٪ من الناتج الوطني الخام. ومعدلات الادخار ارتفعت من 27٪ إلى 34 ما بين 1980 ــ 1988. في إفريقيا جنوب الصحراء هذه

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

المعدلات بالعكس هبطت من عام 1980 إلى عام 1988 من 20 إلى 16٪ (11٪ عام 1984) ومن 18,5 إلى 9,4٪. والأسوأ أن قسماً من السكان صار تقريباً في حالة مجاعة، السعر ة الغذائية في المتوسط لكل فرد لم ترتفع أكثر مما كانت عليه منذ عشرين سنة ودخل كل فرد انهار أحياناً بشكل ملحوظ.

الوضع في أمريكا اللاتينية أقل مأساوية، إلا أن التعديلات الداخلية لم يكن لها، هنا أيضاً، وفي معظم الأحوال النتائج المرتقبة. الدخل لكل فرد هبط. صحيح سياسة تضييق الاستهلاك الداخلي وتعويم النقود جعلت الميزان التجاري، أي ميزان المدفوعات الجارية فائضاً لكن هذا لم يمنع فشل سياسات ضد ـــ التضخم في الارجنتين والبرازيل والمكسيك. بعض البلدان مثل شيلي توصلت إلى خفض العجز في الميزانية وزيادة ادخارها الداخلي، لكن الاستثمار مع ذلك لم يستنفذ الفائدة المتوقعة من تصحيح المالية العامة. بالنسبة لمجموع بلدان أمريكا اللاتينية من عام 1980 إلى 1988 هبطت معدلات الاستثمار من 24 إلى 18٪ ومعدلات الادخار من 20 إلى 6٪.

في الواقع، في البلدان المثقلة بالديون، الدين الخارجي يؤثر سلباً على الاستثمار بطريقتين:

عندما خدمات الدين تكون مهمة جداً فإن جزء من نتائج التعديلات يستفاد منه في زيادة تسديد الدين وتسديد متأخرات الفائدة. أهميةي مخزون الدين يقود إلى شكل من الخصم الضريبي الخارجي والذي يضعف الحافز على الاستثمار ويشجع هروب الرساميل جهود الاصلاح تصطدم بتأثيرات الديون المحيطة. في البلدان الإفريقية حيث دخل كل فرد ينهار. وحيث الوسطاء يستفيدون من رفع الاسعار أكثر من المزارعين هذه التأثيراتي المحيطة يمكن أن تتحول إلى كارثة اقتصادية.

إلى هذه التأثيرات يضاف أحياناً تأثيرات تضيقية، في الأحوال الأكثر خطورة تقسيط الدين الخارجي للمدين الذي لا يتوصل إلى ضمان خدمات الدين، يرغمه على اتخاذ إجراءات دائماً شديدة من أجل توازن الادخار والاستثمار وتفادي هروب الرساميل، إنه يضطر إلى الحفاظ على مستوى معدلات الفائدة الحقيقية في مستوى أعلى منه في الأسواق الدولية. ولكن كما. رأينا بسبب الصراع بين النقود الكبرى والمعدلات الحقيقية في هذه الأسواق لم

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

تصل ارتفاعها الحالي منذ 1929. عائدية الاستثمارات الداخلية تأثرت بذلك والمشاريع لم يكن بإمكانها احترام التزاماتها تجاه المصارف. وبدورها هذه الأخيرة وقعت في مشكلة. الأنظمة المالية في البلدان المديونة تكون اليوم في حالة انهيار. خلال سنوات الثمانينيات 25 بلداً أضطر إلى إعادة تنظيم عميقة لنظمها المصرفية، في كل الأحوال أزمة الأقراض وإعادة تنظيمه لا تسهل ـ على الأقل في البداية ـ الاستثمار.

ـ ديون خارجية وتضخم:

البلدان المديونة والتي تجد صعوبة في ضمان خدمات الدين هي أيضاً البلدان التي تشهد معدلات تضخم عالية، من 1972 إلى 1981 أسعارها عند الاستهلاك ارتفعت في المتوسط 29,6٪ مقابل 15,3 في البلدان الأخرى. من عام 1982 إلى 1989 هذه المعدلات المتوسطة تكون 89,1٪ مقابل 18٪. عام 1989 معدل التضخم كان في البلدان الأولى 283,7٪ وفي الثانية 13,6٪ السلسلة ديون وتضخم مفرط سهلة الفهم.

من أجل الحصول على فائض خارجي فإن البلدان المديونة مرغمة، إذا كانت تشهد بداية تضخم، على خفض قيمة عملتها أو تتركها تنهار، في الواقع ارتفاع الأسعار الداخلية يضعف من القدرة التنافسية للمنتوجات الوطنية في الخارج ويسهل الاستيراد. أضعاف القيمة الخارجية الذي تزيد سرعته حسب الحاجة بتعويم النقود يسمح بتفادي هذه النتيجة غير المرغوب فيها. حينئذ المنتجون الوطنيون يحفزّون للتوجه نحو السوق الخارجي بقدر ما يدفع لهم بعملة قوية، بالعكس المستوردين يصيرون في ضيق أكثر فأكثر. إذا حافظت الدولة على إنفاقها فإن الاستثمارات والمستهلكين يتكبدون أبعاداً اقتصادياً حقيقياً، وهذا ما لا يبشر بتحسن التوقعات على المدى، ولكنه يسهل التوجه الخارجي للاقتصاد والحصول على فائض تجاري.

هذا الوضع الخطير يصاحبه هروب أمام العملة الوطنية، لكي لا يكونوا خاسرين فإن كل الفاعلين الاقتصاديين يحسبون أسعارهم في عملات أجنبية خصوصاً الدولار فيسارعون بفساد العملة الوطنية. يحدث ارتفاعاً في الأسعار وخلق داخلي للعملة التي تتداول بعد سقوط معدلات التبديل. هذا السقوط قوياً لدرجة أن المدخرين يكونون مستعدين لشراء عملات أجنبية في السوق السوداء، أي بأسعار أقل من الأسعار الرسمية والتي لاتتوقف عن الانهيار هي نفسها.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

هذا الوضع يفسر أن اخر خطة ضد التضخم في البرازيل (خطة كولور) جمدت الحسابات المصرفية، وفي نفس الوقت حاولت خفض كبير من الانفاق العام. وهذا يفسر أيضاً أن البلد الوحيد في أمريكا اللاتينية الذي نجح في الوقت الحالي في مواجهة التضخم المفرط هو بوليفيا، تحويل فوائد تهريب الحشيش حطم فيها الحلقة المفرغة للانهيارات الداخلية والخارجية.

ـ زيادة الاختلال والتوتر الداخلي:

رغم العوامل التي تعيق التطور، فإن بلدان الجنوب لم تفشل مع ذلك في كل شيء.

منذ عام 1945 انجازات كل البلدان تقريباً ، أحياناً معدل الدراسة الابتدائية للأطفال الذكور ـ فيما عدا جنوب إفريقيا ـ تصل 90٪ إن لم يكن 100٪، انهيار معدلات الانجاب علامة مهمة عن التغيرات والتحولات في وضع المرأة، هذا الانهيار يكون عاماً وواضحاً حتى في البلدان التي تتأثر حالياً بالموجة الدينية. في الجزائر المؤشر الراهن للإنجاب هبط من 8,1 عام 1970 إلى 4,5 عام 1987 (ومن 6,2 أي 4,7 فقط من عام 1985 إلى 1987) وإذا معدلات الولادة في الوقت الحالي تحافظ على نفسها، فذلك بكل بساطة لأن نساء أكثر يصلن سن الخصوبة. تحسن الغذاء أيضاً محسوس من 1965 إلى 1984 السعر الحرارية اليومية تجاوزت 2110 سعرة حرارية لتصل 2300 سعرة، فقط إفريقيا جنوب الصحراء ركدت حول 2100 سعرة.

إلا أنه في كل هذه المجالات يخفي المتوسط فروقاً كبيرة، المجاعات خربت بعض المناطق ، وفي داخل البلدان الفوارق في مستوى الحياة زادت حدة.

ـ الاختلالات تزداد حدة:

لكن التخلف ليس فقط مسألة مستوى اقتصادي متخلف أنه أولاً: اقتصاد مختل مكون من عناصر لاعلاقة لها فيما بينها إلا علاقة شد.

التطور الحالي، وخصوصاً التطور الصناعي قوّي احياناً هذا الاختلال. في كل مكان، المراكز الكبرى (المتروبول) تهيمن على تجارة بلدان الجنوب في الحد الأقصى، التجارة الدولية صارت تجارة ما بين مناطق عمرانية كبرى غير

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

المنظمة بواسطة الشركات المتعددة الجنسية، بعض المدن صارت لها هيمنة ساحقة على دواخلها. في البلدان الامريكو لاتينية التي تتصنع سريعاً هذا التركيز مفرطاً، إنه يتجاوز تركيز الوسائل الاقتصادية التي يمثلها إقليم باريس، شيء واحد مفقود: الكثافة العلمية، هذه أحياناً أكثر من مائة مرة خارجية من تلك التي يعرفها إقليم باريس وأيل دوفرانس هذا مؤشر عن تبعية خارجية تقريباً كاملة. التركيز العمراني لبلدان العالم الثالث يمثل ضواحي المراكز الكبرى الصناعية والعلمية لبلدان الشمال.

التركيز العمراني يسرع في الهجرة الريفية، مناطق العمران تجذب دائماً أفراداً أو أكثر، وتصير ماأوى تشوه ثقافي سريع.

التصنيع بإتاحة ارتفاع مستوى الحياة، نحن نشهد تعميم نمط الحياة الغربي والاستهلاك الغربي. في بداية الستينيات المجموعات صاحبة الامتيازات فقط تستفيذ من ذلك. اليوم الاقليات المتأثرة ــ إذ لازالت أقلية ـ تستطيع إتاحة تغييرات مهمة في السوق الداخلي في معظم البلدان النامية، أنها مرساة التطور الصناعي، وهذا بشكل سريع على حساب سوق المنتجات التقليدية، الحرف اليدوية تنهار التجارة الصغيرة تتراجع لصالح المحلات الكبيرة ذات الأسعار الأقل ارتفاعاً المنتجات الزراعية القديمة حقّرت. خفض فرص العمل في القطاع التقليدي كان أكثر سرعة من خلق فرص عمل في القطاع الحديث في كل مكان البطالة تزداد، بسرعة كما لو أن القطاع التقليدي يخفي البطالة تحت بطالة مقنعة يمكن احتمالها بواسطة التضامن العائلي، نمط الحياة في القطاع الحديث جعلها تنفجر في وضح النهار.

التطور الصناعي أدى إلى انخفاض الأنشطة التقليدية وسارع في خلق اقتصاد غير رسمي في الاحياء غير العمرانية.

مهما كانت الاقاليم، يوجد في المدن سكان هامشيون بالنسبة للتقدم الاقتصادي مصيرهم البطالة وسوء التغذية والسكن السيء. عام 1975 يقدر هؤلاء في العالم كله 200 مليون فرد أي ثلث سكان المدن انذاك، معدل نمو هؤلاء السكان أربع مرات معدل السكان العام. في عام 2000، بدون شك أكثر من 750 مليون شخص يعيشون في مدن غير رسمية، حوالي نصف سكان المدن.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

شيئاً فشيئاً التناقض يزداد بين وسط المدن والاحياء حيث يعيش أصحاب الامتيازات من ناحية، ومن ناحية أخرى الاحياء الكبرى غير العمرانية (العشوائية) حيث البطالة. التوترات الاجتماعية حادة لأن الإنطلاق الاقتصادي هو دائماً فترة فساد كبير وفرص اثراء تقريباً لا مناص منها في بلد حالياً يتطور. الطريقة المركزية جداً، والسياسات التي وفقها تجري اتفاقات فمثل التقنية ليست لتخفيف هذه الصفات (الفساد والاثراء). التوترات الاجتماعية وانعدام الأمن في المدن يزداد، اغراءات الثورة تظهر اللجوء إلى الدكتاتورية يضع الديمقراطية في خطر.

4 ـ مشاكل حقيقية وخوف بيئي عظيم:

باقتراب عام 2000، وكما كان الحال عام 1000، مخاوف كبيرة تجتاح الغرب: من تدمير طبقة الأوزون والغابات الامازونية، مروراً بالتلوث اليومي والأمطار الحمضية، تفاد المصادر الطبيعية.. إن ما هو متوقع لنا ليس أكثر ولا أقل من نهاية الإنسانية.

مشاكل حقيقية موجودة لا شك، ولكن يجب تخليصها من الصبغة الاديولوجية الغامضة والتي تغلف الطريقة التي تطرح بها هذه المشاكل والحلول التي أحياناً تقترح لها. خلف المخاوف الكبرى نرى اليوم خليطاً عجيباً من عبادة الطبيعة واسطورة المتوحش الطيب، واخيراً ريبة عميقة في النمو والتقدم التقني.

عام 1934، لوي ماندفورد في مؤلفه «تقنية وحضارة» أكد على السمات الخطرة في بعض المواقف، والتي المحامون عنها، كما قال «ينسون أنهم لا يعدون مغامرة ولكن انسحاباً مخزياً، ليس تحرراً ولكن مقدمة فشل كامل.. إذا شاعت الروح الانهزامية فإن هذا يعني أكثر من فشل الآلة.. أنه يعني نهاية الحضارة الغربية» وبكلمات أكثر وضوحاً، بعذر أن الماء قدر لا يجب أن نقذف الوليد مع ماء الحمام. يجب على العكس معرفة الحفاظ على العقل الاقتصادي، وأن نضع في تصورات المشاكل التي نواجهها اليوم.

ـ اغتصاب الطبيعة وتغير الاخطار البيئية:

الإنسان لم يصر إنساناً إلا بالقطيعة مع التوازنات البيئية، هذه القطيعة

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

يمكن أن يكون لها أحياناً نتائج كارثيـة، هذا الوضع ليس جديد علينا، في الماضي تدمير الغابات المكثف الذي أدت إليه الحاجـة إلى الطاقة ومواد البناء كان الأصل في خسائر كبيرة. الطبخ على نـار الحطب لازال اليوم أحد الأسبـاب غير المباشرة لجفاف الأرض، تلوث الماء، خاصة في المدن كان أحد العوامل الحاسمة في وفيات الأطفال.

هذا الوضع التصوري تم انجازه، يجب علينا أن نعي أنه مع مرور الثورة الصناعية فإن الهجوم على الطبيعة غير من الطبيعة.

نحن اليوم بعيـدين جداً عن التلوث البيلـوجي الناتج ببساطـة عن تراكم أوساخ المجموعات البشرية، حادث نووي تكـون له نتائج مرعبة بشكل عن تلك التي اثارها البحث عن الحطب للتدفئـة واستخراج الفحم، والسدود المائية المقام عليها محطات تـوليد الكهرباء. أو نقل النفط. ومع الاستخـدام المكثف للصناعة الكيماوية دخلنا من ناحية أخرى في عصر تلوث ليس فساد بيولوجي وتراكمي. انصـار البيئة معهـم الحق حين يدقـون أجراس الخطـر. ولكن عكـس النزعـة الطبيعية الساذجة عند بعضهـم، الحلول تكون في اسراع التقدم التقني وليس في ابطائه أو الحد منه.

ـ التلوث: فرصة للقيمة المضافة:

التقدم التقني ليس، كما تخيله أحيانـاً الاقتصاديون بما في ذلك ماركس، عامل مستقـل للتطور الاقتصادي. الاقتصادي السـويدي ج اكرمان كـان أحد الأوائل في تأكيده «إن الاختراعـات لا تنبثق تلقائياً .. أنها خاضعـة لعدة شروط، والتي الأكثر عمـومية منها تكون الدوافـع الإنسانية، النظام الـدستوري القائم وحالة تقـدم العلوم» في كل لحظة، المسالك التي يستطيع العلم أكتشـافها تكون الحلـول التقنيـة المحتملـة متعـددة ومتنوعـة. إن عـلاقـات القـوة، السيطـرة الاديولـوجية والتطور الثقـافي والتشريعات هي التي تترجمهـا والتي تؤدي إلى الانتخاب من كل الممكن منها.

لنأخذ حالة الأوساخ والفضلات. في عام 1960. كل أسرة أمريكية تكون مصـدر طن من الأوسـاخ (الكنـاسة) تضـاف إلى 160 مليون طـن مصدرهـا التجارة، 90 مليون طن مصدرها الصناعـة وهذا يقود إلى ما مجموعة على الأقل

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

250 مليون طن. وبما أنه من الآن حتى عام 2000 هذا الرقم سوف يزيد، فإننا يمكن أن نتخيل سيناريو كارثة كذاك الـذي كان متوقعاً عام 1880 أن شوارع نيويـورك سوف تغـرق تحت مترين من «الـروث». في الواقـع منذ اليـوم نرى تتطـور صناعـة معالجة للفضـلات، إعادة تصنيـع، تخزين منظم بـالروبـوت (الإنساني الآلي). هذه الأنشطة تكون الأصل في تطـور تقني عام، أسواق جديدة تفتتح، شركات عملاقة نحل شيئـاً فشيئاً محل ورش الماضي، لازلنا بعيدين عن المطلوب ولكن التوقعات الكارثية مرة أخـرى يكذبها الواقع. عندما عثر اتوشيم على منتوج الثلاجات وللايروسول أقل خطراً من ذلك الذي يهدد طبقة الأوزون، فإنه استمثر المخاوف الحالية لكي يتفـوق على منافسيه. من الغريب أن وسائل الاتصال الجماهيري لم تعـط إلا اهتماماً قليلاً لهذا الاكتشـاف . سجناء الـرعب العظيم فإنهم يهملـون ما يمكـن أن يهدىء روعهم. صحيح أنهم وجـدوا سبباً اخراً للخـوف: الغابات الامازونيـة «الرئة المقدسـة للعالم» في الواقع هـذه الرئة الشـهيرة هي أيضـاً ملوث كبير. الكمية الهائلـة من الأوسـاخ الناتجة عنهـا تنتج قدراً لا بأس به من(CO^2) ومن غاز الميتان، مع إنتاج كلي للأوكسوجين ضعيفاً. المشكل الحقيقي في الأمازون ليس الأوكسوجين ولكن الهنود.

ـ الموارد الطبيعية ليست مخزوناً محدوداً:

مع الامازون نلمس اليوم خوفـاً آخراً عظيماً، نقص الموارد الطبيعية. منذ نهاية الستينيات كابوس مـالتوس عاد يقض مضجع الاقتصاديين. مجتمعين في نادي روما، مسئـولون اقتصاديون وسيـاسيون اعلنوا: إننا نتجـه إلى الكارثة، منحنى تكاثر النينوفار * الذي كـان يوم يتجاوز سطح المستنقع الـذي يشغله يرعبنـا، إذا اليوم التاسـع والعشرين نصف سطح المستنقع شُغل فـإن الصلاة تقام في اليوم الثلاثين. نحن اليوم، يقولون في اليوم التاسه والعشرين.

بضـع سنـوات بعد ذلك بـدا أن أزمة النفط تـدعم نظـريتهم، ولكن تبين زيفها، بإثـارتها ارتفاعاً لأسعـار الطاقة فـإنها في الواقع ـ كما رأينـا ـ أدت إلى البحث عن مصادر جديدة للإمدادات وسهلت تطور الاختراعات والأنشطة التي

---

* نبات يتميز بسرعة التكاثر ـ أصل الكلمة عربي. المعرب.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com
جعلت النمو أقل شهية للطاقة. لا يجب أن نبحث عن مصدر النمو في الحدود المادية للنمو (سكان، موارد طبيعية، تلوث) ولكن في حدود السياسية والاجتماعية، (صراع تفكك اجتماعي، تناقضات، عالمية الاقتصاد) نحن في حضرة مشكلة «حنفية» وليس مشكلة «خزان».

هشاشة نظرية نادى روما تكمن في أساسها المالتوس، مسلمتها كانت خاطئة. الموارد، الطاقة، والمواد الخام ليست مخزوناً محدوداً إذا صار مورد ما نادراً، في اقتصاد السوق، سعره يرتفع ويحث على البحث عن إمدادات جديدة، بل أيضاً إعادة توجيه صارمة للنمو، هكذا ارتفاع أسعار الطاقة، أدى إلى تطور متسارع للأنشطة اللامادية.

اليوم نقل ومعالجة المعلومات يجعلنا نتفادى جزء من الانتقال الفيزيقي وإجراءات ميكانيكية مستهلكة كبيرة للطاقة، وبقدر ما تتطور وتتقدم الأنشطة ذات الكثافة المعرفية العالية فإن كثافة الطاقة اللازمة للنمو (أي العلاقة بين استهلاك الطاقة والناتج الوطني الخام) تهبط.

لا يجب مع ذلك أن نحلم، لا يجب أن ننتظر مكتوفي الأيدي، إن قوى التطور التلقائي تدفع حدود النمو، ليس ثمة نمو يجري بدون إرغامات اقتصادية اجتماعية دستورية أو مؤسساتية الارغامات والقواعد المنبثقة عنها تكون مولِّده الاختراعات والتجديدات والتقدم. النمو الهمجي لا وجود له، وإذا وجد لن يقود إلا إلى مأزق، ماذا كان سيكون موزارت بدون قواعد الموسيقى؟ ماذا سيكون مرور السيارات بدون طرق إشارات وقانون طرق؟ المهم أن نتناول المشاكل البيئية الحالية ونظرنا إلى الأمام وليس خلفنا، وأن نتخلص من هذا الخوف الكبير، المستشار السيئي، يجب أيضاً أن نحذر هؤلاء المدافعين عن الطبيعة من ذوي الاتجاه المحافظ، إن قدرة الاقتصاد على الحياة تتوقف على تسارع النمو والتقدم التقني.

صحيح النمو مدمر، ويجعلنا نواجه أخطاراً، اليوم هذه الأخطار هي في مستوى التقدم الذي يحققه لنا العالم. أن نكافح ضد هذه الأخطار متقدمين، ليس ذلك خارج قدرتنا. في الستينيات قدرت نفقات القضاء على كل التلوث في الولايات المتحدة. بحوالي 50 مليار دولار. أو إنسان وضع أقدامه على القمر كلفنا هذا الثمن.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

5 ـ إعادة انطلاق النمو والتهديدات الموجهة للديمقراطية

لقد رأينا أن العنصر الذي أعطى امتيازاً للأنظمة الرأسمالية ليس فقط العقلنة الاقتصادية الكبيرة وإنما أيضاً الديمقراطية السياسية التي جعلت التناقضات والتوترات الداخلية في الأنظمة الرأسمالية محتملة وضمنت لها استقراراً اجتماعياً نسبياً باعتبارها بشكل من الأشكال دواءها.

شومبيتر، عندما حلل في الأربعينيات حظوظ الأنظمة الرأسمالية والاشتراكية في كتابة المشهور رأسمالية، اشتراكية، وديمقراطية، أخطأ، إنه طور نظرية متناقضة، بالنسبة له الرأسمالية هي أفضل نظام اقتصادي ممكن ولكنها لا تستطيع البقاء لأسباب سياسية.

الرأسمالية فقط تسمح بتخصص عقلاني للموارد، ووحدها تتيح تصفية العناصر العاجزة بفضل رجال الأعمال النشطين، وأن تكيف دائماً البنى الاقتصادية.

من سوء الحظ، بقدر ما النمو يتطور، والاستقامة القديمة الدينية والاديولوجية تذبل، الدهان الذي يحمي الرأسمالية يختفي. بالمقابل طبقة المثقفين تكبر وتزداد أهميتها. ولكن هذه الطبقة ليست راضية على نظام فيه النجاح ذي طابع اقتصادي. بالنسبة لها النقود ليست كل شيء. عندما تموت المثل الرومانسية لرجل الأعمال الصناعي، دمرها نقد المثقفين، فإن الرأسمالية لا يمكنها أن تعيش. هذه الخلاصية تكشفت خاطئة. ولكن مع ذلك الأسباب السياسية والاجتماعية، وليس الأسباب الاقتصادية، هي التي تجعل نظاماً قادراً أو غير قادر على الحياة.

الديمقراطية السياسية فرضت إصلاحات على الرأسمالية في البلدان الصناعية الكبرى والتي منحتها من جديد «دهاناً اجتماعياً» الطبقات الوسطى الجديدة تتكون بشكل واسع فيها من إجراء المشاريع وإجراء الإدارة. بالمقابل غياب الديمقراطية السياسية أبعد المثقفين عن الاشتراكية وقوى وصلب كل أشكال المقاومة ضد أحادية الفكر الهامشية، العزيزة على قلب ستوارت ميل، كانت أقوى من البوليس السري.

اليوم، التطلع إلى الديمقراطية لم يكن أبداً بمثل هذه القوة، في كل أنحاء

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

العالم ينهض الناسي يقاتلون باسمها. ينتصرون حيناً، ويطاردون أحياناً أخرى.. لكنهم يأملون.

إلا أنه إذا كانت الديمقراطية مترسخة فقط في البلدان الصناعية الرأسمالية، إلا أنها بعيدة عن أن تكون كذلك في أماكن أخرى. في بلدان الشرق هناك عدة سيناريوات ممكنة للتطور (الموازي نحو الديمقراطية واقتصاد السوق، قمع الربيع الرهيب في بكين يذكرنا بذلك، في العالم الثالث نحن بعيدون عن المطلوب، والتاريخ يبين لنا أن الرأسمالية يمكن أن تتعايش مع أنظمة سياسية أخرى غير الديمقراطية. ولكن لا يتم التوصل آنذاك إلى حل قابل للحياة على المدى الطويل. والصراعات التي يمكن أن تنتج عن ذلك يمكنها تهديد الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي للديمقراطيات الرأسمالية. ولكن تهديدات خطيرة جداً تواجه الديمقراطية خارج مجالها، وأحياناً بالنسبة للكثيرين في داخل البلدان الصناعية الكبرى نفسها.

ـ صعود التطرف:

هناك أولاً صعود التطرف. البلدان التي في ضواحي الرأسمالية كانت أول المتأثرين به. التطرف الديني هو الأكثر تهديداً. أزمة الشرق الأوسط لم تنشأ اليوم، صعود الأصولية الدينية في إفريقيا سريع جداً . في البلدان العربية، في كل مكان حيث لم تفرض السلطة إرادتها فإن الثورة الدينية صارت تعبير المعارضة للسلطات القائمة. غداً ربما الهند مع 190 مليون مسلم يمكن أن تفقد استقرارها أما بالنسبة لبنازير بوتو في باكستان فإنها كانت لحظة استثنائية ولا واحد يتحدث كفاية عن شجاعة النساء الجزائريات المطالبات عام 1990 بحقوق المرأة في مواجهة موجة دينية والتي أمامها السلطة تتراجع كل يوم.

إلى جانب هذا التطرف الديني، نحن نرى يتطور تطرف وطني أو قومي تطرف ديني وقومي أحياناً يتقابلان وأحياناً يتالقان ويكونان شكلاً جديداً من الامبيريالية، الحرب الإيرانية العراقية، نزعة التوسع العراقية، طموحات ليبيا أوضحت اخطار عدم الاستقرار العالمي المتمثلة في التوليف بين المتطرفين.

في أحوال أخرى، أوضاع اليأس التي وضعتها فيها المواجهة شرق ـ غرب، الانحرافات في استراتيجيات الحرب الباردة، فرض أوضاع بدون مخرج، يأس

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الإقليات أو الشعوب في مواجهة أسوأ ظروف التخلف تسهل اتساع واستمرار التطرف من كل الأنواع. من ناحية أخرى، في الاتحاد السوفييتي اليوم نرى صعود تطرف قوي وتطرف معادي للأجانب، والأصولية الإسلامية، النظام المفروض بالقوة سواء من قبل لينين أو ستالين يؤدي إلى صدمات ارتدادية خطيرة.

في صميم الديمقراطيات الغربية، شياطين العنصرية لم يقض عليها تماماً، قيام مجتمعات مزدوجة يشكل أرضية يمكن فوقها أن تتطور ردود أفعال وسلوك خطير جداً بالنسبة للديمقراطية، أوضاع أخرى كثيرة يمكنها أيضاً أن تقود إلى اشتعال العواطف على حساب العقل في فرنسا مشكلة «النشادور»* في الولايات المتحدة اغراءات سجن أو ابعاد مرضى الايدز المعتبر كعقاب سماوي، صعود الحنين إلى النازية في المانيا، استمرار الاغراءات الإرهابية في إيطاليا في ألمانيا وإسبانيا وايرلندا.. هذه جميعاً علامات ذات معنى اتساع التطرف بكل انواعه يخفي في الحقيقة ظاهرة أشد عمقاً:

الاديولوجيات الحديثة عند اليمين وعند اليسار، عند مناطق عديدة من العالم، وأحياناً في قلب الديمقراطيات الكبرى نفسها، لم يعد بإمكانها تعبئة آمال الناس وحشدهم. الديمقراطيات الرأسمالية سوف تدرك ربما من نواحي عدة أن الماركسية كانت أفضل ما يمكن عمله في العقيدة الغربية في العقل والعلم.

إذا الحرب الباردة، واللينينية، والستالينية لم تخلط الأوراق، فإن الماركسية كانت ستصير طريقة لتغريب (سيادة النمط الغربي) محيط الرأسمالية (ينس أحياناً أن الماركسية في الأصل دخلت روسيا على يد جماعات تريد بيان الدور الإيجابي للبورجوازية في التطور التقني والاقتصادي). لكن الغربيين اعتقدوا في البداية أن باستطاعتهم استخدام المتطرفين، المحافظين، و الدكتاتوريين، وحديثا التطرف الإسلامي لمنع تقدم الماركسية في إيران، لحظة انهيار نظام الشاه، شجع الغربيون عودة الخميني لأنه يبدو أفضل سد ضد

* غطاء رأس للنساء تفجرت المشكلة حين منع مدير مدرسة دخول فتاة مسلمة تغطي رأسها ـ المعرب.

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

صعود الحركات الماركسية والاشتراكية. ونفس الأمر، إذا كان التدخل السوفييتي في افغانستان مدانا، فإن الغربيين ربما سوف يندمون يوماً على المساعدة التي قدموها لبعض عناصر المقاومة المتطرفة. الخوف من الثورة الإسلامية. ربما يفسر أن رحيل القوات السوفيتية لم يتبعه مباشرة انتصار المقاومة.

امتحاء الماركسية لا يواكبه آلياً انتصار فكر ليبرالي تقدمي، أن لم نأخذ حذرنا، فإنها يمكن أن تترك إمكانها لمتطرفين خطرين أيضاً على المجتمعات وعلى الاقتصاديات والتي تطورها يعتمد على تقدم العلم والتقنية والديمقراطية.

ـ سرطان المخدرات:

إن ما ينقص مجتمعاتنا مشروع عظيم يحشد الطاقات ويبلور الآمال، الهروب في أوهام الحشيش له جزئياً نفس معنى صعود التطرف. عام 1989 سجل تغييراً في موقف السلطات العمومية أمام هذا الوباء. في هذا المجال وصلنا نقطة قطيعة، كفاح حكومة كولومبيا ضد كارتل مدلين، التدخل الأمريكي في بنما، الضغوطات الحكومية من أجل الغاء السر المصرفي (الحسابات السرية) زيارة ميتران لبوقاتا في حالة حصار يشهد بذلك كفاية.

إلا أن القمع وحده غير قادر على إيقاف تهريب المخدرات مادام هناك شباب وغير شباب بدون امل، مادام الشباب في داخل المجتمعات الغنية ليس أمامهم وسيلة للحياة إلا الصيرورة باعة (للحشيش) بائسين. مادام في بلدان العالم الثالث زراعة الخشخاش والكوكايين تظل النشاط الوحيد الذي يتيح للمزارعين الخروج من البؤس. أن المهربين لن يخسروا المعركة، لا يمكن معاً تدمير حقول الكوكايين ونترك سعر القهوة ينهار!.

على أرضية كهذه، يصبح الحشيش النشاط الأكثر عائدية، الأرباح تكون بالقدر الذي فيه القمع الأشد قوة لا يخفض منها إلا بعض النقاط. مع الحشيش اقتصاد السوق وصل حدود فعاليته، العقلنة الاقتصادية لا يمكن أن تكون مرشداً معصوماً من الخطأ.

ـ البحث عن حدود جديدة:

الديمقراطيات، وخصوصاً الديمقراطيات الغربية في حاجة إلى مشروع عظيم، لحدود جديدة، جاك دولور لم يجانبه الصواب حين ذهب إلى أنه يجب

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الآن التقدم إلى ما وراء السوق الواحد والعملة الواحدة. بناء الوحدة الأوربية، بمعنى آخر أوربا سياسية قادرة على تجميع الطاقات وتنشيطها وتسهيل تطور كل أوربا لم يعد وهماً، لقد صار ضرورة. في الوقت الذي فيه أوربا تتوجه نحو انهيار بدون دموع، يمكنها أن تعود إلى مركز النشاط العالمي بعثورها على المناطق التي تطلب التطور والتي كانت تنقصها كثيراً. إقامة منطقة واسعة من الديمقراطية والرفاهية هو مشروع واسع، ولكن بدون سلطة سياسية فإن الحركات المعبدة عن المركز سوف تهيمن، وستكون هذه قوية بقدرما أن تسارع النمو يسير مواكباً انعدام توازن حاد إقليمي، والتضخم، والمضاربات النقدية. إنه أيضاً من الضروري إذا لسوء الحظ تغلب السيناريو المأساوي في الشرق، أن الأمر لن يعد يتعلق بالدخول في السوق الواحد، بل يجب بناء أمة أوربية، بدونها الوحدة الألمانية لا تستطيع أن تكون إلا مصدر عدم استقرار جديد.

بعض بلدان العالم الثالث، لا ترى دون خشية، أوربا تعثر في أوربا على حيوتها الخاصة، لقد رأينا ذلك، ديون العالم الثالث استعادت توسعها، في معظم البلدان المدينونة جداً، الدخل لكل رأس ركد، بل انخفض، معدلات الادخار والاستثمارات هبطت. اليوم تدفع الشعوب إلى اليأس...!

السؤال طرح، في الواقع، وبشكل عام يمكن أن نسأل إن لم نكن مجبرين على إجابة سؤال أكثر عمقاً: هل نحن منذئذ قادرين على الايفاء بشروط تطور أكثر تكافلاً لكل كوكبنا؟ ماوراء المخاوف الكبرى التي اثارتها الأخطارس البيئة المترتبة عن التطور التقني نفس السؤال يتبدى!.

من خلال هذه التناقضات وبفضلها تتبدى إمكانيات تطور وتحول يحمل تهديدات وترى بالآمال معاً. كل شيء يتوقف في نهاية المطاف على قدرة الناس انتهاز الفرص التي تحضر وبناء مجتمع إنساني.

الإنسانية لا تتجه تلقائياً نحو أنسنة دائماً أكثر، لا شيء يظفر به مقدماً، عالمنا يمكن جداً أن يسقط في أحد العصور الأشد إظلاماً التي عرفها التاريخ الإنساني، مكتسبات حضارتنا يمكن أن تدمر. في كل الأحوال، تحولات مجتمعاتنا تفترض الصراع والصدام. وهذا يعني في النهاية أن التاريخ لكي يصنع يحتاج إلى رجال....

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

المحتويات

مقدمة 5

تمهيد 15

الباب الأول

الخصمان يدخلان الحلبة 18

الفصل الأول

ـ مقدمات معركة العصر 1750 ـ 1914 19

ـ ولادة الرأسمالية الصناعية الليبرالية 1750 ـ 1850 19

ـ الأزمات الاجتماعية والاقتصادية للرأسمالية الليبرالية 29

ـ انتصار .. توسع .. ورفض الرأسمالية الليبرالية 32

ـ اشتداد الرفض الاجتماعي 36

الفصل الثاني

ـ ظهور التحدي 1917 ـ 1953 41

ـ المعركة من أجل السلطة والتصنيع 43

ـ تطبيق الخطة 46

ـ تنظيم الاشتراكية 48

ـ اداء التخطيط الستاليني 50

ـ التوازن الاقتصادي والسيطرة على التدفق النقدي 54

ـ المجتمع السوفييتي 57

الباب الثاني

الرأسمالية في موقف دفاع تجدد جلدها 61

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الفصل الثالث

ـ الاشتراكية تسجل نقاطاً 1930 ـ 1960 62

ـ سنوات الرأسمالية السوداء 63

ـ الرأسمالية على حافة الهاوية 66

ـ الأنظمة الشمولية والرأسماليات تتحالف 68

ـ انتشار الشيوعية 71

الفصل الرابع

ـ من دولة العناية إلى الرأسمالية الجديدة 1945 ـ 1973 78

ـ الرأسمالية تعثر على عوامل قوية لتوسيع الطلب 78

ـ استعادة التوسع التجاري العالمي 83

ـ تنفيذ الرأسمالية الجديدة 93

ـ الرأسمالية الجديدة هل هي رأسمالية ؟! 100

الباب الثالث

الاصلاح المستحيل للأنظمة الاشتراكية 1953 ـ 1990 105

الفصل الخامس

ـ البحث عن تخطيط فعال 106

ـ التغيرات في الإدارة الاقتصادية 106

ـ التغيرات في أوضاع المشاريع الصناعية 112

ـ البيروستروبكا وتوسيع استقلالية المشاريع 1987 ـ 1990 117

ـ تنظيم الزراعة 120

الفصل السادس

ـ السوق الاقتصادي الاشتراكي المفقود 123

ـ نظام أسعار غريب 123

ـ البحث عن الانسجام في نظام الأسعار 124

ـ منافذ نظام أسعار غير متناسق 129

www.alkottob.com

site www.libyaforall.com\e-mail almotanabby2002@yahoo.com

الفصل السابع

ـ النومينكلاتورا وأزمات الأنظمة الاشتراكية 136

ـ ولادة مجتمع صناعي 137

ـ ظهور طبقة مسيطرة جديدة 138

ـ النومينكلاتورا وتناقضات الأنظمة الاشتراكية 141

ـ أزمات ذات مخارج غير يقينية 143

الباب الرابع

أزمات وتعديلات الرأسمالية الجديدة 1973 ـ 1990 146

الفصل الثامن

ـ التباطؤ الكبير للنمو في الرأسمالية الجديدة 1973 ـ 1983 147

ـ من الأزمة الصناعية إلى الركود التضخمي 147

ـ من الأزمة المالية العالمية إلى حرب النقود 153

ـ أزمة الطاقة 158

ـ من تباطؤ النمو إلى انفجار البطالة 163

الفصل التاسع

ـ تعديلات الرأسمالية الباحثة عن نمو جديد 1985 ـ 1990 166

ـ اللجوء إلى الليبرالية 166

ـ المشاريع تبحث عن شكل تنظيم جديد 173

ـ نظام العلاقات المهنية الجديدة وأزمة النقابية 176

الفصل العاشر

ـ النمو الجديد تناقضات وأزمات محتملة 1990 179

ـ مجتمعات أكثر فأكثر ثنائية 179

ـ الاقتصاد المالي ضد الاقتصاد الحقيقي 183

ـ عالم ثالث متفجراً ودائماً في صراع 190

ـ مشاكل حقيقية وخوف بيئي عظيم 205

ـ إعادة انطلاق النمو والتهديدات الموجهة للديمقراطية 209

www.alkottob.com